دراسات وأبحاث

* اللغة الام
الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

* دخيل إم اثيل
الاستاذ عبد الحق فاضل

* القرائن النحوية واطراح العامل والاعرابين التقديري والمحلي
الدكتور تمام حسان

* تطور الحرف العربي
الدكتور ممدوح حقي

* الحروف المسلة والمطابع
الاستاذ خير الدين حقي

* تطوير الكتابة العربية
الاستاذ جودت نور الدين

* تعليق على الصور المقترحة لتطوير الحرف العربي
الاستاذ مهدي الظالمي

* متاعب اللغة العربية في العصر الراهن
الدكتور عبد الله الصوفي

* التراث العربي وعناصره الصالحة لنهضة عربية حديثة
الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

* في القياس اللغوي

* صيغة فعلون في غير اللغة العربية من اللغات السامية
الاستاذ حامد عبد القادر

* تصحيحان
الاستاذ محمد بهجة الاثري

* صيغة افعل وفعلى
الاستاذ ادريس العلمي

اللغة الأم

للدكتور عبد العزيز بن عبد الله

ان الجزيرة العربية هى منبثق الحضارات السامية التى كيفت اقاليم الهلال الخصيب وما وراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بأن العرب البائدة الارامية التى ترجع الى ارم بن سام بن نوح ومنهم قبائل ابراهيم الخليل هم العرب الاصليون الذين وضعوا لجميع الشعوب السامية لغتهم العربية الام وقد نزحوا حوالى اوائل الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق واستقروا فى مناطق بابل وارتباط الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز (اى بيت الله العتيق) لم يرد فى القرآن وحده بل ابرزته الكشوف الاثرية واللسنيات المقارنة حول الهجرات السامية .

ويرى المؤرخون العرب ان الاراميين من اصل واحد مع العرب البائدة او العرب العاربة ويؤكد ذلك ما ورد من ان الملك الاشورى اسرحدون (668 ــ 625 ق . م .) يشير فى كتاباته الى ان حزائيل ملك العربى اى العرب جاء خاضعا الى نينوى (1) وحزائيل اسم ارامى كما ذكر الدكتور هوميل ان الاراميين والعرب من عنصر واحد (2)

وقد تغلغلت اللغة الارامية فيما بين النهرين وفارس ووادى النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت اللغة الرسمية

---

1) Rogers, Cuneiform Parallels etc... p. 353

2) F. Hommel, «The Ancient Hebrew Tradition p 202

كتاب التقاليد العبرية القديمة

ولاحظ كروهمان ايضا فى بحثه عن تاريخ العرب ان الاراميين هم اسلاف العرب .

Encyclopedia of Islam N.E. p. 524

(دائرة المعارف الاسلامية ــ الطبعة الجديدة ص 524)

طوال قرون قبل الميلاد فى بابل وآشور وفارس ومصر والشام وبها كتب الانجيل على الارجح وقد قامت الارامية محل الكنعانية وظلت اللغة السائدة فى القرن السابع ق . م . حيث اخذت العربية تحل محلها وعزز الاستاذ دايرنجر (3) هذه النظرية مؤكدا سيادة اللغة الارامية من مصر الى آسيا الصغرى الى الهند وقد ابرز كروهمان علاقة الاراميين وقبائل « العبيرو » بالعرب قائلا :

« ومن المؤكد ان العنصر البدوى فى شبه جزيرة العرب وهو على الارجح مصطلح مرادف مع تسمية آرام وعبيرو وخبيرو وجد فى الاصل فى المنطقة التى تمتد بين سورية وبلاد ما بين النهرين والتى تعد اقدم مركز للساميين (4)

وكانت القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية تتكلم كلها لغة واحدة هى العربية الاصلية التى تفرعت الى لهجات احتفظت بخصائصها وسميت باللهجات او اللغات السامية تمييزا لها عن اللغات الآرية والطورانية ومن مميزات اللغة السامية اصولها الثلاثية الاحرف واشتقاقها الناتج عن مجرد تغيير الحركات .

ولم يعد هنالك ريب بعد الحفريات والكشوف الاثرية ان عصر ابراهيم الخليل وهو بداية الالف الرابعة قبل العصر الحاضر (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) هو عصر عربى لغته هى السامية العربية الام فقد انبثق الجفاف الشديد الذى اكتسح شبه جزيرة العرب عن سلسلة من الهجرات نقلت الكنعانيين والفينيقيين والعموريين العمالقة منذ ازيد من الف عام قبل عصر الخليل وقد لخص الدكتور احمد سوسة (5) فى هذه المعطيات مبرزا تفرعات اللغة السامية العربية الام الى لهجات قسمها اللسنيون الى مجموعات هى السامية الغربية بعناصرها الكنعانية والفينيقية والمؤابية والعبرانية والسامية الغربية الشمالية (العمورية والارامية) والسامية الشرقية (الاكدية البابلية والاشورية) واخيرا لهجات جنوبى الجزيرة العربية وهى المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية والذى يدل دلالة واضحة فى نظر الكثير من خبراء اللغة واللسنيات على ان العربية هى اللغة الاصلية اى لغة بدو الجزيرة العربية ما زالت الى الآن اقرب كل اللهجات المذكورة الى اللغة السامية الام .

وتعتبر هجرة الاكديين نحو الفرات فى العراق اقدم هجرة من هجرات الساميين العرب الذين انتقلوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات وقد نزحت ــ كما قلنا ــ جماعات اخرى من جزيرة العرب الى وادى النيل فى حدود الالف الرابعة قبل الميلاد ويقال بأنها حملت معها حضارة أرقى من حضارة مصر وهى التى جاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية (6) التى يكون اصلها ايضا عربيا مثل الكتابة الكنعانية وعمموا لغتهم مطبوعة بالطابع العربى كما يتجلى ذلك من النقوش المصرية القديمة (7) منها صورة ملونة لاسرة عربية مهاجرة من جزيرة العرب والعموريون العمالقة هم الذين اسسوا الانبراطورية البابلية القديمة (وهى ثانى امبراطورية سامية وقبلها الاكدية) بعد ان نزحوا من جزيره العرب منتشرين فى الشام ومن بينهم ملوكهم وفى طليعتهم حمورابى وهو الملك السادس الذى حكم 42 سنة بين 1792 و 1750 ق . م . وهو صاحب التشريع المشهور الذى يقال بأنه وضع اصالة باللغة العربية .

وقد اقام الاشوريون ثانى امبراطورية سامية وبينما اتجه الكنعانيون والعموريون والاراميون والاكديون والهكسوس نحو الشام والعراق ومصر مستهدفا بعضهم الفرات ــ اتجهت الى دجلة قبائل اخرى حوالى اواخر الالف الرابعة او اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد شمالى العراق على يمين دجلة فاسست مدينة اشور وهى عاصمة امارة صغيرة على نسق دويلات المدن الاكدية جنوبى العراق وقد تكلم الاشوريون بلغة سامية قريبة من لغة الاكديين جنوبا وكتبوا بالخط

3) D. Diringer the Alphabet 1948 p. 253
وقد اشار الدكتور احمد سوسة الذى ننقل عنه الى عشرات المصادر الاخرى
4) A. Grohmann, «The Arabs», the encyclopedia of Islam, New Ed. p. 525
(5) فى كتابه «العرب واليهود فى التاريخ» طبعة وزارة الاعلام العراقية 1972 .
(6) الدكتور محمد عزة دروزة « تاريخ الجنس العربى » ج 1 ص 26 .
(7) تاريخ مصر لبريستد والحضارة المصرية لفوستاف لوبون وتاريخ المدنية المصرية لفوستاف بيكى الخ .

المسمارى لغتهم الاشورية وينتهى حكم اشور القديمة فى نهاية مملكة بابل القديمة عام 1595 ق . م . وامتد العهد الاشورى الوسيط من 1595 الى 911 ق . م . والعهد الحديث من 911 الى 612 ق . م . (تكونت خلال هذه الفترة انبراطورية سامية ضمت مجموع الشرق الاوسط ومن ضمنه آسيا الصغرى وسواحل ايجة ومصر والخليج العربى وعيلام وقد سقطت نينوى عام 612 ق . م . وقد اهتم الاشوريون بالفنون الجميلة والادب وتركوا فى خزانة الكتب الواح الطين التى انشاها الملك اشور بانيال (669 — 626 ق . م .) الذى اخضع مصر كلها لحكمه ، وقد عثر على نحو 25 الف رقيم حضارى فى الحفائر حفظت فى المتحف البريطانى .

اما الكلدانيون (الاراميون) فيرجع اصلهم الى شواطىء الخليج العربى جنوبى العراق وقد اسسوا رابع انبراطورية سامية دامت 73 سنة بعد سقوط نينوي وسميت سلالة بابل الحادية عشرة وكان لهم ضلع فى تقوية علم الفلك وهم اول من جزأ الواحد الصحيح الى ستين وقسموا اليوم الى 24 ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية ووضعوا اول التقاويم الفلكية العالمية وعنهم اخذ فيثاغورس كما برعوا فى فن التطريز ورسم الصور عليه

واعظم ملوكهم بنو خننصر (605 — 562 ق . الذى قضى على مملكة يهوذا وسبى اليهود الى بابل وفى هذا العصر بالذات بدا التأثير العربى على بابل وما وراءها (8)

والكنعانيون العرب هم مخترعو الحروف الهجائية الالفبائية وعنهم نقلها الفينيقيون ثم اقتبسها من هؤلاء منذ منتصف القرن التاسع الميلادى الاغريقيون واللاتين وكتابات اللهجة الكنعانية القديمة هى حلقة الوصل بين الهيروغليفية (المكونة من خمسمائة صورة تكتب من الجهات الاربع) وبين المسمارية والابجدية السينائية وهذه الابجدية هى التى تفرعت عنها ابجديات منها الفينيقية والقرطاجية والبونية والليبية والارامية والنبطية والعبرية ويندرج الشمال الافريقى فى هذه المجموعة العربية لان اللغة البونية Langue punique هى اللهجة الدارجة الى اليوم فى المغرب العربى وقد عثر على رخامة فى البرازيل تحمل تاريخ 125 ق . م . اشار اليها الدكتور البرازيلى اديلونيتو وضمنها كتابه الانطروبولوجية (9) وهى مكتوبة باللغة البونية التى قورنت مع ترجمتها العربية فلوحظ انها لا تختلف عن لهجة تونس خاصة ودارجة افريقيا الشمالية عامة وعند ما دخل الموسويون ارض كنعان وجدوا قبيلة كنعانية يتزعمها نبى كنعانى يدعى بلعام ينشر فكرة التوحيد ويتمتع بمكانة روحية سامية (10) .

وقد الف مارينوس الصورى Marinus of Tyre كتابا فى الجغرافيا ووضع خارطة للعالم عام 120 للميلاد كانت تستند الى معلومات جغرافية فينيقية ويرى رولنسون (11) انه كان اول كاتب فى الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية فى صنع الخرائط المستندة الى خطوط الطول والعرض وعليه ارتكز بطليموس :

وكان القرطاجيون مثل الفينقيين يتسمون بالكنعانيين (12) .

وآخر من هاجر من الجزيرة العربية الانباط وهم قبائل بدوية انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد شرقى مملكة الاردن الحالية واقتبسوا من الاراميين ثقافتهم وتاثروا بلغتهم حتى غلبت الارامية عليهم ولهجتهم هى التى تطورت منها لغة القرآن كما ان خطهم هو خط كتبة الوحى وهو القلم النبطى المقتبس من القلم الارامى القديم .

وهكذا يمكن القول بأن الساميين عرب ولغتهم التى هى اللغة الام هى اللغة العربية والنصوص كلها

---

(8) راجع بحثنا « الفكر الصوفى واصوله » فى العدد الثالث من « اللسان العربى » (1385 هـ 1965 م)

(9) اشار اليها الاخ الاستاذ توفيق المدنى فى مجلة « تقويم المنصور » (العدد الثالث عام 1348 هـ) (راجع بحثنا فى مجلة اللسان العربى عدد 3 — 1384 ص — 1965 م

(10) الاصحاح 22

(11) Rawlinson - Phoenicia p. 404, 548

(12) Univ. Jewish Encyclopedia - vol. II p. 651

مجمعة على هذه الحقيقة ، اما العبرية فهى لهجة سامية متأخرة .

وقد تأكد من جهة اخرى ان اليهود هم بقايا يهوذا الذين نقلهم نبوختنصر الى بابل قبل الميلاد بستة قرون وقد تكلم الموسويون فى الاصل الهيروغليفية التى دونت بها شريعة موسى ووصاياه العشر لانها كانت لغة بلاط فرعون حيث تربى موسى ولم يعثر لحد الآن على اى اثر لهذه الشريعة الموسوية الاصيلة لان التوراة المتداولة اليوم ليست سوى ترجمة عبرية مشوهة مقتبسة من الارامية يرجع تاريخ هذه التوراة اليهودية التى لا علاقة لها بتوراة موسى الى عهد الاسر البابلى بعد ظهور موسى بثمانمائة سنة على ان يونس ارسل الى مائة الف او يزيدون من اهل نينوى فى القرن التاسع قبل الميلاد فكان ذلك انطلاقة اولى للموسوية فى ارض الاشوريين .

ويرى العالم اليهودى سيلفر (13) فى كتابه « موسى والتوراة الاصلية» ان التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى وحتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء انها الشىء الوحيد المتبقى من التوراة الاصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى اتى بها موسى

وظاهرة التشويه فى هذه التوراة المزيفة اشتمالها على شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية وخاصة شريعة حمورابى كما ابرز ذلك البروفسور ووتر من استنادا الى تحقيقات اركيولوجية على ان مزامير داود نفسها مشوهة وكذلك كل ما ورد فى العهد القديم لغلبة الطابع الكنعانى العربى عليه حتى من حيث اللغة اذ لم تترجم الى العبرية مدرجة فى التوراة الا فى عصور لاحقة فاللغة العبرية لم تكن اذن من اصول اللهجات السامية بل ليست هى نفسها سوى اقتباس من الارامية حفظت لنا كثيرا من مظاهر الحضارة الكنعانية العربية .

وقد اكد الكاتب الفرنسى جان لوى برنار J. L. Bernard ان الاحبار عبرنوا كل ما اقتبسوه من تواريخ الاقطار التى جاسوا خلالها ومنها سليمان الذى لم يكن يهوديا وانما كان اشوريا وهو شلما نصر ولو كان سليمان يهوديا لاستحالت — كما يؤكد برنار — الصداقة مع ملكة سبأ العربية بل اكد بروكلمن ان هؤلاء اليهود قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام اى من السلالة السامية .

ويرى بعضهم ان اسم يهوة اله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين فى جزيرة العرب وكان الكاهن الكنعانى ملك اورشليم يدين بالتوحيد كما كانت لغة داود وسليمان هى الكنعانية العربية التى اقتبسها الموسويون من بنى كنعان بعد دخولهم ارض فلسطين فكانت هذه المعطيات الكنعانية لغة وحضارة هى قوام التراث العربى وفى ضمنه التوراة الجديدة وقد سمى النبى اشعيا فى القرن الثامن قبل الميلاد اللغة كلها وفى ضمنها العبرية شفة كنعان اى لسان كنعان كما يقول مندنهول استاذ جامعة ميسيسفان الامريكية بنقل الدكتور سوسة على ان كلمة « عبرى » نفسها ومثلها « عبيرو » او « خبيرو » قد وردت فى الكتابات القديمة وكان يراد بالعبريين القبائل البدوية العربية وبذلك يوجه وصف ابراهيم الخليل فى التوراة بالعبرانى ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد فى دائرة المعارف البريطانية (14) من ان استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى يرجع الى الحاخامين بفلسطين فى عهد متأخر على انه تم العثور على كتابة من عهد رعمسيس الثانى وهو فرعون الذى وقع الخروج Exode فى عهده سميت فيها بقايا الهكسوس بـ « العبريو » والمقصود هنا القبائل العربية البدوية وهى التسمية التى عرف بها الهكسوس عند المصريين واسرائيل نفسها كلمة كنعانية عربية اطلقت على موضع فى فلسطين واشارت اليها فى هذا السياق كتابات مصرية قبل بعثة سيدنا ارض فلسطين الكنعانية العربية هى مهجر لحفدة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اغتربوا اليها نازحين من حاران او حران الحالية .

وكثير من التعابير والاسماء التى يظن انها عبرية الاصل هى فى الحقيقة عربية نذكر منها على سبيل

---

(13) A. H. Silver «Moses and the original Torath N.V, 1961
وقد اشار الدكتور احمد سوسة ايضا الى مرجع آخر هو « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » 1969 ص 8 .

(14) طبعة 1965 ج 11 ص 279

المثال فقط تسمية اورشليم (اى القدس) التى وردت فى الكتابات الكنعانية اى رسائل العمارنة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد (اى قبل عصر موسى بنحو مائتى سنة) وقبل ظهور العبرية ومدوناتها ومنها توراة اليهود (لا توراة موسى) بأزيد من الف عام وقد ورد ذكرها عبر الشعر الجاهلى فى شكل اوريشلم كما اعترفت التوراة نفسها فى نص صريح بعدم وجود اية صلة بين اليهود وهذه المدينة (15)

و « موسى » اسم مصرى قديم لا صلة له بالعبرية ولا بالعبريين وقد ورد ذلك احد فراعنة مصر باسم « آح ــ موسى » وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (1580 ــ 1546 ق . م) كما ان الكاهن الاعلى لمدينة ممفيس عاصمة مصر المشهورة فى عهد تحوطمس الثالث (1479 ــ 1447 ق . م) كان يدعى « بتاح موسى » (16)

وننشر فيما يلى بعض النصوص التى تشهد بعروبة الساميين :

فقد اكد سبرنجر Sprenger ان جميع الساميين عرب (17) :

وقال الاستاذ اولمستيد فى كتابه « تاريخ فلسطين» (ص 36) : « ان البدو العرب كانوا اول من تكلم باللغة السامية واذا اردنا ان نتفهم الخصائص الاصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا ان نتجه الى العربى ابن البادية السورية الذى يجوب شمال جزيرة العرب لان هؤلاء وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون ان يطرأ عليها اى تغيير » وقد ايده المستشرق عبد الله فلبى فى كتابه «تاريخ العرب قبيل الاسلام» حيث قال : « ان اللغة العربية التى يعترف الخبراء فى كونها اقرب من جميع اللغات السامية الى اللغة الام الاصلية التى اشتقت منها جميع هذه اللغات هى على اغلب الاحتمالات اقدم لغة فى العالم ما زالت حية حتى يومنا هذا » .

وقد لاحظ الدكتور جواد على فى كتابه « المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام » (ج 1 ص 255) ان جماعة من المستشرقين ترى ان اللغة العربية على حداثة عهدها بالنسبة الى اللغات السامية الاخرى هى انسب اللغات السامية الباقية للدراسة لانها لغة لم تختلط كثيرا باللغات الاخرى فبقيت فى مواطنها المعزولة اصفى من غيرها محافظة على خواص السامية القديمة

وقال فيلبى فى كتابه « تاريخ العرب قبيل الاسلام » (الاسكندرية 1947 ص 9) : « اننى اعتبر بلاد العرب الجنوبية (ومن ضمنها اليمن) هى الوطن الاصلى لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية » ثم لاحظ انهم هاجروا بسبب الجفاف الذى ظهرت بوادره بعد العصر الباليوليثى وهو العصر الحجرى القديم الذى يبدأ قبل 35 الف سنة نحو الشمال الى اطراف الهلال الخصيب .

وايد الاستاذ فيلبى خبير انثروبولوجى آخر هو الدكتور هنرى فيلد ملاحظا « ان اليمن وعدن كانتا مأهولين بالسكان فى العصر النيولوثى (وهو العصر الحجرى الحديث المحدد بين 7000 و 5000 ق م) . هاجر منهم الى عمان والخليج وآخر الى الصومال وكينيا وتنجانيقا وفريق ثالث الى نجران وسيناء وفلسطين .

وقد لاحظ الرحالة الالمانى شوينفرت ان القمح والشعير والجاموس والمعز والضأن والماشية وجدت فى حالتها لابدة فى اليمن وبلاد العرب القديمة قبل ان تستانس فى مصر والعراق (18) .

---

(15) الدكتور احمد سوسة (مقدمة كتابه المذكور)

(16) ادولف ارمان « ديانة مصر القديمة » الترجمة العربية ص 29 ــ 314 (نقلا عن كتاب العرب واليهود فى التاريخ) « المقدمة »

(17) الدكتور على حسنى الخربوطى «العرب والحضارة » ص 13 .

(18) العقاد ــ « اثر العرب فى الحضارة الاوربية » القاهرة 1960 ص 11 .

دخيل أم أثيل ؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 5 -

ساعـــور :

« من اسماء السيد المسيح فى الطقس المارونى ، من يزور القرى ويطلع على احوالها من قبل الاسقف» ار (= ارمى) : (سوعورو ـــ So'oûro) : زائر .

الذى يبدو أن اثل المادة اللغوية لكلمة (الساعور) هو (**زائر**) كما يشهد المعنى الارمى . والواضح أن اطلاق الكلمة بهذا المعنى الدينى ، او بالاحرى بهذين المعنيين الدينيين فى النصرانية قد كان من فعل الارمية ، لكننا نلاحظ ان « القاموس » يعرف الساعور بأنه : النار ، والتنور ، ومقدم النصارى فى معرفة الطب » مما يدل على اختلاف العرب فى فهم معناها ، ولئن كان القاموس مخطئا وهو ما هو فجهله بالكلمة ادل على انها قاصرة على الاستعمال الكنيسى وانها لم تدخل العربية او لم تكد تدخلها ، ولا سيما ان المعجم المسيحى (المنجد) لا يعطى اى معنى دينى للكلمة بل يكتفى فى تعريف (الساعور) بالقول انه : النار والتنور ، على الرغم من اهتمام هذا المعجم بالمفردات والتعابير النصرانية .

واية كانت الحال فان اثلها بتلك المعانى الدينية المختلفة هو (الزائر) الذى ينطبق فى الارمية «سوعورو» كالذى تقدم .

اما (الساعور) بمعنى النار والتنور فمن مادة « سعر » التى منها (السعير) .

السعفـة :

« جريدة النخلة ، اى غصنها المجرد عن الورق » . ار : (سرعفتو ـــ Sar'efto) غصن .

اثل الكلمة (عصف) الريح اى شدة هبوبها ، ومنها (العصوف) ــ كالعجوز ــ و « العصيفة » : الريح الشديدة . ومنها كذلك (العاصفة) . ومن ثم انتقل معنى (العصيفة) الى ما عصفت به الريح ، ثم الى الورق الذى ينفتح عن الثمر ، والورق المجتمع الذى يكون فيه السنبل ، كالتبن ، وعصف التبن : حطامه. وبقلب الكلمة ظهر (العفص) : الحب المعروف المستعمل فى الدباغة ، جاء اسمه من سقوطه عن شجرته حين تعصف الريح بها .

وبقلب وابدال وتغيير حركة ظهر (السعف) ــ زنة الخزف ــ الذى اطلق على جريد النخل ، اى اغصان النخل التى انجرد ورقها ، وعلى خوصها اى ورقها المنجرد ، والظاهر ان الكلمة اطلقت اولا على الغصن كله وهو على النخلة من معنى (عصف) الريح به وتحريكه ، بدليل ان الكلمة ما زالت تعنى ذلك فى العراق ومنه قولهم « يرجف مثل السعفة » لدوام اهتزاز السعف فى ادنى هبة ريح . اما السعفة المجرود ورقها فيسمونها الجريدة وجمعها الجريد .

على ان مادة (سرعف) الارمية قد ظهرت فى العربية اولا ، ومنها (السرع) و (والسرف) ، ولناخذ (السرع ــ بالفتح او الكسر ــ لانه ما زال فيه معنى الغصن ، فهو قضيب الكرم ، او كل قضيب رطب ، ثم (سرفت) ــ كنصرت ــ (السرفة) الشجرة : اكلت ورقها ، اى جعلتها مجرودة كجريدة النخل . و (السرفة) ــ بالضم ــ دويبة تعيش على ورق الشجر كما هو واضح . ثم نأتى الى السرعوف ــ كالعصفور ــ وهو من اسماء الجرادة لانها تجرد اعواد النبات كذلك ، ثم اطلقت الكلمة استعارة على « دابة تاكل الثياب » . ومن الاكل انتقل المعنى الى الغذاء فقالوا سرعفت الصبى : احسنت غذاءه ، فتسرعف !

هذه التشعبات تدل على ان مهد الكلمة هو العربية، ومنها انتقلت بالوراثة الى بنتها الارمية .

السعـــوة :

الشمعة ، ار : (شموتو ــ Ch'oûto) مادة الشمع .

ساب وساج (= جاء وذهب) وساح وسار (ومنها : سرى) وسال وسام وساع (ومنها : سعى).. كلها من اسرة لغوية واحدة . وتهمنا منها (ساع) فقد قالوا ساعت الابل : سرحت وتخلت بلا راع ، ومن ثم ساع الشيء : ضاع وزال . ومن اخواتها : ضاع وشاع وذاع . ومن معنى الضياع والزوال صار السوع والسواع يعنيان : الطائفة من الليل . وكذلك السعو (زنة الصحو) والسعو (كالصنو) والسعوة (كالندوه) والسعوة (كالنسوة) والسعواء (كالانشاء) والشعواء (كالقربان) كلها تعنى الساعة من الليل . ومنها (السعوة) ايضا تعنى الساعة من الليل ومن ثم الشمعة كذلك لانها توقد فى ساعات الليل ولم يكتفوا بتوليد معنى الشمعة من هذه المادة بل ولدوا معنى السهر ايضا حين استعملوا (السعاوى) ــ زنة الفلانى ــ بمعنى الصبور على السهر . ومن ثم ظهرت فى الارمية حيث دخلت طورا آخر فصارت تعنى مادة الشمع ، لا الشمعة التى يستضاء بها فى ساعات الليل عند السهر . كلمة حضارية اخرى .

السفـــوف (زنـــة الصبـــور) :

(دواء يؤخذ غير ملتوت اى غير مبلول بالماء) . ار : (ســـوفـــوف ــ Soûfoûf) .

هذه الكلمة من المفارقات التطورية ، فاصل المعنى مائى ، ذلك ان اثل الكلمة هو اشتف مـا فى الانـاء واستشفه : شرب كل ما فيه . والمعنى ناشىء من صوت الارتشـاف ، ثم ظهـر منـه الاشتفـاف والشفـة والشفـر

ثم هم نطقوا الكلمة بالسين فقالوا سف الرجل الماء اكثر من شربه ولم يرو . ومن عدم الارتـواء انعكس المعنى فصار يدل على الجفاف حيـث قالـوا اسـف (بتشديد الفاء) الرجل البعير : علفه اليبيس ! ومعنى هذا العلف اليبيس انتقل الى ما يتناوله الانسان مـن انواع الدقيق منذ قالوا سففت الدواء او السويق او نحوهما : اخذته غير ملتوت . وسمى الشيء المسفوف (السفـوف) .

السفود (زنـة البلـوط) :

« حديدة يشوى عليها اللحم » . والاصح ما ذكره القاموس : يشوى (بها) . ار : (شفودو Chofoûdo)

هذه الكلمة العربية تقلبت فى اطـوار شتـى . ولا حاجة بنا الى الرجوع بها الى رسمها الاول بل نكتفى بأن نمسكها فى مرحلة (**التسوية**) . ومنها نشأت صيغ مختلفة ندرج منها لاعطاء فكرة عنها هذا المقدار :

سوى (تسوية) . صفـى « تصفيـة » . سفـى (سفيا) ، سف ، صف ، سفن ، سفـط ، سمط ، سبط ، سبد ، سفد ...

فالمكان (السوى) ــ زنة القوى ــ هو (المستوى) ، ومنه (تسوية) الارض . ومن ثم صارت (**السبسب**): الارض المستوية البعيدة ، على قـول المعجم . ثـم (**الصفصف**) : المستوى من الارض ، ومنها الآيـة : « قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا » . ثم ظهرت ــ او لعلها ظهرت قبل ذلك ــ صيغة (**صف**) الطائر : بسط جناحيه فى طيرانه فلا يحركهما . ثم (صف) المرء الشىء : نظمه طولا مستويا ، وصففت القوم : اقمتهم صفوفا فى الحرب او الصلاة او نحو ذلك .. و (**صففت**) **اللحم** : شرحته طولا ، و (الصفيف) : مـا صف فى الشمس ليجف او على النار ليشوى . ثم قيـل **سفـد** اللحم تسفيدا : نظمه فى (**السفود**) للاشتواء . اى ان (السفود) سمى بذلك من معنى تسفيد اللحم فيه. وقد ظهرت صيغ كثيرة اخرى اختلفت معانيها ، نذكـر اشبهها بالسفود وارقاهـا وهـو سمط اللؤلـؤ . و (السمط) ــ بالكسر : الخيط ما دام الخرز او اللؤلؤ منتظما فيه .

السفـر (زنـة الفكـر) :

الكتاب الكبير . الجزء الكامل من التـوراة . ار : (سفـرو ــ Sefro) : كتاب .

قبل الكلام عليها ندرج هذه الاخوات من الكلمات :

ربع ، ربث ، ربد ، ربز ، ربس ، ربض ، ربط .. الخ واصل معناها الاقامة بالمكان . ومن ثم ظهر فى بعضها معنى القيد مثل ربط وربد وربق وربك .

ومن القيد ظهر معنى الحبس والمنـع ثم النهـى كقولهم ربثه وربده : منعه وحبسه . ويبقى من معنـى المنع فى (ربس) قولهم اربسه ارباسا : راغمه . وكل من (ربس) وبنتها « **زبر** » تعنى الشدة والضخامـة والضرب ، بسبب تطور المعنى . لكن (زبـر) تحتفظ بمعنى المنع ومنه معنى العقل ، كشـأن (النهيـة) ــ بالضم ــ التى نشأت من النهى باعتبار العقل ينهى عن الخطأ وسوء التصرف ، وشبيه بهذا معنى الوازع والرادع . فمن هذا قالوا ان (**الزبر**) ــ زنة الصبر ــ هو العقل الذى (يزبر) وينهى . ثم صار الزبر يعنى الكتاب تطورا ، ثم الكلام كذلك . ثم نشأ (الزبـر) ــ زنة البئر ــ بمعنى الكتاب ، ومن ثم قيل (زبرت) الكتاب : كتبته ، و (التزبرة) : الخط والكتابة ، ثـم صيغ (**الزبور**) بمعنى ذلك الزبر اى الكتاب ، واستعير لمزامير داود فغلب استعماله عليها . وقد كان (الزبور) اول الامر فيما نظن مـرادفا (**للزبر**) ــ كالصغير : الشىء المكتوب . ومعلوم ان صيغتى الفعول والفعيل جاءتا فى العربية كلتاهما بمعنى المفعول (كما جاءتـا بمعنـى الفـاعـل) .

ومن (الزبر) نشأ « **السفـر** » ــ وكلاهما بالكس ــ بمعنى الكتاب الكبير . ومنه بالارميـة (**سفرو**) . والظاهر ان دور الارمية هنا هو اطلاقه علاوة على ذلك على الجزء الكامل من التوراة .

ويبدو كذلك ان الزبر هـو اصـل الفسر والتفسير والسبورة التى يكتب عليها ويمحى .

السـافـر :

الكتاب . ار : (سوفرو ــ Sofro)

بعد كل هذا العناء الذى اثبت لنا ان كلمة (السفر) عربية النجار ، واضح ان (**السافر**) ما هو الا صيغة الفاعل التى اثلها الزابر اى الكاتب ايضا .

السفسيـر :

السمسـار . ار : (سفسـيرو ــ Safsiro)

مـن (سفسـر ــ Safsar) : سايوم .

السفيـر والسفسار اثلهمـا **السفير** ، وهذا مـن **السفـر** . فقد كانوا ينتدبون شخصا يطلبون اليه ان يسفر اى يسافر ليقنع خصوما لهم فى حل مشكلـة ، ومن هنا قيل سفر فلان بين القوم : اصلح ــ وسمى الشخص المنتدب **السفير** بمعنى الرسول المصلـح بين

طائفتين من القوم . ومن الطبيعي ان يختاروا لمثل هذه المهمات والملمات سفيرهم من ذوى الكياسة والحذاقة. ومن السفير صيغ (**السفسير**) الذى يقول المجد الفيروز ابادى انه : القيم بالامر المصلح له ، والرجل الظريف، والعبقرى الحاذق بصناعته ، الخ ... بالاضافة الى الخادم والتابع والسمسار الذى يسفر بين البائع والمشترى ، اى يتوسط .

ومن السفسير اشتقت صيغة السفسار (بمعنى الجهبذ على رأى صاحب القاموس) .

واذا غفرنا لمجد الدين عدم تفطنه الى ان السفسير والسفسار متطورتان من السفير ومن ثم توهمه كغيره من اللغويين انهما دخيلتان ، فليس من السهل ان نعذره اذ لم ينتبه الى انهما كلمة واحدة فقال عن السفسير انها من الفارسية وعند ما جاء دور الكلام عن السفسار قال انها رومية ! .. مع انه يدرجهما كلتيهما تحت مادة لغوية واحده .

وقد ظن آخرون ان اللفظتين من الارمية ومنهم اللغوى الفاضل مؤلف الكتاب الذى نناقشه : « غرائب اللغة العربية » . ويلاحظ ان معنى السفارة بين البائع والمشترى اى السفسرة والسمسرة : قد نشأ منه فى الارمية فعل (سفسر) بمعنى المساومة . اى ان اسم (**سفسيرو**) لم ينشأ من فعل « **سفسر** » كالذى يذهبون اليه ، بل العكس الصحيح .

السفط (زنة الشفق) :

وعاء كالقفة . ار : (سفوطو ـــ Sfoto)

راينا كيف نشأ (**الصف**) ثم « **السفود** » من معنى صف اللحم فيه و (**السمط**) من معنى نظم الخرز واللؤلؤ . وقد نشأ (**السأف**) ـــ زنة الساق ـــ بمعنى الصف من اللبن او الطين في بناء الجدار . ومن ثم نشأت (**السفة**) ـــ زنة السرة : ما ينسج من الخوص ، وحزام الرجل ، والهودج . نظنهم قالوا ذلك لان الحوض ينسج سافات كالحزام تدور حول نفسها مثل القوتمة لتكون وعاء كالجوالق او القفة . وكما نشأ (سفد) من « سف » ، نشأ منها « **سفط** ». ومن هنا جاءت تسمية (**السفط**) : الوعاء الذى ما يزال موجودا فى العراق يوضع فيه التمر ويسمى (الحلانة) او « الحصافة » ـــ كلتاهما بالتشديد . وقديما اطلقوا السفط كذلك على وعاء يعبأ فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء .

اما فى الموصل فان (**السبت**) ـــ بفتحتين ـــ يطلق على وعاء صغير بيضى الشكل مصنوع من اعواد السنابل وله غطاء من جنسه ، توضع فيه بعض اللوازم كادوات الخياطة من مثبر وخيوط وازرار وما اليها من صغار ادوات النساء .

وتظهر الكلمة فى الفارسية بصورة (**سيد**) ـــ بفتحتين : سلة . وبينما يذهب بعض اللغويين الى ان (السفط) العربى اثله « **سفوطو** » الارمى يتوهم آخرون انه من (سبد) الفارسى .. على حين ان كلتا اللفظتين منحدرة من (السفط) العربى على زعم التأثيل اللغوى .

سفلة الناس :

ار : (شفل ـــ Chfel) : سافل ، حقير .

اثل الكلمة (**السف**) . قالوا سف او اسف (كلاهما بالتشديد) الطائر او السحاب : مر على وجه الارض. ومن هذا نشأ قولهم **سفت** الريح (زنة ذهبت) : هبت على وجه الارض . ومن الاسفاف قالوا **اسف** الرجل : تتبع الامور الدنيئة . ثم نجمت صيغة (**سفل**) وتنطق بمختلف الحركات بكلا المعنيين الآنفين ، المادى والمعنوى ، فقيل سفل الشيء سفولا وسفالا : نقيض علا علوا ، وسفل الرجل : كان نذلا فهو (**سافل**) و (**سفيل**) . وجمع السافل : **سافلون** ، **وسفلة** (زنة قتلة) ، **وسفل** « بضم فشدة مفتوحة » ، **وسفال** (زنة عذال) ، **وسفلان** « زنة ركبان » .

اما **سفلة** القوم (بكسر فتح) **وسفلتهم** (بكسر فسكون) : فغوغاؤهم وسقاطهم . ولا نعرف لماذا اختاروا هذه الصيغة الاخيرة من كل الصيغ فى المعجم العربى مما ذكرنا آنفا ، وما لم نذكر ، ليقولوا انها مقتبسة من الارمية (**شفل**) مع ان هذه تعنى الفرد والكلمة العربية تعنى الجماعة ، وكان اجدر بهم ان ينتقوا صيغة (السفيل) لمطابقتها لفظا ومعنى . والذى

يبدو لنا ان الصيغة الارمية من صيغة (السفيل) هذه بالذات .

السفينة :

ار : (سفيتو — Sfito) من (سفن — Sfan) بنى بالواح .

نحسب ان هاتين الصيغتين الارميتين ليستا كلمة واحدة بل كلمتين لكل منهما اثله فى العربية . اى ان (سفيتو) ليست من «سفن» بل من « السفط » ، كما ان « سفن » من « السفينة » .

والسفط الذى قلنا انه ينطق بالدارجة الموصلية (سبت) وانه وعاء بيضى الشكل يذكرنا بشكل السفينة فقاعدته مثل قاعدتها اى ضيقة طويلة ، ولا يستبعد ان يكون العرب قد سموا السفينة (سفطا) او « سبتا » (سفتا) او شيئا من هذا القبيل تشبيها لها بالسبت الزورقى الشكل . وبعض الدارجات العربية كالسورية تسمى السفينة (ماعون) اى اناء ، مثلا . ويشجعنا على مثل هذا الاستنتاج ان السفط فى المعجم : وعاء كالقفة — زنة القوة — او الجوالق ، وان القفة : وعاء من الخوص كالزنبيل ونحوه ، وان الدارجة العراقية تطلق (القفة) ايضا على نوع من القوارب مستدير منسوج من الخوص ومطلى بالقار .

اما السفينة فمأتى لفظها هو (**السف**) من قولهم سف الطائر : دنا من الارض فى طيرانه ، ثم (**المسفسفة**) : الريح التى تثير ما دق من التراب وتجرى فويق الارض. دليلنا على ذلك قولهم **سفنت** الريح : هبت على وجه الارض . ثم قيل سفنت الشيء : تشرته ، استعارة من تلك الريح التى تقشر ما دق من التراب عن وجه الارض. ويرى الفيروز ابادى ان (**السفينة**) سميت بذلك لتشرها وجه الماء ، لكننا نرجح انها انما سميت بذا تشبيها لها بالريح الهابة على وجه الارض التى تسمى (السافنة) و « السفون » كذلك . ومثل هذا تسميتهم السفينة (جارية) ايضا لانها تجرى على سطح الماء . ويبدو لنا ان (**السفين**) كانت مرادفة لهذه (**السفون**) كترادف فطين وفطسون ، ثم فلسطين وفلسطون .

ولما كانت السفينة تبنى بالواح من الخشب ظهرت فى الارمية صيغة (سفن — Sfan) بمعنى : بنى بالواح .

ولنتطرق بالمناسبة الى هذا (**السفين**) الذى صار المحدثون يسمونه (**الاسفين**) والذى يظنه اللغويون دخيلا ايضا . فقولهم سفنت الشيء (بالتشديد) يعنى تشرته ، ثم صار يعنى كذلك : نحته ولينته ، ومن ثم صار « المسفن » و (السفن) — زنة الوثن : ما ينحت به ، اى المنحت والازميل . ثم صار (السفين) حديدة او خشبة — على شكل راس الازميل او نحوه — تستعمل لفلق الحطب او غيره . ولا ندرى لماذا يظن اللغويون ان هذا (السفين) وتلك « السفينة » من دون جميع الصيغ الاخرى من مادة (س ف ن) دخيلان ، وقد ذكر الاب نخلة (السفين) ضمن المقتبسات من الاغريقية (Sfin) لكن هذا التأثيل الطويل يدل على العكس .

سقر (بفتحتين) :

(ممنوعة من الصرف) : جهنم . ار : (شكورو — Chgoro) احراق ، من ا شكر Chgar) : احرق بالنار .

شعت الشمس (بتشديد العين) : نشرت اشعتها، **وشعشعت** : انتشر ضوؤها . ومن هذا نجم قولهم **شيعت** الشيء بالنار : احرقته ، ثم **شعلت** النار واشعلتها : الهبتها . ومن ثم **سعرت** النار (بالتخفيف او التشديد) :اشعلتها ، و « **السعير** » : لهيب النار ، وهو ايضا من اسماء جهنم . ثم قيل **سجرت** التنور : ملأته وقودا واحميته . ثم **سقرته** الشمس : لوحته ، والسقرة (زنة الصخرة) : شده وقع الشمس . والساقور : الحر ، وحديدة تحمى وتكون بها البهيمة .

وواضح ان (السقر) من نفس مادة : السعر والسجر والشعل .. فلا غرابة ان تعنى (**سقر**) — بفتحتين — نفس ما تعنيه (السعير) اى جهنم .

اما الصيغتان الارميتان الآنفتان فمأتلهما العربى المباشر فيما يظهر (سجر) .

الساقية :

نهر صغير . ار : (شوقيتو — Choqito) : نهر صغير جدا ، ترعة لرى الارض .

(**السقى**) فى العربية يعنى اعطاء المـاء للشرب . وسقيت الارض : رويتها . لها مشتقات كثيرة كالسقاية والسقيا والسقى (زنة الشقى) والاستسقاء والسقاء (كالنجار) والمسقاة .. الخ ، ومن جملة هذه المشتقات (**الساقية**) بمعنى النهر الصغير ، وتعنى فى العـراق الجدول الصغير فى الحديقة او المزرعة يساق فيه المـاء للرى ، وهى صيغة اسم فاعل ومن امثلتها : الداليـة والجارية (السفينة والطفلة لانهما تجريان) . وهى فى العربية قياسية جدا واشتقاقها طبيعى لانها تسقى الزرع فعلا . ولا ندرى لماذا يظنونها من دون الصيـغ الاخرى مقتبسة من الارمية ، الا على اعتقـادهم بأن المصطلحات الزراعية دخيلة فى العربية ، كالذى تقـدم التحدث عنه وتفنيده فى عدد من الالفاظ الحضارية مـن صناعية وزراعية وطبية ثبت لنا على نحو قاطع لا يتسرب اليه شك انها اثيلة فى العربية وان الارمية لا بد من ثم ان تكون هى التى اقتبستها .

السـك :

المسمار . أر : (سيكو — Seko) : وتد .. (سكك — Sakek : سمر (بالتشديد) .

السك فى العربية اثله **الشق** ، ومن هنا سميت حديدة المحراث (**سكة**) لانها الجزء الذى يشق الارض من مجموعة جسم المحراث وتطلق السكة بالدارجة الموصلية كـذلك على وتـد مـن حديـد يدمق فى الارض وله فى راسه حلقة يربط بها رسن الدابة ، ومن هنا تطور المعنى فأطلق (السك) على المسمار . وله فى العربية مرادف من لفظه ومعناه وهو (**السكـى**) — بفتحـة فكسرة مشددة . اما (**سيكو**) الارمية فتعنـى الوتـد كالسكة فى الموصلية وقد جاءها معنى المسمار من (السك) الذى صيغ منه فى الارمية فعل (**سكك**) بمعنى التسمير

ومما يؤيد عروبة الكلمة وتأثلها من (الشق) هـو ان (Seco) باللاتينيـة : يقطـع ، و (Sica) سكين او خنجر ، وواضح ان هذه الصيغة من (السكة) التى تشق الارض .

سكـة المحـراث :

وكذلك : سكة النقد وهى حديدة منقوشـة تضرب عليها الدراهم . أر : (سكتو — Sekto)

سكة المحراث تحدثنا عنهـا كافيا ضمـن تأثيـل (السك : المسمار) توا . اما سكة النقد فيبدو لنا انها من اثل آخر وهو (**الصك**) . فقد قالوا صك الرجل : ضربه شديدا او لطمه ، واصطكت ركبتاه : اضطربتا فضربت احداهما الاخرى . ونظن ان سك النقد قد تأتى من معنى الضرب .

لهذا كانوا يكتبون على الدرهم والدينار « ضرب فى بغداد » مثلا بمعنى (سك) — بضم السين واستمـر ذلك فى العهد العثمانى حيث ظلوا يطبعون بالعربيـة على النقود « ضرب فى القسطنطينية » .

السكـر (زنـة السهـر) :

الخمرة كل ما يسكـر . أر : (شكرو — Chakrro) كل مسكـر غير الخمـر .

اثل الكلمة من (**السك**) بمعنى السد والاغـلاق . فذلك حيث قالوا سك الباب او سكره (بفتحتـين) : سده . ومجازا قيل سكر البصر : حبس عـن النظـر وتحير . وسكره (بالتشديد) : حبسه .. ومن ذلك الآية « سكرت ابصارنا : حبست نص القاموس . ولما كانت غطيت وغشيت » حسب نص القاموس . ولمـا كانت الخمر تصنع بالبصيره — العقل — مثل هذا الصنيـع بالبصر ، صار (**السكر**) — وينطق على اربعة اوجه — و (السكران) — زنة الخفقان — تعنيان ما تحدثـه الخمر فى شاربها من ذهول العقل وما يصيبه من حيرة وغشيان . ثم اطلقت كلمة (السكر) — بفتحتين — على الخمر وكل ما يسكر ، كمـا اطلقت على الخـل استعارة ، وعلى الغضب والغيـظ لانهمـا يذهبـان بالصواب ، وعلى الامتلاء والطعام ربما لان الاكثار منه يسبب كلال الذهن اـ تغطيته !

فبعد ان عرفنا كيف نبتت الكلمة وتطور معناها من الاغلاق الى ذهوب العقل لا داعى الى الظـن بأنهـا مستعارة من لغة اخرى .

السكـر (زنـة الفكـر) :

ما سد به النهر . أر : (سكورو — Skoro)

هذه الكلمة من معنى السد والاغلاق ايضا ، فقـد قالوا سكرت النهر : جعلت له سدا ، مثل قولهم سكرت

الباب : سددته . وتدليلا على اثالة الكلمة نعيد القول انها من (**السك**) وهذه مـــن « **الصك** » وكلها تعنـــى السد ، وكانت فيما نرى تعنى صفق البـــاب اى سده بشدة تحدث صوتا ، و (الصك) من « **الصبح** » اى صوت وقع الحديد على الحديد .

سكـــر البـــاب :

اغلقه . ار : (سكر ـــ Skar) : اغلق

فعل (سكر) يجوز هنا نطقه بالتخفيف والتشديد. وكفانا تحدثا عن الصك والسك والسكر ومنه التسكير

وهذه مادة لغوية واحده (سكر) استخرجوا منها اربع صيغ اعتبروها دخيلة فى العربية .

تسكـــن :

صار مسكينا . ار : (اتمسكن ـــ Etmasken)

لماذا ياترى لم يلاحظـــوا ان فعـــل (تمسكـــن) فى العربية اقرب الى الصيغة الارمية من (تسكـــن) ـــ بتشديد الكاف ـــ فذكروا البعيد واهملوا القريب ؟ مهما يكن فان المعنى جاء من **السكون** والهدوء فعلا . واقتران معنى السكون بمعنى الفقر يتضح طريقنا من لهجتين عراقيتين . فبالموصلية يقولون ان الولد (مسكـــين) بمعنى هادىء مسالم ، وكذلك يطلقـــون الكلمـــة على القط الهادىء وكل حيوان مسالم ، واما بالدارجـــة البغدادية فيستعملون كلمة (فقير) بنفس هذا المعنى وبمعنى المعوز ايضا ، فالكلمة عندهم مشتركة المعنى. على ان المعجم قد كفانا مؤونة الاستقراء والاستنباط فأوضح لنا كيف انتقل معنى السكـــون الى المسكنـــة والفقر حيث قال اسكن الفقر فلانا : قلل من حركته ! وقد فطن المعجميون الى اثل نشوء الكلمة فأدرجـــوا التمسكن والمسكنة والمسكين فى مادة (سكن) .

وان كان القائلون باقتباس الكلمة من الارمية قـــد اختاروا من العربية صيغة واحدة تعنى (صار مسكينا) فقد ورد فيها بهذا المعنى خمس صيغ هـــى : سكـــن (بفتح الكاف) سكونا ، وسكن « بضمه » سكونة ، وتسكن (بالتشديـــد) تسكنا ، وتمسكـــن تمسكنا ، واسكن اسكانا .

ومما يدل على سوء حال المعلم منذ الازل انهم كانوا يسمونه بالبابلية : **مسكينـــو !**

استكـــان :

خضع ، ذل . ار : (سكن ـــ Saken) : افتقـــر .

الواقع ان كلا الفعلين (**استكـــان** استكانـــة) و (**استكن** استكنانا) يعنى الذل والخضوع . واستعمال (**سكن**) فى الارمية بمعنى الافتقار ناجم مـــن تشابك المعنيين على النحو الذى راينا .

سكـــان السفينـــة :

ار : (سوكونو ـــ Sawkono)

الذى يبدو لنا ان الاثل هو (**السكين**) ـــ بتشديـــد كسرة الكاف ـــ اى المدية ، وهذه من (**السكـــة**) لان دفة السكان تتصل بالعمود الذى يديرها على نحـــو اتصال سكة المحراث بعموده .

السكين (زنـــة السكيـــر) :

ار : (سكينـــو ـــ Sakîno)

انها كالذى قلنـــا مـــن (**السلـــك**) الـــذى اثلـــه (**الشـــق**) ، وتسمى باللاتينية Sica) كما قلنا مما يدل على ان السكين والسكة كانتا مترادفتين فى العربية ثم اختلف معناهما . وكنا ذكرنا كذلك فى بحث سابـــق ـــ وفى كتابنا « مغامرات لغوية » ـــ ان (السكين) تسمـــى بالسكونيـــة (Seaxa) و (Seaxan) ومن هذه الثانية انبثـــق اسم السكسون ـــ Saxon)

فلا جرم ان تظهر فى الارميـــة اقـــرب الى الصورة العـــربيـــة (**سكينـــو**) .

السـل (زنـــة القـــل) :

يحيلنا المؤلف على (النملة) فيمـــا يلى . فلنرجىء الكلام عنها الى حينئذ .

السـلاء (زنـــة التفـــاح) :

شوك النخل . ار : (سلوو ـــ Salwo) : شـــوك

(الاس) ــ بفتح الهمزة او كسرهـا او ضمهـا : الاساس ومبتدا الشيء . ومنه نشـأ **(الاسـل)** ــ بفتحتين ــ الذى اطلق على نبات دقيـق الاغصـان طويلها وعلى الرماح . وواحدة الاسل (الاسلة) تعنى كذلك راس اللسان على قول المعجـم ، الا انهـا فى الواقع راس كل شيء حاد من رمح وغيره . ومهما يكن فقد نشأ منها **(السـلاء)** موضوع كلامنا الذى اطلق على الشوك عامة اول الامر ، وقد دخل الارمية بهذا المعنى ، ثم تخصصت بشوك النخـل فى العربيـة ، وواحداته (السلاءة) ــ كالرمانة ــ التى تعنى كذلك « اى نصل كشوك النخل » .

السلـــة :

ار : (سلتـو ــ Salto)

السل (كالتـل) **والسلة** « كالحبـة » مترادفتان، شاء المؤلف ان يعتبرهما كلمتين فذكرهما منفصلتين ، بينما هما كلمة واحدة تذكر وتؤنث مثل النجم والنجمـة والضفدع والضفدعة . ومهما يكن فان هاتين الصيغتين يبدو انهما قد نجمتا من **(الاسل)** ــ زنـة العسل ــ وهو عيدان تنبت بـلا ورق تنسـج منـه الحصر ــ بضمتين ــ جمع الحصير . ومعلوم ان السلـة ليست الا حصيرا مقعرا على شكل وعاء .

السلـة (زنـة المظلـة) :

هى الابرة الضخمة تخاط بها الجوالق ونحوهـا . سميت بهذا لانها (تسـل) من النسيج بعد ادخالهـا فيه عند الخياطة ، او لعل الكلمة مشتقة من (سلاء) النخل آنفا .

سلـخ :

الخروف ونحـوه : نـزع جلـده . ار : (شلـح Chlah نـزع ثـوبـه .

هذه اثلها من قولك **سـل** الشيء واستله : انتزعه برفق . وقد نشأ منها : سلب وسلت وسلح وسلـخ وسلغ وسلف وسلك .. ومنها كذلك شلحـه تشليحا (عراه) ومما يؤيد ان « السلخ » من « السـل » قول المعجم « سلخ الله الليل من النهار : استله » .

السلـخ :

جلد الحية . وينطق بفتح السين او كسره . ار : (شلـوحـو ــ Chloho)

هو من نفس المادة اللغوية ، بمعنى نزع الثـوب او الجلد . فقد قالوا سلخت المراة درعها : نزعتـه، **وسلخت** الحية : نزعت سلخها . والاثل **(السـل)** كمـا رأينـا .

السلسلـــة :

ار : (شيشلتـو ــ Chichalto)

نظن التسمية قد تأتت من **الشلشلـة** ــ بالفتح ــ وهى نزول المـاء قطرات . والماء الشلشـل (زنـة المرمر) والمتشلشل : المتتابع القطـر ، والشليـل : مجرى الماء فى الوادى ، او وسطه . ومنهـا انشـل (بتشديد اللام) السيل : ابتدا فى الاندفاع قبـل ان يشتد . والشلال (بالتشديد ايضا) معروف .

ثم ظهر من ذلك قولهم **تسلسل** الماء : جرى فى حدور (بضمتين) ، ثم صار السلسل والسلسال والسلاسل (زنة تماضر) : الماء العذب ، ثم **السلسبيـل** : المـاء العذب السهل المستساغ .

ومن تسلسل امواج الماء الجـارى نشـأ اسـم **(السلسلة)** فيما نرجح ، تشبيها لحلقاتها بالامواج . ومن امثلة اقتران الموج بالتسلسل قول شوقى :

حلـو التسلسـل مـوجـه ، وخريـره
كأنـامـل مـــرت علـــى اوتـــار

ومن بقايا تطورات السلسلـة نجـد فى الدارجـة السورية **(سنسفيل)** : الاجداد) : سلسلة نسب الاجداد وتقابلها بالدارجة الموصلية **(سنسلة** النسب) . وفيها ايضا **(السنسول)** : فقرات العجز .

ومن هذه الصيغة الاخيرة او نحوهـا نشـأت فى الدارجة العراقية صيغة **(الزنجيل)** بمعنى السلسلة.

وهى على كل حال تظهر فى الفارسية بصورة **(زنجير)** وهى مستعملة فى بعض الدارجات العربية ايضا مما يجعلنا نتساءل هل هى الاثل ام الفارسية ؟! وينطقها بعض العرب (جنزير) .

السلطة (زنة السلعة) :

سهم طويل دقيق . ار : (شولتو — Cholto) سهم يرمى باليد او بآلة .

يبدو من استقراء افراد اسرة الكلمة — وكثير عديدها — انها من **التزلج والتزلق والتزلم** .. التى تعددت وتباينت معانيها . ونشأت علاقتها بالسهام من مثل قولهم **تزلج** السهم عن القوس : تزلق ، وسهم زلوج : يتزلج عن القوس . ثم **الزلم** (كالقلم) : السهم لا ريش عليه ، والمزلم (كالمظفر) والزليم من السهام: الذى اجيدت صنعته .

واذا انتقلنا الى مادة **(سلط)** نجد ان « السلط » — بفتح فكسر : النصل لا نتوء فى وسطه . ولعل هذا منشأ تسميتهم السهم الطويل الدقيق (سلطة) .

السلطان :

السلطة،حاكم دولة . ار : (شولطونو Choltono)

السلطان والسلطة من **(السيطرة)** وهذه من **(السطر)** اى القطع ، فقد قالوا سطرة بالسيف : قطعه ثم سطرت الرجل : صرعته ، ومن ثم صارت المسطار (بضم الميم او فتحه ، وكلاهما يؤنث) : الخمرة الصارعة لشاربها . ومن اخواتها سلقت الرجل: صرعته وبسطته على ظهره . ومن هذا او ما يشبهه قالوا **سيطر** عليهم **وسوطر** وتسيطر بمعنى تسلط . وقد اتفق للفيروز ابادى ان يجمع (السطر والسيطرة والتسلط) فى عبارة واحدة حيث قال **(المسيطر : المتسلط ، كالمسطر)** — بتشديد الطار . ويفهم من هذا ضمنا ان قولك سطرته تسطيرا يعنى سيطرت عليه سيطرة وتسلطت تسلطا ، ولو انه لم يصرح بذلك فى الكلام عن (سطر) . ومن نفس الاسرة (السطو) : الهجوم والقهر .

وسطرك الشىء بمعنى قطعك اياه قد جاء من شطرته فعلى هذا يبدو ان **(شولطونو)** الارمية هى المقتبسة من **(السلطان)** العربية .

سلق المرؤ :

صعد على حائط . ار : (سلق — Sleq)

اما هذا المعنى فقد جاء فيما يخيل لنا من الزلج والزلق . ولا يسعنا تعقيب تطور المعنى فى كلمة واحدة او كلمتين لضياع الكثير من معانى الالفاظ فى اطواء الماضى كما هو معلوم ، وبقاء اثارة منها فى بعضها . ونجد بزوغ معنى الصعود وتكامله فى اسرة الكلمة مجتمعة : زلج ، زلخ ، زلع ، زلغ ، زلق ، سلع ، ثم سلق .

فالزلج (زنة اليسر) : الصخور الملس ، ثم المكان **الزلج** (بالفتح) والزلخ « بفتح فكسر » : املس يتزحلق منه ، والزلخة (بضم ففتح مشددة) : المكان الذى يتزحلق منه الصبيان . ثم **الزلق** (بالفتح) والزلاقة (بتشديد اللام) : موضع الزلق لا تثبت عليه قدم . ثم **زلعت** الشمس : طلعت ، **وزلغ** النجم او الشمس : طلع ، والنار : ارتفعت . **والسلطوع** (كالعصفور) : الجبل الاملس .

فها هنا نرى كيف ينشأ معنى الطلوع والارتفاع تدريجيا من مختلف الالفاظ الناجم بعضها من بعض .

ومن مادة **(الزلف)** نجد المزالف : المراقى . وطبيعى ان المرقاة اى الدرجة انما تستعمل للصعود . ومن معانى الارتفاع كذلك **سلع** : جبل بالمدينة ، وجبل لهذيل ، وسليع (بالتصغير) : جبيل بالمدينة يقال له عثعث ، والسلق (كالطلب) جبل عال بالموصل والسلع (كالصقع) فى الجبل : الشق .

فمن مجموع هذه المعانى يتضح كيف تكون معنى الارتفاع والصعود اى تسلق الحائط ونحوه .

تسلق الحائط :

صعد عليه . ار : (اتسلق — Etsalaq) صعد .

هذه نفس الكلمة السابقة (سلق) بصيغة التفعيل مثلها صعد وتصعد ، حدر وتحدر ، نزل وتنزل ..

السلاق (زنة السماق) :

« عيد صعود السيد المسيح » . ار : (سولوقو — Soûloqo) : صعود .

وهذه ايضا نفس الكلمة . لكن بما ان المعنى هنا ديني نصراني فالصيغة سريانية ، من مادة عربية .

السلوقية :

« مقعد الربان فى السفينة » . ار : (سولقتو — Soûloqto) : « ارتفاع . السلوقية مرتفعة ».

هذه ايضا من نفس المادة والمعنى . وتوجد معان اخرى فى هذه المادة العربية لم يذكروها لانهم لم يجدوا لها مقابلا فى الارمية .

السم :

« ماده تسبب الموت بدخولها الجسم » . ار : (سم Sam) تدخل تحت مادة (س م) فى المعجم العربى معان كثيرة عجيبة متباينة ترجع الى اثول لغوية مختلفة . ولعل اثل (السم) بالمعنى الطبى هو (الشم) لانهم كانوا وما زال بعض العامة ولا سيما القرويين يعتقدون ان شم بعض الروائح يسبب المرض او الموت للوليد الرضيع انسانا كان او حيوانا . بل انهم يظنون ان بعض الروائح تضير المريض حتى من الكبار . لهذا لا نستبعد ان يكون الشم هو اثل السم، مع تغيير طفيف فى المعنى . ومن امثلة تسرب الشم الى مادة (السم) اللغوية قولهم فلان « اسم الانف » — بالسين المهمل — بمعنى ضيق المنخرين ، من قولهم (اشم الانف) : المرتفع اعلى انفه ، مع هذا التحريف غير الطفيف فى المعنى .

اسمال (زنة اشماز) :

هزل . ار : (سمعلو — Sam'elo) : اهزله بتقشف حياة نسكية .

يبدو ان اثلها **السل** ، فقد قالوا (سل) — بالفتح : هزل وابتلى بداء السل . و (السل) يعنى الهزال بدون داء ، كما يعنى الداء الرئوى المعروف . ومنه **(سمل)** الثوب : اخلق وبلى . وكما صاغوا «ازبار» من « زبر » مثلا صاغوا **(اسمال)** من « سمل » وقد صاغوا منها كذلك **(صمل)** الشيء : يبس ، و **(الصمير)** : الرجل اليابس اللحم على العظام . و **(السمور)** القليل اللحم الشديد العصب . وربما كان من هذا القبيل **(ضمر)** : هزل ودق وقل لحمه .

وتبدو الكلمة عربية مبنى ومعنى بالرغم من استعمالها فى الارمية بمعنى دينى .

السامور :

الماس . ار : (شومورو — Chomoûro)

ويسمى بالعربية كذلك **(الشمور)** — كالتنور — ولعله الاثل ، وكان اولى بهم ان يظنوها الصيغة المقتبسة ، بدلا من (السامور) - وربما كان الاثل البعيد لكليهما **(الجمر)** وواحدته الجمرة : النار المتقدة او الحصاة . والجمرة بالعراقية تعنى القطعة من الحطب المشتعل التى اذا اطفئت صارت فحمة . ويظهر ان هذا سبب اطلاقها على الحصاة .

ومن (الجمر) اشتق **(الجرم)** : الجسم ، وزنا ومعنى . وجرم لون الشيء : صفا . وربما سمى الماس (جرما) اول الامر لصفاء لونه . وربما نشأت كلمة (ماس) ايضا من نطق (سامور) مقلوبة ومحرفة .

واية كانت الحال لا نجد ما يدل على ان العربية هى المقتبسة .

السمور (زنة القنور) :

« حيوان يشبه ابن عرس » . ار : (سمورو — Samoûro

اذا لحظنا ان لون هذه الدابة احمر مائل الى السواد سهل علينا أن نبصر ان اسمها جاء من لونها اى **(السمرة)** وهى معجميا : بياض مائل الى السواد ، وتأثيليا : **(الحمرة)** . وقد كانت الحمرة اصلا تعنى الحرارة اولا ثم لما كانت الحرارة تسبب احمرار الحطب اى الجمر ، ثم اسوداد الفحم ، نشأت منها السمرة : وكما اجتمعت الحمره بالسواد هنا وفى لون السمور يحق لنا ان نندهش قليلا اذ نجد الدارجة المغربية تحتفظ بالعلاقة بين هذين اللونين لانها ما زالت تسمى الانسان الشديد السمرة (أحمر) ! .. وهى من عهد ما قبل الفصحى ..

ومن اسم (السمور) نشأ اسم (السنور) فيما نعتقد وهو من اسماء القط ... الشبيه حجما وشكلا بالسمور .

السمسار :

ار : (سمسورو ــ Semsoûro)

الاثل هو (**السفسار**) و (**السفير**) اللذين سبق الكلام عنهما ، بدليل ان السمسار الذى هو المتوسط بين البائع والمشترى يطلق كذلك على « السفير بين المحبين » ــ على تعبير مجد الدين .

السمسرة :

اجرة السمسار . ار : (سومسورو ــ Soûmsoro)

السمسرة فى العربية حرفة السمسار او اجرته . يقال فى تأثيلها ما قلنا فى السمسار .

السماق (زنة التفاح) :

شجر . ار : (سوموقو ــ Sawmoqo)

الكلمة عربية يبدو انها لا ريب فيها . **سمق** ــ زنة سبق ــ النبات : علا وطال فهو (سامق) و (سمق) ــ بفتح فكسر .

ويسمى (**السماق**) بالعربية كذلك (**السموق**) ــ زنة الرسول ــ وهذه الصيغة تعنى الفاعل اى السامق ، ما يشير بوضوح الى علة التسمية . ويجوز ان تكون الكلمة اطلقت اولا على شجر باسق ما ثم انتقلت الى شجر السماق ذى الثمر الدقيق الحامض.

ومن اخوات سمق : **سمك** فهو سامك : ارتفع ، والسميك والمسموك : الطويل ، وكلتا اللفظتين اثلهما **سما** يسمو ، من **شما** يشمو ، من **شم** ... وكلها يعنى : ارتفع .

المسماك :

« خشبة تدعم خيمة » . ار : (سمك ــ Smak) دعم .

سمك الشىء : ارتفع ، وسمكته : رفعته ، والسماك ــ بالكسر : ما يسمك به الشىء اى يرفع . ومن ذلك سميت السماوات : المسموكات . ولو سألنا القارىء بعد هذا عن معنى (**السماك**) لقال انه صيغة قياسية لاسم آلة السمك اى الرفع . فلا جرم ان يكون الاعربون قد اطلقوها على العود الذى يسمكون به الخباء او نحوه . ومن هذا وامثاله صارت (سمك) تعنى الدعم بالارمية .

السنان :

نصل الرمح . ار : (شنونو ــ Shnono)

اصل الحكاية من (**اللسع**) ! ولنتناول اولا علاقته (**باللسان**) للوصول الى (**السن**) . قالوا لسنته العقرب : لسعته ، ولسع فلانا بلسانه : عابه وآذاه بالكلام . واذا استصعب القارىء ادعاءنا بابدال العين نونا بين (لسع) و (لسن) قلنا ان الاقدمين قالوا ايضا لسبته الحية ، ولسب فلانا بلسانه ..

وقد نبطت من اللسع الفاظ اخرى لا حاجة الى التوسع فى عرضها . فمما تقدم نشأ (**اللسان**) ، ومنه نشأت (**السن**) حيث قالوا سن فلانا : عضه بأسنانه، او طعنه بالرمح . واسن الصبى : نبتت اسنانه . ويبدو ان اول عضة يمارسها الانسان الناكر الجميل هى عض الثدى الذى ارضعه حالما تنبت اسنانه .. وكأنما سموها (السن) رجوعا بالمعنى الى لدغ العقرب والحية . وما زالوا بالدارجة البغدادية يقولون عن الصبى العضاض : يلدغ ! ومن السن نشأ (**السنان**) فقد قيل سن فلان الرمح : ركب فيه السنان .

حتى لو لم يكن هذا تأثيل الكلمة فعلا لا نجد مبررا لاعتبارها سريانية المنبت لمجرد وجودها فى السريانية

سنبل الحنطة ونحوها :

ار : (**سبلو** ــ Seblo) من (**سبل** ــ Sbal) حمل .

قالوا (زب) المرء يزب زبا (من باب صب) بمعنى كثر شعر وجهه واذنيه . و (الازب) ــ زنة الاصح : الاشعر ، ومؤنثه : الزباء .

وانتقل معنى الشعر الى مـادة (**س ب**) حيث تكونت (السبيبة) و (السبيب) بمعنى الخصلة من الشعر ، وهما من الفرس : شعر الناصية والعرف والذنب . ثم ظهرت مادة (**س ب ل**) التى نجد الشعر من صيغها فى (**السبلة**) ـــ بفتحتين : شعر الشارب وهى تنطق فى الفارسية (**سبيل**) و (**سبل**) ـــ بفتحتين ـــ بنفس المعنى .

وبسبب الشعر فى سنابل القمح شبهوها بالشارب فاطلقوا (**السبلة**) على سنبلة القمح ايضا ، ومنها ظهرت فى الارمية . ومن الغريب ان اللغويين الارميين خالوا (السنبلة) هى المقتبسة من (سبلو) الارمية بدلا من ان يظنوا ان المقتبسة هى (السبلة) لانها اشبه بها مبنى .

والسبلة نطقها العرب كذلك : (**السبولة**) ـــ بالفتح ـــ و (**السبولة**) ـــ بضمتين وربما من هذه الاخيرة نجمت صيغة (**السنبلة**) ـــ زنة لؤلؤة .

وبعد هذا ظهرت صيغة زبل بمعنى الحمل عن طريق النمل فيما يخيل لنا منذ قالوا (**الزبال**) ـــ بالكسر او الضم : ما تحمله النملة بفمها . ولعل هذا قد نشأ مما يسرقه النمل من قمح الحصاد ، وعجيب ان هذا المعنى البدائى الاقدم قد عاش حتى التقطته المعاجم قبل ان يضيع . ومن ثم قالوا زبلت الشىء بـ ـــ بالفتح : احتملته ، اى حملته وذهبت به كما تفعل النملة اللصة . وكثيرا ما تكون القمحة حين تزبلها ـــ زنة تحملها ـــ او تزبلها النملة عند الحصاد ما تزال داخل غلافها ، قبل التذرية ، بل قد تزبل النملة كسرة من السنبلة . نرجح هذا لان الهنة المزبولة تكون عندئذ كبيرة الحجم بيضاء اللون يراها المرء من مسافة بعيدة نسبيا وهى تسير مترنحة على الارض المضرسة، فيعلم ان ثمة غلة لا يراها هى التى تحمل هذا الحمل الثقيل الذى يفوقها حجما ووزنا . ومن هذا اطلق (الزبل) اول الامر على ما يشبه هذا الزبال من نفايات القش والتبن ونحو ذلك حتى يشمل كل النفايات التى تظهر فى المعجم فى صيغة (المزبلة) التى تلقى فيها اصناف النفايات . اما معنى الحمل فنجده فى صيغة (الزنبيل) ـــ بالفتح او الكسر ـــ التى نطقت اولا (الزبيل) ـــ زنة السعيد او الكسير ـــ وكلتاهما تعنى القفة او الوعاء او الجراب . والزنبيل بمعنى بالعراقية وبعض الدارجات الاخرى السلة ذات العروتين تحمل بهما .

وكانت صيغة (زبل) بمعنى الحمل تنطق بالسين (سبل) فى اكبر الظن ثم انقرض هذا النطق بهذا انها ظلت تنطق بالسين فى الارمية بمعنى الحمل المعنى وتخصصت به صيغة (زبل) . يؤيد هذا ايضا والسنبلة معا ، كما راينا .

لكن لا بد لنا ان نلفت نظرهم الى ان هذا التاثيل ينبىء ان صيغة **سبلو** (السنبلة) بالارمية ليس اثلها **سبل** (حمل) لاختلاف معناهما . وانما جرى التاثل وتطور المعنى فى العربية على النحو الذى راينا ثم دخلت الصيغتان جاهزتين الى الارمية كل منهما بمعناها النهائى .

السنبل :

نبات طيب الرائحة . ار : (سنبول ـــ Sanboûl)

بعض الازهار تكون عنقودية متجمعة على عودها، ومتدرجة مثل حبات سنبل القمح ، ونخمن ان الاسم اطلق من اجل ذلك على نبات من هذه الطائفة . واختلاف صيغتها الارمية (**سنبول**) عن (**سبلو**) اى السنبلة التى تقدم ذكرها يدل على اقتباسها جاهزة من (السنبل) بعد تطورها فى العربية .

السنة :

ار : (شاتو ـــ Chato) من (شنو ـــ Chno) تحرك .

اثلها (**السن**) . ولما كانت اعمار بعض الدواب تمكن معرفتها من فحص اسنانها صارت (السن) تعنى العمر ايضا . ثم لما كانت الاعمار تقدر بالسنين نشأت صيغة (**السنة**) بمعنى الحول الذى سمى بذلك من دوران السنة (حول) نفسها ، والحجة من عودة موسم (الحج) كل سنة .

السندان :

المؤلف يحيل القارىء على (السدان) آنفا ـــ الذى سلف الكلام عن تاثيله فى العدد الماضى ـــ ونحن نؤيد هذه الاحالة .

ـــ يتبع ـــ

عبد الحق فاضل

القرائن النحوية

وأطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي

الدكتور تمام حسان

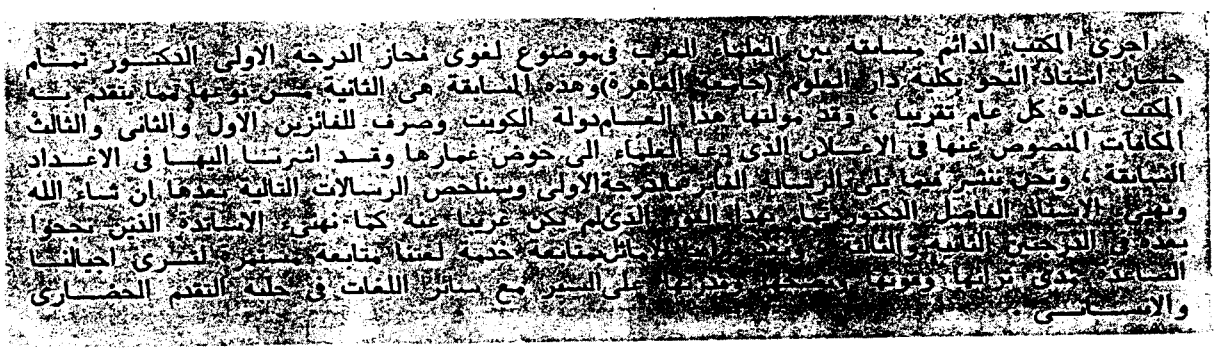
أجرى المكتب الدائم مسابقة بين العلماء العرب في موضوع لغوى فحاز الدرجة الاولى الدكتور تمام حسان استاذ النحو بكلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وهذه المسابقة هى الثانية عشرة التى ينظمها المكتب عادة كل عام تقريبا ، وقد مولتها هذا العام دولة الكويت وصرف للفائزين الاول والثانى والثالث المكافآت المنصوص عنها فى الاعلان الذى دعا العلماء الى حوض غمارها وقد اشرنا اليها فى الاعداد الثمانية ، وسوف ننشر تباعا بحوث الرسالة التى حازت الدرجة الاولى وسنلخص الرسالات التالية بعدها ان شاء الله ونبدأ بالاستاذ الفاضل الدكتور [illegible] الذى لم يكن عزيزا عنه كما نهنىء الاساتذة الذين نجحوا بعده فى الدرجتين الثانية والثالثة [illegible] الباقية جميعا لعلنا نتابعها جميعا لنرى اجيالنا الصاعدة تخذ برابها وهو [illegible] على السير مع سائر اللغات فى حلبة التقدم الحضارى والانسانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الذى يرتضيه طلاب الدراسات اللغوية المعاصرة ان اللغة منظمة عرفية رمزية ترمز الى نشاط المجتمع وتوجد لتجاربه الكلمات الدالة على هذه التجارب كما توجد الانظمة التى تنسق العلاقات بين الكلمات حين تنتظمها الجمل . واذا كانت اللغة منظمة تشتمل على انظمة فما اشبهها اذن بالجسم الانسانى الذى نعرف انه جهاز اكبر مكون من اجهزة فرعية . والمعروف ان الجسم الانسانى جهاز حيوى واحد ذو وظيفة معينة هى تحقيق الوجود البيولوجى للانسان ولكن هذا الجهاز الحيوى الواحد مركب من اجهزة فرعية كالجهاز الهضمى والجهاز العصبى والجهاز الافرازى والدورة الدموية والجهاز التنفسى وهلم جرا . ولكل واحد من هذه

الاجهزة وظيفة معينة يمكن لطلاب وظائف الاعضاء ان يوضحوها ويحللوها كما لو كانت مستقلة عن بقية الوظائف التى تؤديها الاجهزة الاخرى فى الجسم وذلك أمر تسمح به طبيعة الرغبة فى تنظيم المعلومات وتنسيقها فى ابواب وفصول وعلى الرغم من ان هذه الاجهزة الفرعية فى جسم الانسان يتوقف عمل كل واحد منها على عمل الاجهزة الاخرى فلا يعقل ان يؤدى اى جهاز مفرد منها عملهوهو مستقل عن بقيتها . ومعنى هذا ان هناك تنسيقا فى العمل يتم بين هذه الاجهزة التى يتكون منها الجهاز الحيوى الاكبر وهو جسم الانسان ويمكن ان نسمى هذا التنسيق فى العملتنسيقا فى اداء الوظيفة .

وكما راينا جسم الانسان جهازا مركبا من اجهزة متعددة نرى اللغة منظمة مركبة من انظمة اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى . والفارق الاساسى بين جسم الانسان واللغة ان هذا جهاز حيوى وهذه جهاز رمزى عرفى وان الاول يتم به تحقيق الوجود البيولوجى للانسان والثانى يتحقق به وجوده الاجتماعى وكما ان الضرورات العملية تفرض على طلاب وظائف الاعضاء ان يتناولوا اجهزة الجسم الانسانى بالدراسة مستقلا بعضها عن بعض يتعين على طلاب اللغة ان يفترضوا استقلالا فى الذهن لا فى الحقيقة لكل نظام من انظمة اللغة يسهل به تناوله . ذلك بأن التقسيم والتبويب هما ملاك النشاط العلمى فى كل المجالات وليس مجال اللغة بدعا فى ذلك . ولولا التقسيم والتبويب لظلت الحقائق المفردة مستعصية على الدرس لكثرتها وتشعبها ، ولاستحالة الاستقراء التام فى مجال العلم حتى لقد عدل العلماء عنه الى الاستقراء الناقص وجعلوه اساس المناهج الحديثة .

النظام الصوتى :

قلت ان الانظمة اللغوية اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى واضيف هنا ان لكل واحد من هذه الانظمةابعاده ومكوناته التى لا بد للباحث ان يذكرها دائما عند تناوله لنظام منها بعينه . فأما النظام الصوتى فقوامه ما دلت عليه الدراسة الصوتية Phonetics الحسية من تحديد مخارج الاصوات وصفاتها بواسطة الملاحظة والتجربة ثم ما يقوم من اوجه المخالفة المتعلقة بتحديد المعنى وهى القيم الخلافية Differencial Values بين كل مخرج ومخرج وكذلك بين كل صفة وصفة حتى يستطيع ان يتصدى لتحديد النظام الصوتى Phonological System للغة او يقيم هذا النظام على القيم الخلافية بين الاصوات وفهم كل صوت منها باعتباره جزءا من نظام كلى يمكن تقسيمه الى وحدات يضم كل منها عددا من الاصوات المترابطة من حيث اتحادها فى المخرج او الصفة وكونها متخالفة من ناحية اخرى على احد هذين الاساسين . ويحسن هنا ان نضرب مثلا بالاصوات النونية فى الكلمات الآتية :

ينفع ــ ينظر ــ انت ــ انا ــ ينشأ ــ من كان ــ ينقذ ــ من وجد . فهذه الاصوات وان اتفقت جميعا فى صفة النونية التى تتمثل فى الغنة الانفية تختلف من حيث مخارجها فصوت النون فى « ينفع » اسنانى شفوى وفى « ينظر » اسنانى فقط يخرج فى نطقه اللسان كما يخرج فى نطق الظاء تماما وفى « انت » اسنانى لا يخرج اللسان فى نطقه اذ مخرجه داخل الثنايا وفى « انا » لثوى ينطق فى مغارز الاسنان وفى « ينشأ » غارى ينطق فى نطع الغار وفى « من كان » طبقى ينطق فى مخرج الطبق وهو الحنك الرخو الذى فى مؤخر سقف الفم وفى « ينقذ » لهوى ينطق فى اللهاة وهى مخرج القاف وفى « من وجد » لا ينطق فى واحد من هذه المخارج وانما يصير كالواو مع خروج الهواء فى النطق من الانف والفم جميعا . ولكن هذه الاصوات النونية جميعا تنتظمها وحدة بعينها من وحدات النظام الصوتى للغة هى « حرف النون » وبذلك نفهم الفرق بين الصوت والحرف فالصوت عملية نطقية والحرف وحدة ذهنية من وحدات النظام الصوتى اى ان الحرف يفهم ولا ينطق على حين ينطق الصوت الذى هو فرع الحرف .

بقى ان ننظر كيف يستطيع طالب اللغة ان ينشىء النظام الصوتى من مجموع الاصوات التى عرفها بالملاحظة والتجربة . هنا يأتى دور القيم الخلافية او الفروق بين الحروف من حيث المخارج والصفات . فالقاعدة الذهبية هنا هى انه لا بد ان يكون هناك فارق فى المخرج او فى الصفة او فيهما جميعا بين كل صوت وصوت آخر فلو اتفقا فى كل شىء لصارا صوتا

واحدا ولم يعد هناك وجه لاعتبارهما صوتين مختلفين. فاذا استقر ذلك فى ذهن الطالب فعليه بعد ذلك ان يربط هذا التفريق بالمعنى ربطا محكما . فاذا فعل فسيجد ان من الحالات التى تصادفه ما يتعذر فيه على صوت ما ان يحل فى الكلام محل صوت آخر وان من الحالات ما يمكن معها لصوت معين ان يحل محل صوت آخر فى كلمة بعينها فيتغير معنى الكلمة تبعا لهذا « الاستبدال » . والقاعدة الاساسية فى ذلك ان الصوتين اذا لم يحل احدهما محل الآخر يعتبران اخوين فى نطاق وحدة من وحدات النظام الصوتى . اما اذا حل احدهما محل الآخر مع تغير فى معنى الكلمة فهما من حرفين مختلفين والمثال الذى نضربه لايضاح ذلك يعود بنا مرة اخرى الى الاصوات النونية التى اشرنا اليها من قبل حيث نلاحظ ان اى صوت من هذه الاصوات النونية التى وردت فى غير كلمة « انا » من الكلمات السابقة لا يمكن ان يتم نقطه فى كلمة « انا » بمعنى ان صوت النون فى «انا» لا ينطق بالشفة مع الاسنان مثلا ولا يخرج فيه اللسان ولا ينطق فى اللهاة الخ . ومعنى ذلك ان بين صوت النون فى « انا » وبين بقية اصوات النون الاخرى تخارجا من حيث الموقع الواحد فلا يحل احد اصوات النون فى كلمة محل واحد آخر من اصوتها وبذلك نفهم من هذا « التخارج » ان جميع هذه الاصوات النونية تندرج تحت عنوان واحد هو « حرف النون » . اما اذا حاولنا ان نضع فى موضع صوت النون فى « انا » صوتا آخر كأحد اصوات اللام او الميم مثلا فاننا سنجد هذا الامر ممكنا مع تغير فى المعنى بحيث تصير الكلمة « الا » او « اما » وبذلك « الاستبدال » يصير صوت النون « مقابلا استباليا » لصوتى اللام والميم ويمكن باختيار امثلة اخرى ان نفهم انه « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من « الحروف ».

وباستخدام طريقة الاستبدال التى تعتمد على الاختلاف فى المعنى كما تعتمد على القيم الخلافية بين المخارج بعضها وبعض وبين الصفات كذلك يستطيع الطالب ان يحدد الوحدات التى يتكون منها النظام الصوتى فى اللغة وهذه الوحدات هى الحروف فكل حرف فى النظام الصوتى للغة « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من الحروف وشرط كونه وحدة بعينها فى هذا النظام ان يكون كذلك .

النظام الصرفى :

اما النظام الصرفى للغة فانه ينبنى على ثلاث دعائم هى : المعانى الصرفية والمبانى الصرفية والفروق (القيم الخلافية) التى تكون بين المعنى والمعنى كما تكون بين المبنى والمبنى — وتنقسم المعانى الصرفية الى قسمين هما : معانى التقسيم ومعانى التصريف ولكل منهما مبانيه التى يعرف بها . فأما معانى التقسيم فهى معانى اقسام الكلم التى يتألف منها الكلام وهذه المعانى (كالاسمية والفعلية الخ) تعتبر حجر الزاوية فى النظام الصرفى للغة لان المبانى التى تدل عليها (كالاسم والفعل الخ) هى كبرى الاجزاء التحليلية فى هذا النظام وهى الاجزاء التى يمكن لامثلتها ان تحمل معنى مستقلا عند افرادها وعزلها عن سياق الكلام . اما ما اسميه معانى التصريف فهى المعانى التى يجرى بحسبها التفريق بين الصور المختلفة التى يتشكل بها قسم معين من اقسام الكلم كالتكلم الخ . والافراد الخ . والتذكير الخ والتعريف الخ . ولكل من هذه المعانى مبنى واحد او اكثر تدل عليه كالمتكلم الخ والمفرد الخ . والمذكر الخ والمعرف الخ . ومن الواضح ان هذه المبانى التصريفية لا يمكن افراد امثلتها عن الكلام على نحو تستقل معه بمعانيها كما يستقل الاسم او الفعل او الحرف بمعناه اى ان امثلة هذه المبانى التصريفية لا تحسب فى عداد المفردات كما تحسب امثلة الاسم والفعل والحرف .

وعند النظر فى الاسس التى يتم بها تقسيم الكلم نلاحظ ان هذا التقسيم لا ينبنى على اساس واحد وانما تتعدد جهات التفريق بين قسم وقسم وتتفرع الى فروق تتعلق بالمعنى واخرى تتعلق بالمبنى . وحين قسم النحاة العرب الكلم الى ثلاثة اقسام حاولوا راشدين ان يبنوا هذا التقسيم على الاعتبارين السابقين (المعنى والمبنى) فأما محاولة البناء على المعنى فتبدو فى قولهم : « الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن والحرف ما دل على معنى فى غيره) . واما محاولة بناء التقسيم على المبنى فتبدو مثلا فى قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وال
ومسند للاسم تمييز حصل
بتا فعلت واتت ويا افعلى
ونون اقبلن فعل ينجلى

سواهما الحرف كهل وفى ولم

ماذا اردنا ان نحدد المعانى والمبانى التى يتم تقسيم الكلام بها وجدناها كما يلى:

ا ــ المعانى :	ب ــ المبانى :
المسمى	البنيــة
الحدث	الصورة الاعرابية
الزمن	التضام
التعليق	الرتبة
معنى الجملة	الالصاق
	الجدول
	الرسم الاملائى

وفى رايى ان التقسيم الذى ورثناه عن النحاة العرب بحاجة الى اعادة نظر بل الى محاولة جديدة لتقسيم جديد مبنى على الاسس المذكورة . ولقداعدت النظر فى هذا التقسيم فعلا فوصلت الى ان الكلم العربى ينقسم الى سبعة اقسام هى :

الاسم ــ الصفة ــ الفعل ــ الخالفة ــ الضمير ــ الظرف ــ الاداة . وسأحاول فيما يلى ان افرق بين كل واحد من هذه الاقسام وبين ما سواه مشيرا الى حقيقة هامة جدا هى ان المبنى الدال على معنى اى على قسم من هذه الاقسام ربما نقل من الدلالة على معناه الذى يدل عليه بحسب التقسيم الى معنى آخر بحسب العرف الاستعمالى للغة كأن ينقل الفعل من الفعلية الى الاسمية كما فى « يزيد » و « يشكر » وكما ينقل الاسم المبهم ألى الظرفية كما فى « يوم الجمعة » و « ثلاث ساعات » وكما ينقل حرف الجر الى الظرفية كما فى « مذ » و « منذ » والموصول الى معنى اداة الشرط او الاستفهام كما فى « من » و « ما » و « اى » الخ .

الاسم : يمكن فهم المقصود بالاسم من التخطيط التالى :

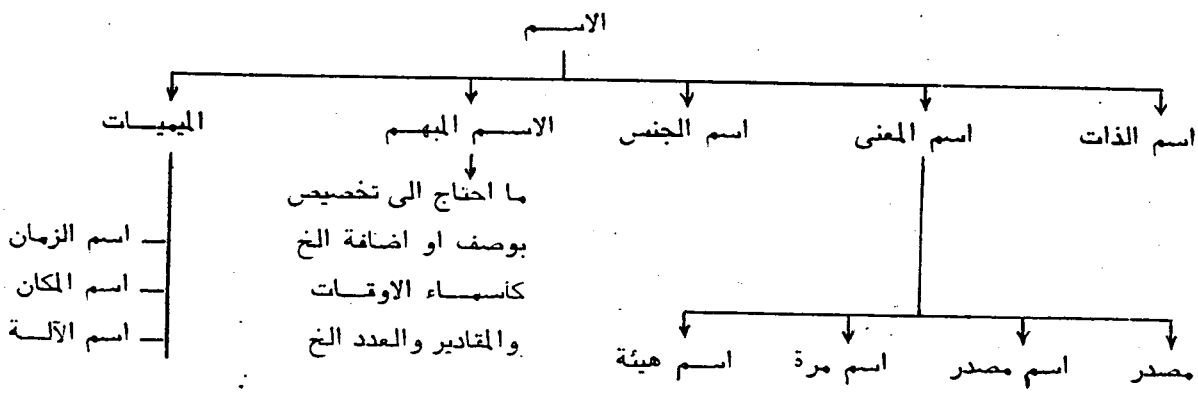

ويمتاز الاسم بما يلى :

1 ــ قبول الجر لفظا وهذا القيد ان ادخل معه الصفات فانه يخرج الضمائر والظروف لانها لا تجر ولو كان الجر محلا هو الدليل على الاسمية لاصبحت الجملة التى فى محل جر فى عداد الاسماء (علامة اعرابية) .

2 ــ الدلالة على مسمى وهذا يخرج الفعل اولا لانه يدخل على حدث وزمن كما يخرج الصفة لانها تدل على موصوف بالحدث ويخرج الضمير لانه يدل على مطلق الحاضر والغائب الخ (تسمية) .

3 ــ الاسم يكون مضافا ومضافا اليه وموصوفا وهذا يخرج الضمائر لانها تقع موقع المضاف اليه ولا تقع موقع المضاف ولا موقع الموصوف ابدا (تضام) .

4 ــ الاسم يكون مسندا اليه ولا يكون مسندا وهذا يخرج الصفة لانها تكون مسندا كما تكون مسندا اليه وربما تم لها ذلك فى موقع واحد من مواقعها كما فى قولك : جاء الباسم وجهه . اذ وقع « الباسم » مسندا اليه باعتبار « جاء » ومسندا باعتبار « وجهه » (تعليق) .

وهكذا نجد الاسم يتميز بخصائص معينة توضح لنا ان النحاة العرب حين اعتبروا الصفات والضمائر من الاسماء وقعوا فى مزلق التعميم وقد جرهم هذا فى كثير من الاحيان الى التورط فى مطالب التبرير والتخريج والتاويل وسنرى هذا واضحا فى الكلام عن ذكر خصائص الاقسام الاخرى للكلم العربى وبخاصة عند الكلام عن الصفات والضمائر والظروف .

الصفة : والمقصود بالصفات يتضح مما يأتى :

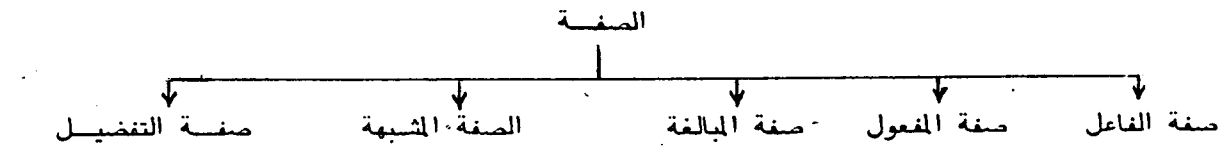

وتمتاز الصفات بما يأتى :

1 — تقع مسندا ومسندا اليه كما سبق فتمتاز بذلك عن الافعال التى لا تقع الا موقع المسند والاسماء التى لا تقع الا موقع المسند اليه . وهذه الخاصة من خواص الصفات تبرر القول بوجود جملة وصفية فى اللغة العربية تقف جنبا الى جنب مع الجملتين الاسمية والفعلية ويتضح ذلك فى اعراب « اقائم زيد » فالنحاة يرون ان كلمة « قائم » مبتدأ وان كلمة « زيد » فاعل ويلاحظ على ذلك امور :

الاول : ان المبتدأ والفاعل كليهما من قبيل المسند اليه وفى قول النحاة انكار لبناء الجملة لان الاسناد لا يتم بين مسند اليهما بل يتم بين مسند اليه ومسند .

الثانى : ان فى قولهم ان زيدا فاعل اعترافا بأن الصفات ليست اسماءلان الاسم عندهم لا يرفع فاعلا ولا ينصب مفعولا .

الثالث : ان فى اشتراطهم اعتماد الوصف مع الفاعل والمفعول على نفى او استفهام او مخبر عنه او موصوف اعترافا بأن [illegible] يؤديان دور جملة النفى او جملة الاستفهام وهما اصليتان او جملة الخبر او جملة الصفة وهما فرعيتان ومعنى ذلك ان الجملة الوصفية تصلح جملة اصلية وفرعية . والوجه فى رأيى ان اعراب الوصف لا ينبغى ان يكون بدعوى انه مبتدأ وانما يكون بأنه صفة فاعل او مفعول الخ كما نصف الفعل فى الاعراب بأنه فعل ماض او مضارع الخ (تضام — وكذلك معنى الجملة) .

2 تمتاز الصفات بأنها محددة الصيغ اكثر مما تتحدد صيغ الاسماء ويتضح ذلك عند ارادة التعريب ووضع اللفظ المعرب فى صورة يقبلها الذوق والعرف العربيان اذ يلاحظ طلاب اللغة ان حرية صياغة الاسماء عند تعريبها اكبر من حرية صياغة الصفات من الناحية الصرفية . اضف الى ذلك ان بعض الصيغ تستعمل للاسماء ولا تستعمل للصفات ولعل الاشمونى قد فطن للفرق بين الاسم والصفة حين تعرض لشرح باب التصريف من الفية ابن مالك اذ اشار الى هذه الحقيقة السابقة (بنية) .

3 — وتمتاز الصفات عن بقية الاقسام السبعة ايضا من حيث الجداول الصرفية . والجداول الصرفية ثلاثة انواع اولها الجدول الالصاقى الذى نحاول به ان نرى ما تتقبله الكلمة من اللواصق الدالة على المعانى الصرفية كأداة التعريف تلحق الاسماء والصفات وكنون التوكيد تلحق الافعال وكنون الوقاية تلحق الافعال وبعض الادوات . وثانيها الجدول التصريفى الذى يبدو حين ننظر فى احد الافعال لنرى ما اذا كان مستكملا صوره الثلاث او ان الماضى او المضارع مثلا لا يأتيان منه وحين ننظر فى اسم فاعل مثلا لنرى هل تأتى من مادته بقية الصفات اولا وثالثها الجدول الاسنادى الذى يسند فيه الفعل بصوره المختلفة الى الضمائر لنرى وجه التغير فيه بالاعلال والابدال [illegible]

فالاسماء تدخل جداول الالصاق فقط والصفات تدخل جداول الالصاق والتصريف والافعال تدخل هذين النوعين كما تدخل جداول الاسناد . وانما قلت ان الصفات لا تدخل جداول الاسناد لان هذا النوع من الجداول لا تتغير فيه بنية الصفات باعلال او ابدال الخ . كما تتغير بنية الافعال ومن ثم لا يفيدنا وضع الصفة فى جدول اسنادى اية فائدة لاغراض التحليل اللغوى . (جدول) .

4 ــ سبق ان اشرت الى ان الصفات تدل على موصوف بالحدث . اى انها لا تدل على مسمى كما تدل الاسماء ولا على مطلق الحدث كما تدل المصادر من بين الاسماء ولا على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا على مطلق الغائب والحاضر كما تدل الضمائر ولا على ظرفية كما تدل الظروف ولا على علاقة كما تدل الادوات وبذلك تمتاز الصفات عن بقية الاقسام (مسمى ، حدث ، زمن) .

الفعل : والفعل ثلاثة انواع : ماض ومضارع وامر ولكل من هذه الثلاثة صيغته الخاصة التى تتعدد بين التجرد والزيادة كما ان له معناه الزمنى الصرفى الخاص الذى يتمثل فى الشكل الآتى :

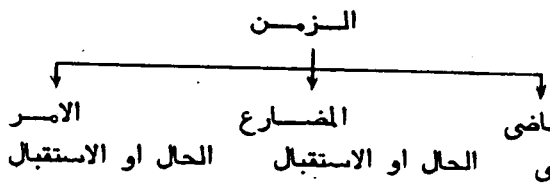

هذا هو النظام الزمنى الصرفى فى اللغة العربية ومنه يبدو ان المضى خالص لصيغة الفعل الماضى وان الحال والاستقبال هما المعنيان اللذان يفهمان من المضارع والامر فلا يعين النظام الصرفى احدهما لاحدهما اذ لا يكون هذا التعيين فى الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة المفردة وانما يكون تعيين الزمن للفعل بواسطة عدد من القرائن فى السياق النحوى ولا مجال لذكرها الآن . ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين الزمن الصرفى والزمن النحوى على الوجه التالى :

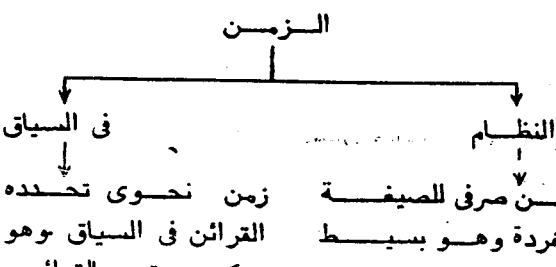

ويمتاز الفعل عما عداه من انواع الكلم بما يأتى :

1 ــ يختص الفعل بقبول الجزم (وهذا فى المضارع من الافعال) فلا يشاركه فى ذلك قسم آخر من اقسام الكلم (علامة اعرابية) .

2 ــ للافعال صيغ خاصة بها تختلف عن صيغ الاسماء والصفات وهى قياسية ومحفوظة فى كتب الصرف (بنية) .

3 ــ تقبل الافعال الدخول فى كل انواع الجداول بخلاف الاسماء التى لا تدخل الا الجداول الالصاقية وبخلاف الصفات التى تدخل الجداول الالصاقية والتصريفية دون الاسنادية (جدول) .

4 ــ تمتاز الافعال عن بقية الاقسام بقبول عدد من اللواصق لا تلصق بغيرها كضمائر الرفع المتصلة وضمائر النصب المتصلة والسين ولام الامر وحروف المضارعة ونون التوكيد وتاء التأنيث المفتوحة (جدول ــ شكل املائى ــ الصاق) .

5 ــ تمتاز الافعال بدخول بعض الضمائم عليها مثل قد وسوف ولم ولن ولا الناهية مما لا يدخل على غير الافعال من الاقسام الاخرى للكلم (تضام) .

6 ــ تدل الافعال على حدث وزمن على النحو الآتى:

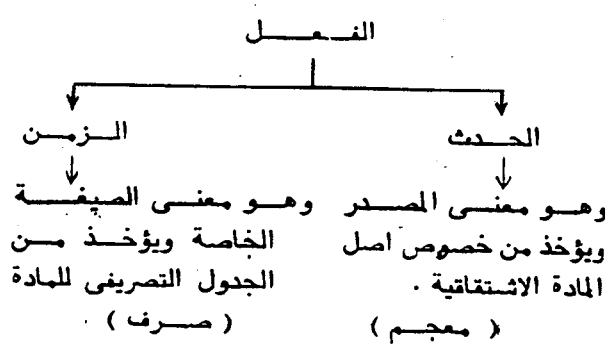

اما الاسماء فتدل على مسميات حتى ان المصدر حين يدل على الحدث المطلق انما يتخذ هذا الحدث المطلق مسمى له ومن هنا اطلق طلاب اللغة على المصدر « اسم الحدث » وقال فيه ابن مالك :

المصدر اسم ما سوى الزمان من
مدلولى الفعل كأمن من امن

واما الصفات فتدل على موصوف بالحدث عن طريق الفاعلية او المفعولية او المبالغة او مطلق ثبوت الوصف او التفضيل (مسمى ــ حدث ــ زمن) .

7 ــ لا تقع الافعال من الجمل الا موقع المسند ومن ثم تختلف عن الاسماء التى لا تقع الا موقع المسند اليه وعن الصفات التى تقع الموقعين جميعا كما سلف .

وبهذه الخصائص تتفرد الافعال بقسم خاص من اقسام الكلم العربى من حيث المعنى ومن حيث المبنى.

الخالفة : والخوالف عبارات افصاحية اى تستعمل فى الافصاح عن موقف للمتكلم من امر ما ومن ثم كانت الجملة التى تنبنى على هذه الخوالف جملا انشائية فى معناها ولكن ما تدل عليه من معنى الانشاء يبدى طابعا خاصا شبيها بما يسمونه فى الانجليزية Exclamation . وهذه الخوالف اربعة انواع :

1 ــ خالفة التعجب نحو ما احسنه واحسن به .

2 ــ خالفة المدح او الذم نحو نعم زيد رجلا وبئس هند امراة .

3 ــ خالفة الاخالة نحو هيهات ما تريد واوه وصه .

4 ــ خالفة الصوت نحو كخ للصبى .

والاستعمالات التى ترد فيها هذه الخوالف جزء لا يتجزأ من اللغة الانفعالية او العاطفية التى يطلق عليها طلاب اللغة فى الغرب Affective Language وربما شاركها فى ذلك الندبة والاستغاثة والعبارات الاخرى الدالة على الاستحسان والاستهجان .

واذا نظرنا الى صيغتى التعجب وجدنا ان دعوى فعليتهما تحتاج الى كثير من النظر لانهما لا تقبلان علامات الافعال ولا تدخلان فى الجداول المختلفة كما تدخل الافعال فلا ترفعان الفاعل ولا تدلان على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا توصفان بالتعدى واللزوم كما توصف الافعال . وعندى ان هاتين الصيغتين ذواتا رحم وقربى تصل بينهما وبين صفة التفضيل سواء من حيث المعنى ومن حيث المبنى . فأما من حيث المعنى ففى التعجب دلالة على تفضيل المتعجب منه على ما كان من قبيله ولم يبلغ مبلغه واما من حيث المبنى فيكفى للاشارة اليه ان نذكر قول ابن مالك :

صغ من مصوغ منه للتعجب
افعل للتفضيل وأب اللذا

ولا تخطىء النظرة الفاحصة ان ترى وجه الشبه فى الصيغة بين « افعل » للتعجب و « افعل » للتفضيل وان افترقت الصيغتان اعرابا وبناء . والذى نرمى اليه بهذه المناقشة ان نزعم ان صيغتى التعجب لا تقعان فى عداد الافعال . ولا شك انهما ليستا من الصفات ايضا لعدم قبولهما علامات الصفات ومن هنا لا يبقى لهما الا ان تنتميا الى قسم آخر من اقسام الكلام .

وخالفتا المدح والذم ايضا ابعد ما تكونان عن الفعلية لعدم ورودهما على صيغ الافعال واوزانها ولعدم دلالتهما على الزمن والحدث ولعدم قبولهما الدخول فى جدول يسندان فيه الى ضمائر الرفع المتصلة كما تسند الافعال ولعدم قبولهما ان تدخل عليهما قد والسين وسوف ولم ولن وبقية ما يدخل على الافعال ولورودهما فى النصوص العربية مع حروف الجر ولان الاسم الدائم الرفع بعدهما لا يعرب فاعلا وان مرفوعهما الذى تدعى له الفاعلية قد ينصب على التمييز فلا يكون لهما فاعل . ومن هنا يصبح فى القول بفعليتهما بعض التعسف ويصبح من الافضل فيهما ان يعتبرا من قسم آخر من اقسام الكلم غير الافعال .

والذى قلته من وجوب اخراج خوالف التعجب والمدح والذم من عداد الافعال يصبح اكثر وضوحا فى محاولة اخراج خوالف الاخالة (اسماء الافعال) من عداد الاسماء لعدة اسباب منها ان النحاة دائما يفسرونها بالافعال فيقولون ان شتان بمعنى افترق وهيهات بمعنى بعد واوه بمعنى اتوجع وصه بمعنى اسكت ومنها ان هذه الخوالف لا تقبل علامات الاسماء ولا علامات الصفات ولا الافعال ولا غيرها وانها عبارات جارية مجرى الامثال Idioms فلا تتغير فى معناها ولا فى مبناها ومن ثم يصبح من الضرورى لطالب اللغة ان يخرجها من عداد الاسماء والافعال وان يلتمس لها شبيها من الكلم يضمها اليه فى قسم واحد .

واوضح من ذلك امر خوالف الاصوات (اسماء الاصوات) اذ لا تشارك الاسماء فى علاماتها كما لا تشارك الافعال ولا الصفات الخ وانما هى عبارات ينظر اليها من حيث الاشتقاق باعتبارها « عقيما » ان صح هذا التعبير الذى اقدم دونه الاعتذار .

والقسط المشترك بين هذه الخوالف جميعا كما

ذكرنا ان لها طبيعة الافصاح الذاتي فكلها من الاساليب الانشائية ويحسن في جميعها في الكتابة ان تعقبه علامة الترقيم الدالة على التاثر (!) . وما كان ابعد النحاة من الصواب حين فسروا هذه الخوالف بعبارات من قبيل الاسلوب الخبرى لان الفرق بين شتان زيد وعمرو وافترق زيد وعمرو لا يمكن ان يكون قد خفى على اصحاب الادب ان صح انه خفى على ارباب اللغة وقد كنت التمس لهم المعاذير لو كانوا قد فسروا هذه العبارة بعبارة تعجب مثل « ما اكبر الفرق بين زيد وعمرو لان التعجب افصاحى ومن ثم يصبح قريب المعنى من التعبير بخالفة الاخالة . ومثل ذلك ما نلاحظه من فارق بين « اوه » وبين « اتوجع » فلو انك احسست بلسعة النار في يدك فقلت : « اتوجع » لكان للسامع عذر الا يخف الى نجدك وان يسالك في هدوء : « مم تتوجع » ولو قلت : « اوه » لاختلف امر استجابته لك باختلاف المعنى لان عبارة « اوه » تدل على الافصاح والانشاء على حين تدل عبارة « اتوجع » على الاخبار المجرد .

ويجمع بين هذه الخوالف ايضا انها ثابتة الصياغة جارية مجرى الامثال وانها اما محرومة من الروابط الاشتقاقية تماما كما تبدو الحال في خوالف الاخالة والاصوات او ان روابطها الاشتقاقية واهية ببقية صيغ مادتها كنعم وبئس او انها يغلب فيها تناسى هذه الروابط كخالفة التعجب .

وتمتاز هذه الخوالف من بقية اقسام الكلم بما يأتي:

1 ــ انها لا تدل على مسمى ولا حدث ولا زمن ولا موصوف بحدث وانما تدل على مجرد الافصاح عن موقف للمتكلم من امر معين وبذلك تختلف عن بقية اقسام الكلم .

2 ــ انها جميعا ذوات رتب محفوظة بالنسبة لضمائمها وقد جاءها حفظ الرتبة هنا من كونها عبارات محفوظة ثابتة التركيب جارية مجرى الامثال التي لا تغير وهذا يفرق بينها وبين اقسام الكلم الاخرى التي لا ينتظم حفظ الرتبة فيها الجملة جميعها على هذه الصورة .

3 ــ انها عديمة الحاجة الى اللواصق كما في خوالف الاخالة والاصوات او قليلة الاحتمالات لها كما في اقتصار التعجب على ان تلصق به نون الوقاية واقتصار المدح والذم على تاء التانيث المفتوحة وهذا مبرر آخر لافرادها في قسم خاص .

4 ــ ان لها طابع الافتقار الى الضمائم المعينة كافتقار التعجب الى ما والمنصوب وافتقار المدح والذم الى اسم الجنس وافتقار بعض خوالف الاخالة الى المرفوع .

5 ــ لا يصدق وصفها بالتعدى واللزوم ولم يدر بخاطر النحاة ان يعربوا المنصوب بعد اى منها مفعولا . وبهذا يتضح الفرق بين الخوالف وبقية اقسام الكلم وبخاصة الاسماء والافعال .

الضمير : الضمير ما دل على مطلق ذي حضور او غيبة دون دلالة على خصوص الغائب او الحاضر وهذا هو ما يقصده ابن مالك بقوله :

وما لذي غيبة او حضور
كانت وهو سم بالضمير

وفي رايي ان تعريف ابن مالك صالح لان يحمل على ما لم يرده ابن مالك بالضمير بل ما اريد انا هنا ان اجعله مشمولا بهذا الاصطلاح ويتضح توسيعي لدلالة هذا الاصطلاح بحيث يشمل ما هو اكثر من ضمائر الاشخاص على النحو التالي :

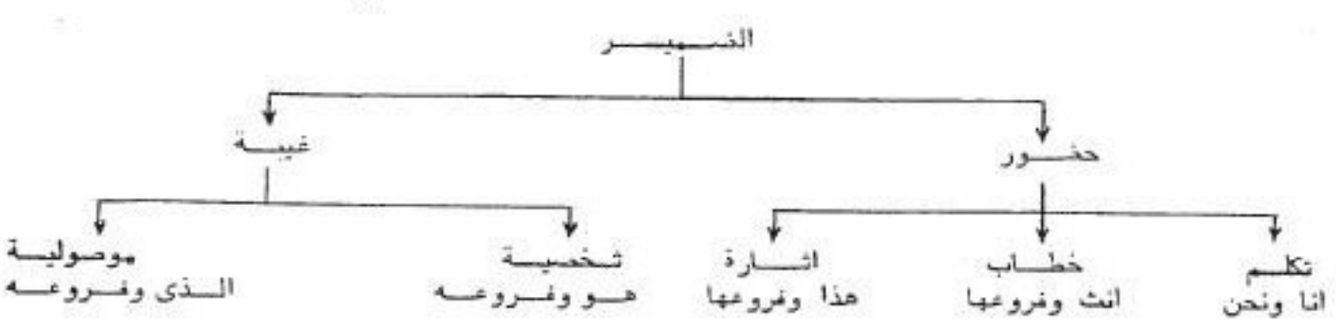

ومعنى ذلك ان الضمائر فى نظام الصرف العربى تنقسم الى ثلاثة اقسام :

1 ــ ضمائر شخصية

2 ــ ضمائر اشارة .

3 ــ ضمائر موصولة :

ولا شك ان الغيبة والحضور من المعانى الصرفية العامة التى لا تتطلب الاسماء للتعبير عنها بل هى معان « حقها ان تؤدى بالحرف » كما يقول النحاة ولقد رأى النحاة هذا « الشبه المعنوى » بين الضمائر بأنواعها وبين الحروف اساسا من اسس بنائها . يضاف الى ذلك ما يتسم به استعمالها من الافتقار المتأصل الذى لهذه الضمائر لان ضمائر الاشخاص تفتقر الى مرجع وتفتقر الموصولات الى صلة كما تفتقر الاشارات الى مثول مادى او ذهنى وهذه الامور التى تفتقر اليها الضمائر هى التى تعين على تحديد العموم الذى فى دلالتها على مطلق الغيبة او الحضور .

وتمتاز هذه الضمائر عن بقية اقسام الكلم على النحو التالى :

1 ــ الضمائر ذات رتب محفوظة فالرتبة محفوظة بين الضمير الشخصى ومرجعه كما انها محفوظة بين الموصول وصلته وبين ضمير الاشارة وبيانه .

2 ــ لكل نوع من الضمائر طريقان للاستعمال احدهما الاشباع والاخر الاضعاف ففى ضمائر الاشخاص يكون الاشباع بالضمير المنفصل والاضعاف بالمتصل وفى الاشارة يكون الاشباع بحروف التنبيه والبعد والخطاب ويكون الاضعاف بحذفها وفى الموصول يكون بذلك فى « اولاء » وبغيره فى غيرها « كالذى » و « اللذ » و « منو » و « من » وكذلك « ما » و «م». وبهذا تقرب الضمائر من الحروف وتبعد عن الاسماء.

3 ــ كل الضمائر يقع موقع المضاف اليه ولا يكون مضافا كما لا يكون موصوفا ابدا وهذا فرق بين الضمائر والاسماء ايضا :

4 ــ تبدو الضمائر المتصلة فى الكتابة اجزاء كلمات مثلها مثل الحروف المتصلة تماما وهذا يفرق بينها وبين الاسماء .

5 ــ تلعب الضمائر ذات العائد دور الربط فى السياق ويساعد الافتقار على اداء مثل هذا الدور .

كل ذلك يبعد بالضمائر المختلفة عن ان تكون اسماء ويدعو الى افرادها بقسم خاص من اقسام الكلم فى اللغة العربية .

الظرف : سبق ان ذكرت ان بعض اقسام الكلم يستعمل منقولا للدلالة على معانى الاقسام الاخرى ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى اكثر الالفاظ المستعملة استعمالات الظروف . فالملاحظ ان الكثير من الاسماء المبهمة يستعمل استعمال الظرف وكذلك المصادر وبعض الاشارات والادوات . فمن ذلك مثلا :

ا ــ اسماء الجهات نحو رايته يسير غرب الحائط وجنوب الحديقة وامام المسجد .

ب ــ اسماء الاوقات نحو رايته ساعة الشروق يوم الجمعة وصباح السبت وظهر الاحد ــ وحين البأس

ج ــ اسماء الاعداد نحو : خرجت خامس رمضان وجلست ثلاث خطوات من المعلم .

د ــ اسماء المقادير نحو : سرت فرسخا او بريدا .

هـ ــ اسم الزمان نحو رايته مطلع الشمس .

و ــ اسم المكان نحو قعدت مقعد فلان .

ز ــ المصدر نحو اتيك طلوع الشمس وقدوم الحاج ومنه فى رأيى قط وعوض مقطوعين عن الاضافة .

ح ــ اسماء مبهمة اخرى نحو عند ولدى وقبل وبعد ولدن ونصف وبعض وكل .

ط ــ الصفات والمنسوبات نحو جلست طويلا وجميع اليوم وشرقى المنزل .

ى ــ بعض الاشارات نحو اجلس هنا ولا تجلس هناك وهما من اشارات المكان ومن اشارات الزمان فى رأيى كلمة « الآن » .

ك ــ بعض الحروف نحو ما رايته مذ امس ومنذ يوم الجمعة .

ولقد رأينا مما تقدم ان اكثر ما اطلق النحاة عليه اصطلاح « الظرف » لم يكن فى الحقيقة ظرفا بالمعنى الصرفى ولا صلة بينه وبين الظرف الا ان كليهما يقع

فى مجال السياق النحوى موقع المفعول فيه . ومعنى ذلك ان المفعول فيه وهو باب من ابواب النحو يمكن ان يعبر عنه بأكثر من قسم واحد من اقسام الكلم كالاسم المبهم والصفة وضمير الاشارة وكل ما نقل الى معنى الظرفية من غير ذلك كالاشارات والحروف كما يعبر عنه ايضا بالظروف التى تستحق اسم الظرف من وجهة النظر الصرفية اى من حيث تقسيم الكلم. وقبل ان احدد المقصود بهذه الظروف التى هى قسم من اقسام الكلم ينبغى ان اشير الى ان « النقل » مما اعترف به النحاة وجعلوه قسيما للارتجال فى باب العلم ومن ادلة ذلك قول ابن مالك :

ومنه منقول كفضل واسد
وذو ارتجال كسعاد وادد

فلا غرابة اذن فى « نقل » الاسماء والصفات والاشارات والحروف الى معنى الظرفية . وهذا النقل كما يبدو اهم الاسس لتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الصرفى الواحد على نحو ما يفصله « مغنى اللبيب » لابن هشام .

عند هذه النقطة يصبح من الضرورى ان نحدد الظروف التى ينتظمها قسم خاص من اقسام الكلم فلا تعد فى الاسماء . وهذه الظروف محدودة العدد وهى كما يلى :

للزمان : اذ — اذا — اذن — متى — ايان .

للمكان : حيث — اين — انى .

وهذه الظروف لا تقبل علامات الاسماء فهى لا تجر لفظا ولا تنون تمكينا ولا تنادى ولا تتصل بها ال ولا تكون مسندا اليه ولا مضافا اليه ومن ثم لا يمكن اعتبارها فى عداد الاسماء .

ولا يعترض معترض بأن هذه الظروف محدودة العدد ولا يستقيم لقسم من اقسام الكلام ان يكون محدود العدد كذلك فالرد على ذلك ان الضمائر محدودة العدد والحروف محدودة العدد ايضا والخوالف اقل عددا من كل اولئك . ويجمع بين هذه الظروف جميعا امور :

1 — انها جميعا مبنية لما بينها وبين الحرف من مشابهة وهذا يبعد بها عن الاسماء .

2 — انها جميعا ذوات رتبة محفوظة عبر النحاة عنها بعبارة « الاضافة الى الجملة » .

3 — ان قوة الشبه بينها وبين الحروف شجعت الاستعمال اللغوى على « نقلها » من الظرفية الى معنى الاداة فاستخدمت فى الشرط والاستفهام واحتفظت برتبة لها فى صدر الجملة .

4 — ان معنى الظرفية المفهوم من هذه الظروف هو « الظرفية الاقترانية » لا « الظرفية الاشتمالية » والمقصود بالظرفية الاقترانية ان يعبر الظرف عن اقتران حدثين فحين تقول :

يخرج زيد اذا حضر عمرو
يكثر المطر متى جاء الشتاء
يسقط الطير حيث يلتقط الحب
رايت البشر فى وجهه اذ جاء

} فالظرف فى كل ذلك يقرن الحدث الاول بالثانى .

واما ما عدا هذه الظروف مما نقل الى الظرفية وكذلك ما يدل على معنى الظرفية من حروف الجر فظرفيته ظرفية اشتمال نحو : جاء زيد يوم الجمعة ورايته فى المسجد الخ . ولعل هذا الفارق فى المعنى بين الظروف الاصلية والمنقولة واضح الدلالة على صواب ما اذهب اليه من افرادها بقسم خاص . والملاحظ ان معنى « الظرفية الاقترانية » يبقى لهذه الظروف عند نقلها الى الشرط وتحل محله « الظرفية الاشتمالية » عند نقلها الى الاستفهام . والذى اراه انها عند نقلها الى احد هذين المعنيين تصير ادوات لا ظروفا .

الاداة : تنقسم الاداة الى قسمين : اصلية ومنقولة. وهذه المنقولة قد تكون منقولة من الاسمية او الفعلية او الظرفية كما اشرنا منذ قليل . وتشترك الادوات بقسميها فى امر هام هو انه لا يقصد بها فى الاساس معنى معجمى اى انها كما يقول النحاة لا تدل على معنى فى نفسها كما يدل الاسم والفعل ولكنها تدل على معنى وظيفى هو معنى « الربط السياقى » الذى سنتكلم عنه فى معرض شرح القرائن ولما كان هذا الربط من المعانى التى تؤدى بالحرف راينا الادوات الاصلية من الحروف . وللادوات مميزات من حيث المعنى والمبنى تميزها عن بقية اقسام الكلم كما يأتى :

1 ــ الاداة ذات رتبة محددة فحرف الجر قبل المجرور وحرف العطف قبل المعطوف وحرف القسم قبل المقسم به ولادوات الشرط والاستفهام الصدارة والصدارة رتبة النواسخ ايضا وهى ادوات منقولة فى بعض الحالات .

2 ــ الاداة ذات افتقار الى ضميمة لان معناها لا يستقل فى الفهم الا بما يضامها وهذا طابع من طوابعها لا يتخلف .

3 ــ من الاداة ما ينفصل فى الكتابة وما يتصل شأنها فى ذلك شأن ضمائر الاشخاص ولعل الفيصل فى ذلك هو عدد حروفها فى الكتابة . والفرق بين الاداة المتصلة وبين لواصق الصرفية ان الكلمة اذا استبعدت منها اللاصقة الصرفية ذهب معناها اما اذا استبعد منها الحرف (الاداة) الذى اتصل بها فان معناها يظل لها ويتضح ذلك حين نفصل الحرف الاول عن بقية الرسم الاملائى من كلمتى :

تقوم و بمحمد

4 ــ الادوات فى حقل النحو روابط اما بين كلمة واخرى كالمعطوف والمعطوف عليه واما بين كافة اجزاء الجملة كما فى الشرط وبهذا تكون الاداة احدى قرائن التعليق النحوى .

لقد اشرت منذ قليل الى ان النواسخ ادوات ولقد قصدت بذلك ان واخواتها باعتبارها ادوات اصيلة كما قصدت كان واخواتها نواسخ المقاربة والشروع الخ باعتبارها ادوات منقولة عن الفعلية وهذه النواسخ المنقولة ربما كانت بحاجة الى فضل ايضاح نسوقه فيما يلى :

1 ــ لقد ذكرنا من قبل ان الظروف حين تنقل الى الاستفهام تفقد معنى « الظرفية الاقترانية » لتدل على « الظرفية الاستمالية » ويشبه ذلك ان النواسخ المنقولة عن الفعلية حين تنقل الى معنى النسخ تفقد الدلالة على الحدث ولا يبقى لها من معنى الفعل الا الدلالة على الزمن وهذا هو المقصود بأنها ناقصة . بل ان «ليس» من بين هذه الادوات تتمحض للنفى ولا يتضح فيها حتى معنى الزمن .

2 ــ لا يوجد معنى الاسناد بين هذه الادوات ومرفوعاتها ولكن هذا المعنى واضح بين المرفوع والمنصوب بعدها ولو كانت افعالا لوقعت موقع المسند.

3 ــ لا توصف هذه الادوات بتعد او لزوم ولو كانت افعالا لوصفت علاقتها بالخبر المنصوب بعدها بأحد هذين الوصفين .

4 ــ بعض هذه الادوات كليس وعسى واخلولق وافعال الشروع اما غير متصرفة تماما واما ناقصة التصرف مما يباعد بينها وبين الافعال التامة فينفى عنها صفة الفعلية .

5 ــ تختص هذه النواسخ بالدخول على الافعال فتعتبر قرائن وتدل على خصوص زمن الفعل الذى دخلت عليه وبهذا تكون تعبيرات عن الجهة (aspect)

هذه الفروق بين النواسخ المنقولة عن الفعلية وبين الافعال التامة تكشف عن وجه الصواب فى اعتبار هذه النواسخ ادوات .

تلك كانت مبانى التقسيم وقد رأينا ان الكلم سبعة اقسام هى :

الاسم ــ الصفة ــ الفعل ــ الخالفة ــ الضمير ــ الظرف ــ الاداة .

ونحب ان نلاحظ هنا ان الاقسام الثلاثة الاولى ذات طابع اشتقاقى يسمح لكل مبنى منها ان تتعدد تحته الصيغ الصرفية وتتنوع بين القياس والسماع وان مبانى الاقسام الاربعة الاخرى لا تخضع لهذا الطابع الاشتقاقى ولا تتعدد الصيغ تحت اى منها وانما يقع تحت كل منها وحدات معينة يمكن عدها واحصاؤها وتعتبر كل وحدة منها صالحة للاستعمال بحسب الاصالة وللاستعمال بحسب النقل . والمثال الذى اسوقه لذلك هو « ما » باعتبارها وحدة من هذه الوحدات او بعبارة اخرى باعتبارها فى صورتها العامة « مبنى » صرفيا تتعدد معانيه بحسب الاستعمالات التى يصلح لها كما يلى :

الموصولية ــ النفى ــ الاستفهام ــ الشرط ــ المصدرية الظرفية ــ النكرة التامة وغير التامة ــ الزيادة الخ .

فكلمة « ما » هنا مبنى صرفى عام تتعدد معانيه

وتظل احتمالية طالما بقى هذا المبنى على صورته المفردة العامة غير واقع فى جملة . فاذا وقعت « ما » فى جملة فهى « مثال » للصورة العامة التى ذكرناها ومن شأن المثال على عكس المبنى العام ان يتمحض لمعنى محدد غير متعدد ولا محتمل - وهذا شبيه بالفرق بين المبنى « فاعل » والمثال « هذا قاتل » فان معنى « فاعل » صالح لصفة الفاعل والصفة المشبهة ومع سكون اللام لفعل الامر الخ واما المثال فهو محدد المعنى كما ترى . والصورة العامة (الصيغ والوحدات) التى سبقت فى الذكر هى التى سوف نعنيها عند الكلام عن قرينة المبنى او البنية .

واما معانى التصريف وما يدل عليها من مبان فيمكن ايجاز القول فيها كما يلى :

الملاحظ ان المعانى الصرفية ليست مقصورة على معانى التقسيم فقط (وهى الاسمية والوصفية والفعلية والافصاح والاضمار والظرفية والتأدية) وانما تشتمل على معان اخرى وظيفتها تنويع دلالة هذه الاقسام عند ورودها فى السياق النحوى فالاسم مثلا يتصور فيه ان يكون فى السياق اما معرفة واما نكرة كما يكون مذكرا او مؤنثا وينسب اليه دائما انه بمعنى الغائب (او كما يقول النحاة انه فى قوة ضمير الغائب) ويتصرف الفعل بحسب التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

وترد هذه المعانى كذلك على الضمائر التى تتصرف الافعال بحسبها فتتحقق بها الفروق او القيم الخلافية بين الاستنادات المختلفة للفعل كما تتحقق المطابقة بين الكلمات فى السياق ويتحقق الربط بعود الضمير على مرجعه المطابق له كذلك .

لقد عرفنا بهذا ان معانى التصريف فى اللغة العربية تشتمل على ما يلى :

المعنى	المبنى	
1 ــ التكلم	المتكلم	الشخص
2 ــ الخطاب	المخاطب	
3 ــ الغيبة	الغائب	
4 ــ الافراد	المفرد	العدد
5 ــ التثنية	المثنى	
6 ــ الجمع	المجموع	
7 ــ التذكير	المذكر	النوع
8 ــ التأنيث	المؤنث	
9 ــ التعريف	المعرف	التعيين
10 ــ التنكير	المنكر	

هذه هى المعانى الكبرى للتصريف وهى التى يحسن لها ان توضع هى ومعانى التقسيم تحت عنوان : « المقولات اللغوية » . وهناك معان تصريفية اخرى تتصل بتفريع الاشتقاق من معانى التقسيم وتلك هى التى تسمى معانى الصيغ كالطلب والمطاوعة والصيرورة والاتخاذ والتبادل والمشاركة والتجنب والتكلف وهلم جرا . كما توجد معان اخرى لا تتصل بتعديل الاقسام ولا بتفريع اشتقاقها وانما تتصل بمعان تلحق بكل قسم على حدة كالنسب والتصغير فى الاسماء . وكالتوكيد بالنون والوقاية فى الافعال وهلم جرا وبذلك تكون معانى التصريف فى صلتها بمعانى التقسيم على النحو التالى :

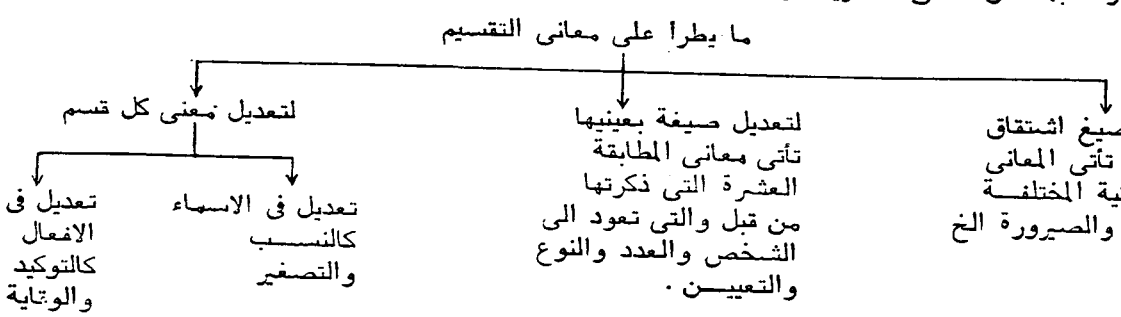

ويأتى تفريع الصيغ فى داخل المادة الاشتقاقية المعينة بواسطة الزوائد كالسين والتاء للطلب والتاء للافتعال والنون للمطاوعة وهلم جرا . اما تعديل صيغة بعينها من هذه الصيغ المذكورة بحيث تتم لها المطابقة فتكون بواسطة اللواصق بمعنى ان كل ما عبر عن تكلم او خطاب او تثنية الخ . فهو عنصر لاصق بالكلمة فى اولها او آخرها . يصدق ذلك على حروف المضارعة كما يصدق على ضمائر الرفع المتصلة وعلى اداتى التعريف والتأنيث .

وسنرى الفائدة الكبرى لهذا النوع من التعديل عند الكلام فى قرينتى المطابقة والربط . واما النوع الثالث من معانى التصريف وهو الذى يتم به تعديل معنى كل قسم من اقسام الكلم كالنسب والتصغير والتأكيد والوقاية الخ فقد يكون التعبير عنه بواسطة الالصاق او بواسطة الزيادة وليس له قيمة بذاته فى تحديد القرائن وانما يعين على تحديد معنى السياق وهو كبرى القرائن النحوية على ما سنرى فيما بعد .

تلك هى المعانى الصرفية فى عمومها :

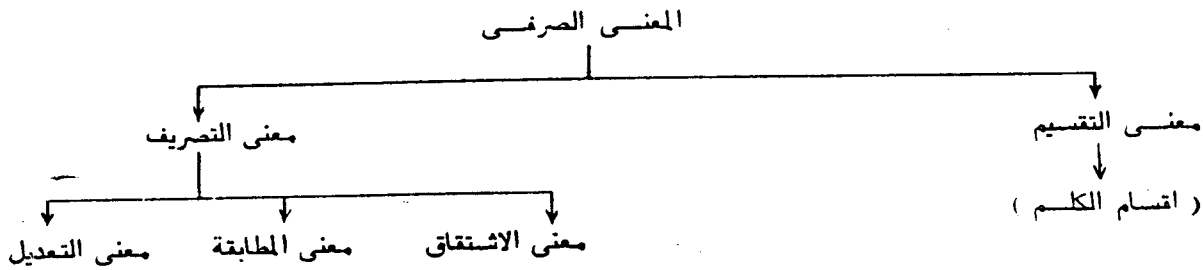

وسنرى ان معنى الاشتقاق مسئول عن تفريع معنى التقسيم لانه بسببه تتعدد صيغ كل قسم بحسب المعنى الاشتقاقى فتكون هناك صيغ متعددة للاسماء واخرى للصفات وثالثة للافعال وتعتبر كل صيغة من هذه بنية فرعية على المبنى العام للاسم او الصفة او الفعل تعتبر عند الاعراب قرينة لفظية تسمى «قرينة البنية» كما ان معنى المطابقة يعبر عنه بلواصق تدل عليه وتترابط بها اجزاء السياق وسنرى بعد قليل ان هذه اللواصق هى القرينة اللفظية على المطابقة وتسمى « قرينة المطابقة » كما تدل على ترابط الاجزاء فتعين على فهم « قرينة الربط » .

عند هذه النقطة يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنفكر فى مدلول اصطلاح جرى استعماله فيما سبق وهو اصطلاح « المبنى » . وقد ييسر فهمنا لهذا الاصطلاح ان نتأمل العبارات الآتية :

1 — ان اقسام الكلم كالاسم والصفة والفعل الخ. مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى الاسمية والوصفية والفعلية الخ .

2 — ان المتكلم والمخاطب والمثنى والمؤنث والمعرف الخ . مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى التكلم والخطاب والتثنية والتأنيث والتعريف الخ .

3 — ان ياء النسبة مبنى يعبر عن معنى النسب ونون التوكيد مبنى يدل على معنى التوكيد الخ .

وهكذا تقف المبانى بازاء ما يتضح بها من المعانى ولكنها هى نفسها تحتاج الى ان تتحقق بالمثال او العلامة . اى ان المبنى عنوان عام لا ينطق وانما يتحقق فى النطق بواسطة امثلته المتعددة فالذى ننطقه مثلا ليس هو الاسم باعتباره عنوانا شاملا وانما ننطق محمدا وقياما ويوما وخمسة وكل من هذه الامثلة تحقيق نطقى لمبنى صرفى عام هو الاسم . وهكذا نجد المعنى والمبنى والمثال فى علاقة متينة على النحو التالى :

المعنى	المبنى	المثال
الاسمية	الاسم	محمد
الطلب	استفعل	استخرج
المطاوعة	انفعل	انكسر

وحين قال ابن مالك :

وتاء تأنيث تلى الماضى اذا
كان لانثى كأبت هند الاذى

وضع هذه العلاقة على النحو التالى :

التأنيث التاء ا ب (ت)

وحين قال :

فعل قياس مصدر المعدى
من ذى ثلاثة كنرد ردا

وضع هذه العلاقة كما يلى :

مصدر الثلاثى المتعدى فعل رد

فوضوح فكرة المبنى يتوقف هنا على ادراك الفرق بين عموم المبنى وخصوص المثال اذ المثال فرد من نوع هو المبنى . وحين يعبر عن المعنى بلاصقة او حرف زائد تجرى تسمية المبنى على طريق الاضافة فيكون المبنى مضافا والمعنى مضافا اليه فيقال مثلا نون التوكيد وتاء التأنيث والف الاثنين ونون الوقاية وهلم جرا . حيث نرى النون والتاء والالف وهى المبانى ويكون التوكيد والتأنيث والاثنين والوقاية هى المعانى. اما فى الحالات الاخرى فالمبنى فى المتصرف هو الصيغة الصرفية وفى الجامد هو الصورة العامة كما سبق شرحه ويجتمعان معا تحت اصطلاح « البنية » ولقد جرى العرف عند تعريف الباب النحوى كالفاعل والمبتدا الخ . ان يبدأ التعريف باللفظ الدال على المبنى اتكالا على أن عنوان الباب النحوى هو المعنى فيقال مثلا فى تعريف الفاعل : « الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » . فقد بدأ التعريف بمبنى وتم تقييد هذا المبنى بمبان اخرى حتى وصلنا فى النهاية الى تحديد امر من امور المعنى فرأينا التعريف يقول : « ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » ولعل هذا يوضح ان البنية قرينة هامة للدلالة على الباب النحوى ما دام الباب النحوى قد اصبح محددا بواسطتها .

اعتقد اننا بعد ان رأينا كلاما مفصلا فى عنصرين من الثلاثة العناصر التى يتكون منها النظام الصرفى هما : المعنى الصرفى والمبنى الصرفى ينبغى لنا ان نلقى نظرة على ثالث هذه العناصر وهو القيمة الخلافية . وما دامت المبانى الصرفية تعبر عن معان هى فى عمومها ابواب صرفية او نحوية فلا بد ان يكون امن اللبس من الغايات الكبرى التى تحرص عليها اللغة فى صياغتها للمبانى الصرفية . ولا بد لضمان امن اللبس على المستوى الصرفى ان تقوم القيم الخلافية بدور التفريق بين المبنى والمبنى ليكون هناك فارق بين المعنى والمعنى . فالفرق بين « فعل » و « فاعل » مثلا يأتى عن قيمة خلافية (او فرق) هى المقابلة بين امرين هما قصر الحركة وطول الالف وما دامت هذه المقابلة قد اعانت على اختلاف معنى احدى الكلمتين عن الاخرى فان هذا الارتباط بالمعنى يخرج المقابلة عن مجرد ان تكون فارقا ثانويا الى ان تصبح « قيمة خلافية » . ومثل ذلك يقال عن الافراد والتشديد الذى يفرق بين المعنى المفهوم من « فعل » والمعنى المفهوم من « فعل » وعن التجرد والزيادة فى التفريق بين معنى « فعل » و « استفعل » وهلم جرا .

فنحن نرى ان القيم الخلافية كما كانت عصب النظام الصوتى تبدو كذلك بالنسبة للنظام الصرفى وستبدو كذلك ايضا بالنسبة للنظام النحوى لان فهم النص اللغوى وتحليل مكوناته وتقسيمها وتبويبها انما يقوم على ادراك جهات الاختلاف بين المعنى والمعنى وكذلك بين المبنى والمبنى ولا يمكن للمعنى ان يختلف عن المعنى الا اذا اختلف المبنى الدال عليه عن المبنى الدال على الآخر . ولو انتفت القيم الخلافية فى المعانى والمبانى ما استطعنا التقسيم ولا التبويب ولا وصلنا الى امن اللبس .

ولكن قد يحدث احيانا ان تتشابه صيغتان فى النظام مع اختلاف معناهما فلا نجد فارقا بينهما فى حال عزلهما عن تحليل السياق كما فى صيغة « فاعل » فعل امر من « فاعل » وصيغة « فاعل » صفة فاعل من « فعل » او صفة مشبهة من « فعل » وكالذى نراه ايضا فى تشابه صيغة « فعل » مصدرا للثلاثى المتعدى وصيغة « فعل » صفة مشبهة . هنا نجد ان القيم الخلافية ليست واضحة فى التفريق بين المعنى والمعنى فى الصيغتين المعزولتين . ومن ثم يمدنا نظام الصرف بالوسائل التى نستطيع بها الكشف عن هذه القيم الخلافية التى اختبأت وراء مظهر الصيغتين وتتمثل هذه الوسائل فى مقارنة الصيغتين فى البيئة الجدولية لكل منهما وهو ما يطلق عليه المحدثون Morphological scatter . فمما يعين على التفرقة فى حدود نظام الصرف بين «فاعل» فعل امر من «فاعل» و «فاعل» اسم فاعل من «فعل» ان الصيغة الاولى لا تقبل التعريف على حين يقبله مثال الصيغة الثانية. ومما يعين على التفريق بين « فعل » مصدرا و «فعل» صفة مشبهة ان الصيغة الاولى لا تقبل التثنية والجمع

وتقبلهما الثانية . ومثل هذا التشابه قد يتخطى الصيغة الى مثالها فلا يكون الصرف هو الفيصل حينئذ وانما يكون السياق فمثال صيغة « فعل » هو كلمة « عدل » ولو نظرنا الى هذه الكلمة مفردة ما استطعنا القطع بمصدريتها او وصفيتها فحينئذ لا نملك الا ان نتوقف فى دعوى اى منهما للكلمة حتى نراها فى السياق على احدى الصورتين الآتيتين مثلا :

1 ــ العدل اساس الملك .

2 ــ هو الحكم العدل اللطيف الخبير .

عندئذ يتضح لنا ان « العدل » فى المثال الاول مصدر وفى الثانى صفة مشبهة وهذا مثل من الامثلة التى يتجلى فيها السياق فى صورة كبرى القرائن .

* *

النظام النحوى والقرائن النحوية :

ان النظام النحوى للغة العربية ينبنى على الاسس الآتيــة :

1 ــ المعانى النحوية سواء ما تعلق منها بالجمل كالاثبات والنفى والتأكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجى والعرض والتحضيض والشرط والقسم والنداء الخ . وما يتعلق بالمفردات كالمبتدا والخبر والفاعل ونائب الفعل والمفعولات والحال والتمييز الخ .

2 ــ القرائن الدالة على هذه المعانى سواء ما كان من هذه القرائن معنويا كالاسناد والتعدية والغائية والظرفية الخ . وما كان لفظيا كالبنية الصرفية والعلامة الاعرابية والمطابقة الخ . وهى امور مستمدة من النظامين الصوتى والصرفى .

3 ــ القيم الخلافية التى تفرق بين بعض هذه المعانى وبعضها والتى تجعل ادراك القرائن المعنوية امرا ممكنا والتى تفرق كذلك بين قرينة لفظية واخرى فيؤمن اللبس .

4 ــ دلالات السياق النحوى على اعتبار هذا السياق اكبر القرائن النحوية من حيث انه يشتمل على جميع القرائن المعنوية واللفظية وكذلك قرينة المقام .

ويستفيد النحو من نتائج نظامى الاصوات والصرف فيأخذ الحركات والمد والاعلال والابدال والادغام والنقل والقلب والحذف الخ من نتائج دراسة النظام الصوتى كما يأخذ معانى التقسيم ومعانى التصريف وما يعبر عن ذلك من المبانى من نتائج دراسة النظام الصرفى فنرى الكلام فى شرح الباب النحوى يشتمل على ذكر الاسم والصفة والفعل والضمير الخ كما يشتمل على ذكر التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير وغير ذلك مما سبق شرحه فى نظام الصرف . ومعنى ذلك انه لا يمكن لدراسة النحو ان تتم بدون معونة النظامين الصوتى والصرفى لان معطيات هذين النظامين هى التى تقدم للنحو ما يعرف باسم القرائن اللفظية ولا قرائن لفظية للنحو الا ما يمده به الاصوات والصرف . ولعل هذا هو السبب فى تشابك هذه الدراسات فى كتب التراث فلو امسكنا بألفية ابن مالك او غيرها من كتب القواعد وحاولنا ان نعزل منها ما كان نحويا مما كان صرفيا او صوتيا لتعذر علينا ذلك اذ ان كل باب من ابوابها يتعرض لمعلومات مختلطة من هذه الفروع الثلاثة :

والغاية التى تسعى اليها دراسة النحو هى ان تنظر فى العلاقات التى تربط بها النص ولا يمكن النظر اليها الا من خلال القرائن بنوعيها المعنوى واللفظى ولقد تعودنا عند التصدى للاعراب ان نجد من السهل نسبيا على المعرب ان يكشف عن دلالة القرائن اللفظية فهو لا يمكن مثلا ان يخطىء فهم قرينة البنية الصرفية فيعرب الفعل المضارع مفعولا به لان المفعول به لا يكون الا اسما ولا قرينة العلامة الاعرابية فيعرب الاسم المنصوب فاعلا لان الفاعل مرفوع ولا يتجاهل قرينة المطابقة فيعرب البدل نعتا وليس بينه وبين متبوعه مطابقة وهلم جرا . ولكن الذى يجده المعرب صعبا (نسبيا ايضا) هو ادراك القرائن المعنوية حين يتوقف المعنى على ادراكها فى وقت لا يجد فيه المعرب من القرائن اللفظية ما يعينه على تحديد المعنى ومن امثلة ذلك ان يتردد المعرب فى فهم قرينة المعية او قرينة التبعية (وهما من القرائن المعنوية) فى نحو قولك « رأيت زيدا وطلوع الشمس) وقد تعود المعربون فى مثل هذا الوضع ان يعودوا الى القرينة الكبرى وهى السياق ليستعينوا بها على تحديد المعنى وسبيلهم الى ذلك ان يتكلموا عن « قصد المتكلم » وكان الاجدر بهم ان يتكلموا عن

« مقام النص » وهو الظروف المركبة التى تم فيها التكلم لان « المقام » يمكن استعادته بالذاكرة ولكن قصد المتكلم قد لا يكون الوصول اليه ممكنا .

والمعانى الصوتية والصرفية والنحوية جميعا تقع تحت عنوان « المعنى الوظيفى » لان هذه المعانى جميعا وظائف لما ذكرنا من المبانى التحليلية . ومعنى ذلك ان كل معنى تحليلى لا يمكن ان يكون الا معنى وظيفيا اى لا يمكن ان يكون معجميا يلتمس فى القاموس المحيط مثلا ولا دلاليا يتطلب فى دراسات الدلالة Semantics والاعراب هو التصدى للمعانى الوظيفية المذكورة حيث يكشف المعربون عنها بواسطة القرائن الدالة على هذه المعانى الوظيفية ولا يدخل المعنى المعجمى ولا الدلالى فى الاعراب الا فى حالات نادرة تكون القرائن فيها مختلة اكثر من وجه ، ويسمى هذا اللجوء الى المعنى المعجمى او الدلالى فى هذه الحالة استعمالا لقرينة السياق (كبرى القرائن) . وليس معنى هذا ان قرينة السياق مقصورة على المعنيين المعجمى والدلالى فقط وانما تشمل المعنى الوظيفى كذلك فيكون السياق بأصواته وصرفه ونحوه ومعجمه ودلالته هو القرينة الكبرى .

والذى يفهم بالضرورة من هذا الكلام اننا لو ابحنا لانفسنا ان نتلاعب قليلا بالسياق فنجرده من المعانى المعجمية للمفردات والمعانى الدلالية للجمل بأن نسوق نصا هرائيا لا تدل كلماته على معنى ولا يدل النص فى جملته على معنى كذلك ثم نحافظ على الرغم من ذلك على القرائن النحوية فى هذا النص الهرائى الذى لا معنى له فاننا سنستطيع بمنتهى السهولة ان نعرب هذا النص بسبب وضوح القرائن . وهاك مثالا لذلك :

شقا الكلد صاقفة الرحيس بمشقاته

شقا فعل ماض :

لانه جاء على بنية الماضى الثلاثى المجرد (بنية) .

ولان جميع حروفه من الحروف العربية فمثلا ليس به p ولا V ولانه مبنى على الفتح حسب ما يطلبه الاستعمال (بنية) .

ولان له فاعلا (تضام) .

ولان هذا الفاعل مذكر جاء الفعل مسندا الى المذكر (مطابقة) .

ولان هذا الفاعل جاء بعده فى الرتبة (رتبة)

الكلد :

فاعل : لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)

ولانه تقدمه فعل (رتبة)

ولان هذا الفعل مبنى للمعلوم (بنية)

ولان علاقة الاسناد واضحة بين الكلمتين (اسناد)

ولان الفعل مسند للمذكر (مطابقة)

صاقفة مفعول به :

لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)

ولانه منصوب (علامة اعرابية)

ولان علاقة التعدية واضحة بينه وبين الفعل لعدم احتمال علاقة اخرى (تعدية)

الرحيس مضاف اليه :

لانه اسم (بنية)

ولانه مجرور (علامة اعرابية)

ولانه تقدمه اسم غير مقترن بأل (تضام ورتبة)

ولان علاقة النسبة واضحة بين الاسمين (نسبة)

بمشقاته :

جار ومجرور : الباء حرف جر ومشقاة مجرور (بنية)

لانه اسم مؤنث مضاف (والتأنيث والاضافة من علامات الاسماء) (بنية)

سبقه حرف جر (وهو من علامات الاسماء ايضا) (تضام)

لان معنى الباء الواسطة (نسبة)

ولان الاسم الذى بعدها اسم آلة تم الحدث بواسطتها (بنية)

ولان الاسم آخره كسرة (علامة اعرابية)

وهكذا يتضح مما سبق ان الاعراب تحليل للوظائف فى السياق وليس تحليلا لمعانى المفردات ولا لدلالة الجملة . ولعل هذا يلقى ضوءا جديدا على العبارة الشهيرة المنقولة عن النحاة والتى تقول : «الاعراب فرع المعنى » . فأى معنى يريدونه ؟ أهو المعنى الوظيفى ؟ ام المعجمى ؟ ام الدلالى ؟ ولماذا لم يوضحوا ؟ وهذا الذى قلته بالنسبة لتحليل العلائق فى السياق يبين الى اى حد يتوقف نظام النحو كما اشرتمن قبلعلى مفاهيم نظامىالاصوات والصرفكما يبين الى اى حد تتشابك النظم الثلاثة وتتضافر بحيث لا يمكن من الناحية العملية ان نفصل احدها عن الآخر فى النص ولا نفصل بينها الا لاغراض التحليل النظرى فقط . وهذا هو المعنى الذى قصدت اليه حين عقدت شبها بين تكوين اللغة وتكوين الجسم الانسانى .

واذا كان النحو هو تحليل العلاقات فما أجدر النحو باسم «التعليق» وان اذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية فى تاريخ التراث العربى هى ما ذهب اليه العلامة عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز تحت عنوان : « النظم » اذ جاء بمصطلحات اربعة هى :

النظم — البناء — الترتيب — التعليق

فأما النظم فقد جعله للمعانى اى ان النظم هو تصور العلاقات بين الابواب فى الذهن كتصور علاقة الاسناد التى بين المسند والمسند اليه فى الجملة عند الكلام وتصور علاقة التعدية بين الفعل المتعدى والمفعول به وتصور علاقة المعية بين الحدث والمفعول معه الخ . واما البناء فقد فهمت من كلام عبد القاهر انه يجعله للمبانى بحسب المعانى كأن يتطلب معنى الفاعلية اسما مرفوعا فى بعض المواقع وضميرا متصلا فى البعض الآخر . فالبناء كما افهمه عنه هو تحديد المبانى التى يستمدها النحو من نظام الصرف ليبنى بها جملة بعينها . وهذا التحديد ذهنى ايضا . واما الترتيب فهو تحقيق هذه المبانى الذهنية فى صورة كلمات مرتبة فى الكلام بحسب العرف الاستعمالى .

ولكن اخطر ما ورد على فكر عبد القاهر فى هذا الباب هو الاصطلاح الرابع : « التعليق » وقد قصد بهذا الاصطلاح — فى زعمى — ما يقوم به المتكلم من انشاء العلاقات بين اجزاء الجملة لكن بحسب الطرق العرفية للاستعمال تقديما او تأخيرا وذكرا او حذفا واظهارا او اضمارا وفصلا او وصلا واخبارا او انشاءا وعطفا او معية واختيارا لجملة اسمية او فعلية وهلم جرا هذا فهمى لما يقصده عبد القاهر بالتعليق ولكن عبد القاهر لم يفصل القول فيه بأكثر من عبارات عامة كقوله فى الكلمات التى فى السياق انها «يأخذ بعضها بحجز بعض » وكقوله فى صفحة 65 من كتابه دلائل الاعجاز : « هذا هو السبيل . فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا او خطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو من معانى النحو قد اصيب به موضعه ووضع فى حقه او عومل بخلاف هذه المعاملة واستعمل فى غير ما ينبغى له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية او فضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معانى النحو واحكامه ووجدته يدخل فى اصل من اصوله ويتصل بباب من ابوابه » .

وفى رأيى — كما كان فى رأىعبد القاهر على احتمال — ان التعليق هو الفكرة المركزية فى النحو العربى وان ادراك العلاقات وما يدل عليها من القرائن مغن تمام الاغناء عن القولبالعامل النحوىوهو قول يتعرض للنقد من جميع الجهات لان التعليق يفسر العلاقات بين الابواب على صورة اوفى وافضل واكثر نفعا فى التحليل اللغوى لهذه المعانى النحوية الوظيفية . وهكذا نرى التعليق هو النحو فى جملته لان النحو هو مجموعة العلاقات السياقية .

والتحليل النحوى هو الكشف بالقرائن عن هذه العلاقات .

وفيما يلى تخطيط للقرائن النحوية بأنواعها :

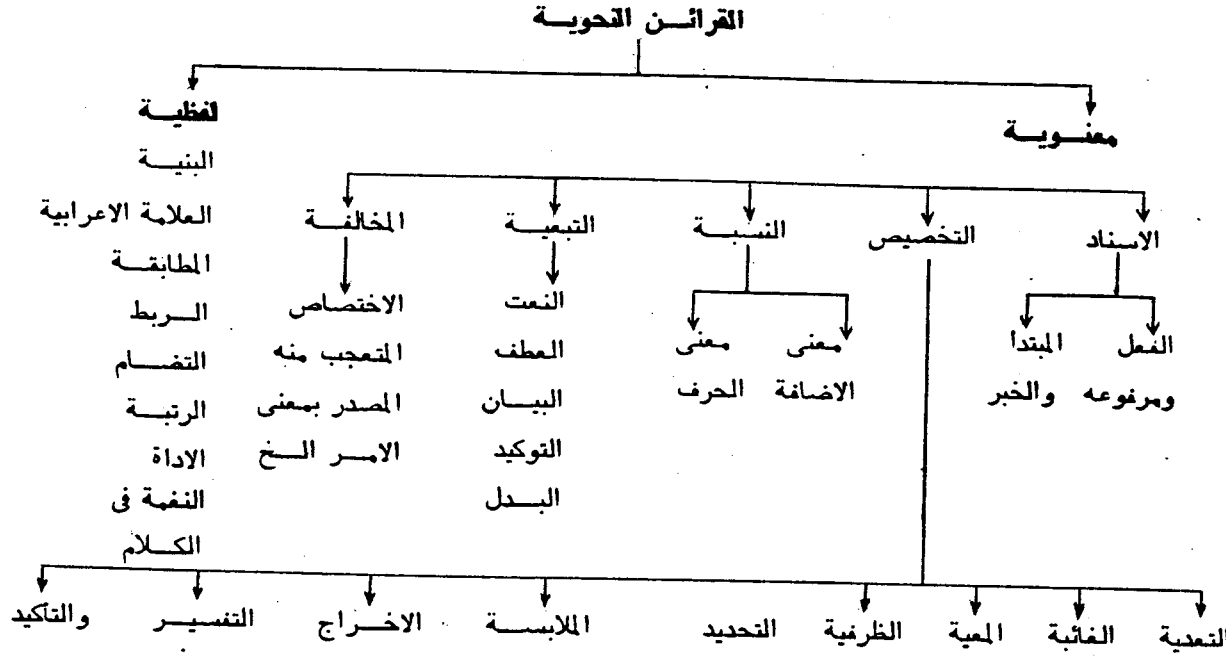

اولا : القرائن المعنوية :

سنتناول هذه القرائن النحوية بنوعيها بالدراسة فى الصفحات التالية محاولين ان نرى بوضوح تام كيف ينبغى لهذه القرائن ان تغنى عن القول بالعامل فى التحليل النحوى كما نرى ان معظم ما سبب الخلاف بين النحاة العرب وتضخمت به كتب النحو من جدل يمكن الاستغناء عنه بايضاح غاية فى البساطة .

1 ــ قرينة الاسناد :

ان العلاقة التى تقوم بين المسند اليه والمسند فى لغتنا العربية علاقة معنوية يسهل ادراكها دون الاستعانة بلفظ مساعد Copula فاذا ادركها السامع فهم ما يسمع بواسطتها واذا فهمها المعرب كان فهمه لها قرينة على تحليل الجملة . ولقد حاول بعض الباحثين ان يصور عدم حاجة الاسناد فى اللغة العربية الى لفظ مساعد فى صورة ميزة للغة العربية على اللغات الاخرى من حيث يأتى الاسناد ملموحا فى العربية مفتقرا الى لفظ خاص فى غيرها من اللغات وزعم ان ذلك من عبقرية اللغة ولماحية اصحابها ولكننا سنرى بعد قليل ان المعنى فى السياق لا يمكن ان يتكل على قرينة واحدة بل لا بد من ان تتضافر القرائن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى (معنى كل كلمة فى السياق على حدة) وقد مر بنا عند اعراب الجملة الهرائية ما يتضح به ان الفعل الماضى قد اتضح معناه بست من القرائن وان الفاعل قد استبان بست منها كذلك كما انكشف معنى المفعولية بثلاث ومعنى المضاف اليه بأربع الخ وكان من الواضح ان قرينة الاسناد لم تنكشف بذاتها غير معانة وانما اعانت قرائن لفظية اخرى على الكشف عنها لا تقل خطرا فى ايضاح المعنى عن اللفظ المساعد . ومثل ذلك يقال فى الجملة الاسمية نحو « زيد قائم » ، اذ يستطيع السامع والمعرب على السواء ان يزعم بأن علاقة الاسناد هنا تربط بين الكلمتين مما يدل على ان احداهما مبتدا والثانية خبر ولكن كيف يصل المرء الى هذا الفهم لعلاقة الاسناد دون ان تعينه على ذلك قرائن اخرى ؟ ان هذا شديد التعذر . واذن ما هى القرائن الاخرى التى تتضافر مع قرينة الاسناد وتعين على فهمها ؟ نستطيع ان نرى الجواب فيما يلى:

الكلمة : زيد قائم

اعرابها

القرائن الدالة على الاعراب

زيد ــ مبتدا : لانه اسم (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه اول الاسمين
(رتبة وان لم تكن محفوظة) .
تكن محفوظة) .
ولانه مخبر عنه (اسناد)

قائم ـ خبر :

لانه وصف مطابق (بنية ومطابقة)
ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه يصف المبتدا فى المعنى
فيخبر عنه (اسناد)
ولانه بعد المبتدا (رتبة غير محفوظة)

ومعنى ذلك ان البنية والعلامة الاعرابية والرتبة والمطابقة قامت فى هذه الجملة العربية بالنسبة لبيان الاسناد مقام ما يسمى Copula فى اللغات الاجنبية وبنفس الكفاءة والوضوح حتى ساغ لنا ان نعتبر الاسناد نفسه احدى القرائن المعنوية وهذا التعاون بين القرائن المعنوية واللفظية هو الذى سيكون فيما بعد محور المناقشة فى اغناء القرائن عن القول بالعامل وسنعرض لذلك ايضا تحت عنوان « تضافر القرائن ».

قرائن التخصيص :

التخصيص علاقة نحوية عامة تربط بين المعنى الاسنادى المستفاد من المسند وبين طائفة من المنصوبات تشتمل على المفعولات الخمسة والحال والمستثنى والتمييز . ذلك بأن كل واحد من هذه المنصوبات هو فى المعنى تخصيص لعموم معنى الاسناد الذى فى الجملة وتضييق له. مثال ذلك اننا اذا قلنا : « يصلى الناس » فقد اسندنا الصلاة الى الناس على اعم وجه واوسعه حتى ليصلح المعنى لجميع الصلوات وجميع اعداد الركعات ولجميع الغايات التى منها اداء الفرض والتطوع بالفعل واداء العيدين والجنازة وجميع الظروف واللابسات الخ . ولكننا اذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين » فقد اخرجنا من الاحتمالات الممكنة من جميع الصلوات ما لم يكن من هذه الصلوات على ركعتين كالظهر والعصر والمغرب والعشاء والوتر . وهكذا نرى المفعول به يصبح قيدا فى عموم دلالة اسناد الصلاة الى الناس وتخصيصا لهذه الدلالة . فاذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين تحية للمسجد » فقد اخرجنا من عموم دلالة الاسناد كل غاية محتملة الا ان تكون هاتان الركعتان لتحية المسجد وبهذا يكون المفعول لاجله قيدا فى عموم دلالة الاسناد وتخصيصا له كذلك . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين ودخول المسجد » فان المفعول معه هنا قيد كذلك فى عموم دلالة الاسناد اذ ان الناس يمكن ان يصلوا الركعتين مع عدد لا يحصى من الامور المصاحبة كالخروج من المسجد وركوب البحر وطلوع الفجر وانتهاء صلاة العشاء الخ . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين صبيحة كل يوم » فقد اخرجنا من دلالة الاسناد كل وقت غير الصبح ومن ثم يصبح معنى الاسناد مخصصا بالمفعول فيه . واذا قلنا يصلى الناس ركعتين صلاة خاشعة او قلنا : يصلى الناس ركعتين خاشعين او قلنا : « يصلى الناس ركعتين الا العاصين » او قلنا « يصلى الناس ركعتين فرضا » فان من الواضح ان المفعول المطلق والحال والمستثنى والتمييز لم يكن كلها الا لتخصيص اسناد الصلاة الى الناس . وبهذا المعنى تصبح هذه الابواب النحوية جهات فى فهم الاسناد او بالاحرى فى فهم معنى « الحدث » المفهوم من الاسناد يمكن ان توضح تحت العنوان العام « الجهة » .

وتقف جنبا الى جنب مع الجهات الاخرى المخصصة لمعنى الزمن كالاتصال والانقطاع والدوام والثبوت والتجدد الخ . كما يتضح من الشكل التالى :

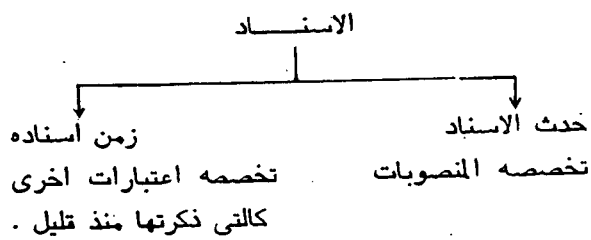

كالتى ذكرتها منذ قليل .

وقد راينا منذ قليل ان مخصصات الحدث ومخصصات الزمن هما على حد سواء من قبيل « الجهة » ولكن مجال تطبيق ما تعلق بالحدث من المخصصات هو القرائن المعنوية الدالة على المنصوبات المذكورة على حين نجد مجال تطبيق مخصصات الزمن هو دراسة « الزمن النحوى » الذى يتشعب بحسب هذه الجهات، ودراسة الفرق بينه وبين الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة وقد سبق ان شرحناه .

وفيما يلى بيان قرائن التخصيص كل على حدة :

ا ــ التعدية : وهى قرينة معنوية اذا اتضحت كان فى استطاعة السامع والمعرب ان يدركا معنى المفعول به . ذلك بأن التعدية فى حقيقتها علاقة قائمة بين معنى الحدث الذى فى جملة الاسناد وبين المنصوب المعين الذى نسميه المفعول به ولقد حرص النحاة على ان يلخصوا هذه العلاقة بواسطة وصف هذا المنصوب بأنه « وقع عليه الفعل » ولكن التعدية علاقة نحوية وليست وصفا لعمل وقع . بل ان النحاة انفسهم ربما جرهم الى وصف علاقة التعدية على هذه الصورة عامل النصب فى المفعول به فمن المنطقى ايضا ان يكون عاملا النصب فى المفعول به فمن المنطقى ايضا ان يكون الحدث الذى فى الفعل واقعا على المفعول به . ويشهد بعدم دقة النحاة فى هذا الوصف ان النائب عن الفاعل يمكن أن يوصف به كذلك والفارق النحوى بينه وبين المفعول به واضح فى الاسناد وعدمه وفى الرفع والنصب وفى المطابقة وعدمها وفى حفظ الرتبة وعدمه الخ .

وربما جادل البعض فى اعتبار التعدية علاقة نحوية ومن ثم قرينة معنوية بأن ارتباط التعدى بصيغ بعينها واللزوم بصيغ بعينها كذلك ربما دعا الى التفكير بأن التعدى واللزوم من المعانى الصرفية التى تفهم من الصيغة لا من المعانى النحوية التى تفهم من الجملة اى ان صيغة « فاعل » الدالة على المشاركة مثلا متعدية ولكن صيغة «فاعل» الدلالة على المشاركة مثلا متعدية ولكن توقف امر التعدى واللزوم على التركيب النحوى ما اتضح الامر فى الصيغة بله المثال المفرد كقاتل وتقاتل. وهذا القول يحمل جرثومة من الحقيقة دون شك ويتوقف الامر فى النهاية على وجهة النظر التى تنظر بها الى التعدى واللزوم فاذا اردت ان تعالج ذلك على بساط الصرف فالتعدى واللزوم من معانى الصيغة واذا اردت أن تعالج المسألة على مستوى النحو فالتعدى او التعدية قرينة على المفعول به .

هذا والدليل على ان التعدية قرينة معنوية على المفعول به ان المنصوب بعد الفعل اللازم لا يعرب مفعولا به لعدم القرينة وانما درج النحاة على اعرابه منصوبا بنزع الخافض نحو وقف القوم عامة وجلس خيارهم خاصة . ومن الافعال ما تقوم به هذه القرينة حينا وتتخلف عنه حينا آخر نحو شكرته وشكرت له وعرفته وعرفت به وبكيته وبكيت عليه ورثيته ورثيت له الخ. والفرق بين التعدى واللزوم فى هذه الامثلة ليس أمرا ذهنيا منطقيا ولكنه علاقة عرفية لغوية جذورها فى الصرف وتطبيقها فى النحو وما يصطنعه من انماط الاستعمال .

على ان قرينة التعدية تجد معونة من قرينة العلامة الاعرابية (النصب) وقرينة الرتبة غير المحفوظة حينا والمحفوظة حينا آخر اذ قد يتقدم المفعول او يتأخر سواء عن الفعل او عن الفاعل بل قد تكون الرتبة بين المفعولين اذا تعددوا ويقول النحاة هنا ان التقديم انما يكون لما هو فاعل فى المعنى وهذا تعبير غامض عن احتمال قرينة الاسناد فيه على وجه ما .

ب ــ الغائية : لقد عدلت عن تسمية هذه القرينة قرينة السببية الى تسميتا « الغائية » لان هذه القرينة كما يبدو من تطبيقها فى النحو اعم من أن تكون سببية فقط . ذلك بأن هناك من اقسامها ما يأتى :

غائية السبب : (المفعول لاجله والمضارع بعد اللام وكى والفاء وحتى) .

غائية الزمان : (المضارع بعد لن واذن وحتى واو)

غائية المكان : (المضارع بعد حتى) .

فأما غائية السبب فهى المعنى الذى يعبر عنه بالمفعول لاجله والسببية هنا واضحة فى « لاجله » وكذلك يعبر عن هذا المعنى بنصب المضارع بعد اللام « وكى والفاء وحتى نحو جئت لاتحدث اليك وكى اتحدث اليك وحتى اتحدث ، ولكن هل لقيتك فأتحدث اليك . فالسببية (وهى احد معانى الغائية) واضحة فى كل ذلك تتضافر معها قرائن كالعلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (اشتراط المصدر المخالف فى مادة الاشتقاق) فى المفعول لاجله كما تتضافر معها العلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (فى المضارع) والاداة (اللام وكى وحتى والفاء) فى بقية الامثلة . والغائية فى كل ما تقدم غائية السبب (اذ تكون الغاية بمعنى السبب) .

واما غائية الزمان فهى المعنى الذى يعبر عنه بالمضارع بعد لن واذن وحتى واذن لان « لن » تفيد نفى الغاية الزمانية فاذا قلت « لن تطلع الشمس من المغرب » فالمعنى ان طلوعها منفى الى آخر الزمان ولذلك تصاحبها « ابدا » و « اذن » تحدد غاية زمانية يترتب عندها حدث على حدث آخر . تقول : « ازورك »

فأجيبك « اذن فأكرمك » اى عند هذه الغاية الزمانية ، وليس المقصود هنا « بسبب زيارتك » وانما المقصود « عنـد زيـارتك » .

و « حتى » تفيد استمرار حدث الى غاية زمانية هى وجود حدث آخر تقول « نم حتى يؤذن للفجر » فيكون المعنى طلب استمرار النوم الى غاية زمانية هى حدوث الاذان ومثل حتى « او » كقولك : لألزمنك او تقضينى حقى . ويتضافر مع الغائية هنا قرائن كالعلامة الاعرابية (فتحة المضارع) والبنية (المضارع) والاداة (لـن واذن وحتى) والتضام (افتقار الاداة الى المضارع) الخ

واما غائية المكان فهى المعنى الذى يعبـر عنـه بالمضارع بعد حتى خاصة اذ تقول : « سر حتى تصل الى المدينة » فالغائية هنا تتمثل فى الوصول الى النقطة المكانية التى يبدأ عندها وجود المدينة . وتتضافر مـع الغائية هنا قرائن العلامة الاعرابية والصيغة والاداة والتضام كمـا سبـق .

لقد رأينا هنا وفيما سبق كيف تتضافر القرائـن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى النحوى كما رأينا هنا أن العلاقة النحوية قد يعبر عنها بأكثر من صورة واحدة وأن صور التعبير عنها تتعدد بتعدد ظلال المعنى ومطالب التعبير عن كل ظل من هذه الظلال .

جـ ــ المعيـة : وهى علاقة مصاحبة بين ما قبـل الواو والمنصوب بعدها وتكون فى اللغة العربية على الصور الآتيـة :

اولا : مصاحبة معنى الحدث الـذى فى الاسنـاد للمفعول معه نحو سرت ويمين الطريق وفى هذه الحالة تتضافر مع المعية قرائن أخرى للكشف عـن المعنـى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعـد الواو) والاداة (الواو) والتضام (افتقار كل منهمـا الى الآخر) والرتبة (تقـدم الـواو على المنصـوب وتأخرهما معا عن الدال على الحدث) . ويختلف معنى المصاحبة هنا عن معنى المشاركة المستفاد من واو عطف المنصوب على مثله لان واو العطف تـربط بين المتعاطفين على سبيل التشريك والمعية تفيـد مجـرد المصاحبة . ولكن المنصوب بعد الواو قد يصلح لكلا الامرين فلا يكون تحديد احدهما الا بقرينة السياق كما فى نحو « احببت الجو وحلول الربيع » .

ثانيا : عدم مصاحبة ما قبل الواو لمعنى المضارع المنصوب بعدها نحو « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » والقرائن التى تتضافر مع المعية هنا كالعلامة الاعرابية (نصب المضارع) والبنية (المضارع ذاته) والرتبة (تقدم الواو على المضارع وتأخرهما عما عداهما فى الجملة) ويتمثل عدم المصاحبـة فى الامـر والنهـى والاستفهام والتمنى والنفى وقد يفسر عدم المصاحبـة هنا فى نطاق قرينة المخالفة إذ أن ما بعد الواو هنـا منصوب على مخالفته لمعنى آخر يمكن ان يرد عليه يغلب فيه أن يكون المشاركة .

وثالثا : مصاحبة مبتدأ لدخول واو المعية المذكورة بعده نحو : « كل عامل وعمله » وتغنى الواو وما بعدها فى هذه الحالة عن الخبر على نحو ما تغنى عنه الحال فى « ضربى العبد منيئا » وتتضافر مع المعية هنـا قرائن أخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو نفسها) والتضام (افتقار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الـواو على المصحوب) ويمكن فى النصب هنا أيضا أن يكون على معنى المخالفة للعطف (أى بقرينة المخالفة) .

د ــ الظرفيـة : وهى معنى المفعول فيه ويعبـر عن معنى الظرفية بالظروف الاصيلة التى هـى قسم بعينه من اقسام الكلم كما يعبر عنه بالظروف المنقولة كالاسماء المبهمة والمصـادر والصفـات والاشـارات والحروف . وقد فصلت القول فى ذلك فى حينه . غير ان معنى الظروف الاصيلة هى ظرفية الاقتران (اى على معنـى حين وحيث) ومعنـى الظـروف المنقولـة ظـرفيـة الاشتمـال (اى علـى معنـى فـى) ومـن هنـا افتقـرت الظـروف الاصيلـة الـى حدثين فى جملتها ولم تفتقر المنقولة الى ذلك (قرينـة التضام) فاذا حل الظرف الاصيل فى موقع المفعـول فيه فان القرينة التى تتضافر مع الظرفية فى بيان معنى المفعول فيه هى (البنية) وليس المقصود بالبنيـة هنا معنى اشتقاقيا وانما المقصود الصورة الصامة) اما بالنسبة لما ينقل الى معنى الظرفية من المعربـات فالقرينة الاخرى هى العلامة الاعرابية (الفتحة التـى يستحقها المفعول فيه) . والذى أرمى اليه مما تقـدم أن الظرفية قرينة معنوية تدل على باب نحوى هـو المفعول فيه وتتضافر معها فى ذلك قرائن اخرى .

هـ ــ التأكيد والتحديد : التأكيد والتحديد شقا قرينة

معنوية داله على معنى المفعول المطلق فى النحو فاذا قلت : « قمت قياما » فهذا هو التأكيد واذا قلت : « قمت قيام العجلان » فذلك تحديد النوع واذا قلت : « قمت ثلاث قومات » فذلك تحديد العدد والملاحظ ان اسم الهيئة حين يستخدم فى معنى المفعول المطلق يراد به تحديد النوع وان اسم المرة يراد به تحديد العدد .

و ــ الملابسة : هذه هى القرينة المعنوية الدالة على باب الحال فاذا فهم المرء من الوصف المنصوب وما فى معناه من جملة ذات قرائن معينة الخ . معنى الملابسة فقد ادرك ان ذلك تعبير عن باب الحال وتتضافر مع الملابسة فى بيان الحال قرائن اخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى ينصب بها الوصف) والبنية (وصفية الوصف وتنكيره وتعريف صاحب الحال) اما بالنسبة للجملة فقرينة الاداة (الواو قبل المضارع وقد) والبنية (تعريف صاحب الحال وما فى الجملة من شروط) والرتبة (تأخر الحال على صاحبها) .

ز ــ الاخراج : الاخراج قرينة المستثنى فاذا فهم السامع او المعرب من الكلام معنى الاخراج ادرك ان ما قصد اخراجه فقد قصد استثناؤه ومن ثم فهو مستثنى من فهم ما سبقه من اسناد . وتتضافر مع قرينة الاخراج فى كل الحالات قرينة اخرى هى الاداة (الا الاستثنائية) كما تتضافر معها العلامة الاعرابية فى حال التمام (الفتحة على المستثنى) فكلما ذكر المستثنى منه فالعلامة الاعرابية واحدة من القرائن الدالة على معنى المستثنى ولا يجوز لها ان تتخلف الا مع النفى . اما مع النفى والنقصان فلا تتضافر مع معنى الاخراج الا الاداة فقط فلا تكون العلامة الاعرابية حينئذ بين القرائن الدالة على المستثنى .

ح ــ التفسير : ومعنى التفسير هو القرينة الدالة على التمييز وتتضافر معه قرائن اخرى كالبنية (كون التمييز اسما نكرة جامدا مفسرا لمبهم) والعلامة الاعرابية (الفتحة فى مواضعها والكسرة فى مواضعها) والرتبة (تأخر التمييز عن المميز) والاداة (من فى مواضعها) .

واما القرينة العامة فى المجرورات جميعا فهى قرينة النسبة وقد يستفاد هذا المعنى من الاضافة او معنى حرف الجر وواضح ان الاضافة نسبة بين المضاف والمضاف اليه وان المعانى التى رصدها النحاة للحروف هى فى كل حالة نسبة بين الحدث وبين المجرور لقد احصى النحاة لحروف الجر عددا من المعانى يناهز الثلاثين فى العدد كابتداء الغاية وانتهائها والبعضية والظرفية والتعليل والمجاوزة والاستعانة والاستعلاء والمصاحبة والالصاق والقسم والتشبيه وبيان الجنس والتوكيد والملك والاستحقاق والنسب والعاقبة والمقايسة والتعويض والتعجب والاستدراك والتبليغ والتبيين والبعدية والبدلية والعندية والتعدية والزيادة وكل ذلك مشروح فى كتب المتون . والملاحظ ان كل هذه المعانى نسبية رابطة بين امرين احدهما الحدث الذى فى الاسناد وثانيهما المجرور الذى بعد الحرف .

فاذا قلت « جلست على الكرسى » فان معنى الاستعلاء الذى تفيده « على » انما يعبر عن نسبة بين مستعمل هو صاحب الضمير المتصل وبين مستعلى عليه هو المجرور وهذا هو الذى يقصده النحاة بقولهم ان الجار والمجرور متعلق بكذا فهم يقصدون أن معنى النسبة قائم بين المجرور وبين كذا بقرينة الحرف . واذا قلت « صلى زيد فى المسجد » فان معنى الظرفية الذى تفيده « فى » يربط بين الصلاة (الحدث) وبين المسجد (المجرور) فيكون نسبة بين الظرف والمظروف كما كان الاستعلاء من قبل نسبة بين المستعلى والمستعلى عليه . ولما كانت الظروف المنقولة على معنى الظرفية الاشتمالية التى تفيدها (فى) لم يكن من العجيب أن يجعل النحاة الظرف متعلقا تعلق الجار والمجرور . والقرائن التى تتضافر مع قرينة النسبة متعددة كالعلامة الاعرابية (الكسرة التى يعرب بها المضاف والمجرور الذى بعد الحرف) والتضام (تلازم المضاف والمضاف اليه وتلازم الحرف والمجرور) والاداة (حروف الجر) .

اما التبعية فهى القرينة التى يفهم بها ارتباط التابع بالمتبوع وهى قائمة بين ما يلى :

المتبوع :	التابع :
ا ــ المعطوف عليه بالحرف	المعطوف بالحرف
ب ــ المنعوت	النعت
جـ ــ المؤكد	التوكيد
د ــ المبدل منه	البدل
هـ ــ المبين	البيان

والقرائن التى تتضافر مع معنى التبعية فى بيان المتبوع والتابع منها مطابقة العلامة الاعرابية (اذ هى متشابهة فيهما) ومنها فى عطف النسق الاداة

(حرف العطف) وفى النعت المطابقة وفى التوكيد البنية (الفاظ بعينها أو تكرار السابق) وفى البدل التضام (جواز التضام فى البدل على وجه ما يعبر عنه النحاة بنية تكرار العامل) وفى البيان المطابقة .

واما المخالفة فهى القرينة المعنويـــة الدالـــة على طائفة من المنصوبات منها ما يأتى :

ا ــ المختص نحو : « نحن العرب نكرم الضيف » لمخالفته للخبر فى « نحن العرب » .

ب ــ الفعل بعد ان المصدرية : لمخالفته لمـــا بعـــد المخففة من الثقيلة .

جـ ــ منصوب التعجب : لمخالفته للفاعل المرفوع فى « ما احسن زيد » .

د ــ المنصوب بعد كم الاستفهامية : لمخالفته المجرور بعد كم الخبرية .

هـ ــ المصادر المنصوبة نحو سقيا لك ورعيا : لمخالفتها للمبتدآت من نوعها .

و ــ المنصوب بعد المبتـــدأ على المعية : لمخالفتـــه للمعطوف على المبتدأ .

ز ــ بعض الاسماء فى اساليـــب الانشـــاء نحـــو :

راسك والسيـــف ، احشفـــا وسوء كيلـــة ، لمخالفة ذلك لرفعه فى الاسناد الخبرى .

والملاحظ أن قرينة العلامة الاعرابية (الفتحة التى على المنصوب على المخالفة) هى التى تتضافر دائما مع قرينة المخالفة .

ثانيـــا : القـــرائـــن اللفظيـــة :

سبق أن بينت أن الذى اقصده بالقرائن اللفظيـــة هـــو :

البنية ــ العلامة الاعرابية ــ المطابقة ــ الربط ــ التضام ــ الرتبة ــ الاداة ــ النغمـــة .

وتلعب هذه القرائن دورا هاما فى التعـــرف على الابواب النحوية حتى انها تعتبر من قرائن فهم القرائن المعنوية لانها أيسر وصولا الى الفهم من تلك القرائن المعنوية ومن ثم نرى المعربين اقل خطأ فى الاهتداء بها الى الاعراب الصحيح . وسنحاول ان نعرض هذه القرائن واحدة بعد الاخرى كما يلى :

ا ــ البنيـــة : البنية او صورة الكلمة قرينة هامة فى الدلالة على استعمالها النحوى وقد سبق لنا عند التفريق بين اقسام الكلم ان كان من بين ما فرقنا به بين الاقسام أمورا منها :

اولا : ان الفعل لا يكون الا مسندا فاذا تبدت لنـــا بنية الفعل فى الكلام كانت قرينة على السند .

ثانيا : ان الاسم لا يكون فى الاسناد الا مسندا اليه فاذا رأينا بنية فى السياق دلت على معنى المسند اليه.

ثالثا : ان الصفة صالحة للمسند والمسند اليـــه فاذا وردت فى الكلام بنية الصفة امكن تعليقها على هذين الاحتمـــالين .

رابعا : ان الادوات تعبر عن معان صرفية عامـــة (حقها ان تؤدى بالحـــرف) فاذا رأينا بنيـــة الاداة اتخذناها قرينة على المعنى الصرفى العام .

خامسا : أن الضمائرتستعمل فى الربط فاذا رأينا الضمير تطلعنا الى العائد واتخذنا ذلك قرينة على ترابط اجزاء الجملة .

سادسا : ان الظرف يأتى بمعنى اقتـــران الحديثين فى الزمان او المكان فاذا رأينا بنية الظرف فى الجملة كانت قرينة على هذا المعنى .

ولايضاح هذا الكلام نعرض الجملة الآتية : « جلس المعلم بين تلاميذه» فأول قرينة على ان الكلمة الاولى فى الجملة فعل ماض هى بنية الفعل ومن القرائن الدالة على ان الكلمة الثانية فاعل انها اسم (منقول عن الصفة) ولو لم يكن كذلك ما اعرب فاعلا والقرينة الدالة على ان الكلمة الثالثة مفعول فيه ما نعرفه فيها من بنيـــة الظرف اذ هى معدودة بين المبهمات المنقولة الى الظرفية والقرينة الدالة على ان الكلمة الرابعة مضاف اليـــه أن بنيتها بنية الاسماء بل أن بعض المعربين يعرف فوق ذلك انها اسم طارىء على اللغة بالتعريب والقرينة الدالة على أن الهاء مضاف اليه ان لها بنية ضمير الجر المتصـــــل .

وهكذا نجد بنية الكلمة فى كل ما تقدم قرينة على معناها النحوى ودليلا على الاعراب وهذا هو الذى يوجب الاعتداد بالبنية الصرفية ان تكون قرينة نحوية .

ب ــ العلامة الاعرابية : والمقصود بالعلامة الاعرابية هنا اعم من ان يكون حركة او حرفا او تقديرا او حذفا الخ وان كان النحاة قد منحوا الحركة الاعرابية من الاهتمام ما جعل النحو يبدو وكأنه علم اواخر الكلم فى السياق . علق النحاة المعنى بالحركات وبنوا على ذلك منهجهم فى النحو فقالوا ان الحركات اثر العامل وقسموا العوامل الى لفظية ومعنوية واكثروا من عددها حتى وصلت الى المائة عدا . ولست انكر دلالة علامات الاعراب على المعانى النحوية ولكننى لا بد ان اشير كذلك الى ان العلامة الاعرابية لا يمكن ان تستقل بالدلالة على هذه المعانى ويكفى للاقناع بذلك ان اشير الى ان الضمة هى الحركة التى تظهر فى المبتدا والخبر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر ان والتابع المرفوع فهل يمكن لها فى هذه الحالة ان تكون بمفردها قرينة على واحد فقط من هذه الابواب؟ والفتحة كذلك ترى فى نهاية المفعولين والحال والمستثنى والتمييز والمختص ومنصوب التعجب والمصادر النائبة عن فعلها والمنادى المضاف والمغرى به والمحذر منه الخ فهل يمكن لها بمفردها أن تكون قرينة على واحد فقط من هذه الابواب ؟ والكسرة حركة المضاف اليه والمجرور بالحرف والتابع المجرور فكيف يمكن الزعم انها قرينة على احد هذه الابواب بمفردها؟ ان اية واحدة من هذه الحركات لو استقلت بالدلالة على المعنى النحوى لادى ذلك الى اللبس اذ يكون من نتيجة ذلك التباس المبتدا بالخبر والفاعل الخ واختلاط المفعولين بالحال والتمييز الخ وتشابه المضاف اليه وبقية المجرورات من حيث القرينة الدالة على المعنى . على ان الاسماء المبنية والجمل ذوات المحل لا يمكن اعرابها بقرينة العلامة الاعرابية فلو كانت العلامة الاعرابية قرينة مستقلة ما وصلنا الى فهم اعراب هذه العناصر ابدا . يضاف الى ذلك ان النحاة اضطروا فى بعض المواضع الى الاعراب بالحروف وصادفوا فى ذلك متاعب مشهورة فى حسم المشكلة التى مثلت لهم نتيجة لذلك : هل تقدر الحركات على هذه الحروف او لا تقدر كما ناقشوا مسألة اخرى هى هل يكون الاعراب فى موضع واحد او فى موضعين . ان العلامة الاعرابية لو قصد بها ان تستقل بالدلالة على الباب النحوى لكان على اللغة ان تجعل لكل باب نحوى علامته الاعرابية المستقلة ولكانت الحركات والحروف بعدد ما فى النحو من ابواب .

ولكن العلامة الاعرابية احدى القرائن فيتوقف المعنى عليها حينا كما فى نحن العرب نكرم الضيف بنصب العرب وعلى غيرها من القرائن حينا آخر كتوقف المعنى على البنية فى غير المعربات وعلى الرتبة فى نحو ضرب موسى عيسى وعليهما فى جاء هذا القاضى الخ .

جـ ــ المطابقة : عند ما تكلمت عن معانى التصريف ومبانيه فى معرض شرح النظام الصرفى قلت ان هذه المبانى الصرفية هى التى تكون فيها المطابقة . وازيد هنا ان المطابقة تكون فيما يلى :

1 ــ التكلم والخطاب والغيبة : وهى المقصود بعبارة الشخص .

2 ــ الافراد والتثنية والجمع : وهى المقصود بعبارة العدد .

3 ــ التذكير والتأنيث : وهى المقصود بعبارة النوع .

4 ــ التعريف والتنكير : وهى المقصود بعبارة التعيين .

5 ــ الحركة الاعرابية : وهى المقصود بعبارة الاعراب.

ويتضح ذلك فى اسناد الفعل الى الفاعل ونائب الفاعل وفى المبتدا والخبر وفى الحال وصاحب الحال وفى المنعوت والنعت الحقيقى وغيرها من الابواب التى تكون فيها مطابقة من نوع ما .

والمطابقة قرينة على الباب النحوى كما انها وسيلة من وسائل ترابط الجملة ويتضح ذلك فى المطابقة اذا نظرنا فى الجملة الآتية :

الرجلان الفاضلان يقومان .

وواضح ان هذه الجملة تشتمل على مطابقة فى الامور التالية :

1 ــ **الشخص** : الاسم والصفة التى بعده فيهما غيبة والفعل مسند الى ضمير الغائب ومبدوء بالياء .

2 ــ **العدد** : فى الاسم والصفة الف التثنية وفى الفعل الف الاثنين .

3 ــ **النوع** : فى الاسم والصفة تذكير والفعل مسند للمذكر كما تدل ياء المضارعة .

4 ــ **التعيين** : المطابقة هنا بين المبتدا ونعته فكلاهما معرف باللام .

5 ــ **الاعراب** : وهنا ايضا تبدو المطابقة بين المبتدا ونعته لكن فى الرفع .

هذه المطابقة تجعل للجملة ترابطا يذكرنى بقول عبد القاهر: «يأخذ بعضها بحجز بعض» ولو اهدرنا هذه المطابقات جميعا فى الجملة لم تعد كلاما بل انها اذن تتحول الى مفردات مبعثرة كالذى يبدو بعد افساد المطابقة كما يلى :

الرجلان فاضلة نقوم

فليس بين اية كلمة وصاحبتها مطابقة فى شخص ولا عدد ولا نوع ولا تعيين ولا اعراب ومن ثم لا ترتبط واحدة منها بالاخرى والنتيجة ان لا جملة .

د ــ **الربط** : هذه الاهمية القصوى لترابط السياق النحوى كما رأينا فى امر المطابقة حتمت كذلك ان يشتمل السياق على عناصر لفظية اخرى تعين على فهم الجملة لانها تربط بين اجزائها فمن ذلك مثلا عود الضمير على مرجع معين فى الجملة فالضمير العائد بما بينه وبين مرجعه من مطابقة فى الشخص والنوع والعدد يغنى عن تكرار ما يعود اليه وييسر فهمه فيكون قرينة رابطة فى نطاق السياق ومن ذلك تكرار اللفظ وهو اقل استعمالا من عود الضمير واكثر ما يجرى استعماله ان يكون لسبب بلاغى ويتضح ذلك من الموازنة بين عبارتى :

قابلت صديقى فأنست اليه .

قابلت صديقى فأنست الى صديقى .

ومثله : « سعاد التى اضناك حب سعاد » وقد يكون الربط بضمير الاشارة لما يحمله فى بنيته من المطابقة ايضا ولانه ضمير من الضمائر على اى حال وقد عرفنا ذلك فى تقسيم الكلم ومما يدل على ما بين الاشارة وضمير الشخص من آصرة قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ... » اذ لو وضعنا الاشارة موضع « هو » فى الكلام العادى ما تغير من المعنى شىء . ومن استعمال الاشارة فى الربط قوله تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » وقوله : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم » . ومن العناصر الرابطة فى الجملة « ال » لكن لا على اطلاقها فهى تكون رابطة فى بعض صورها دون بعض كما يبدو فيما يلى :

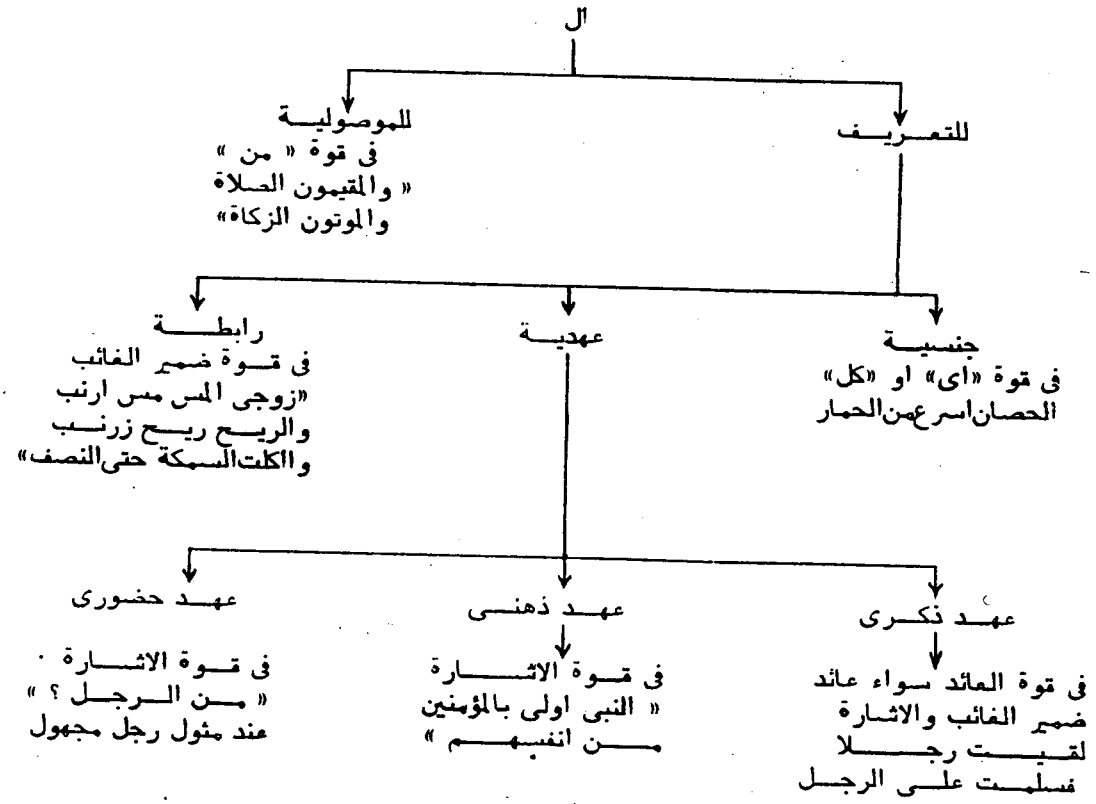

بهذا نرى ان الرابطة قسم من اقسام « ال » اما ذات العهد الذكرى فأقرب الى الربط بتكرار اللفظ .

وقد يحدث الربط بالاداة كالذى تفيده الفاء الواقعة فى جواب الشرط واللام الواقعة فى جواب ان واللام الواقعة فى جواب لولا والقسم وكالذى تفيده حروف العطف وواو المعية وواو الحال واذا المفاجأة وكالذى تفيده الادوات ذوات الصدارة فى الجمل كأداة الشرط والاستفهام الخ حيث تربط الاداة بين اجزاء الجملة وتعطى الجملة اسلوبها المخصوص لانها تلخص معناها حتى ان الجملة لو حذفت بدليل وبقيت الاداة لافادت المعنى كاملا .

وقد يحدث الربط بقرائن اخرى كقرينة المعرفة او النكرة قبل الجملة الواقعة حالا او نعتا فان ارتباط الجملة الفرعية باحداهما على احدى الصورتين منوط بتعريف الاول او تنكيره الى جانب الضمير العائد فى الحالتين .

هـ ــ التضام : والمقصود بالتضام ان تستدعى احدى الكلمتين الكلمة الاخرى او تنفيها ويكون استدعاء احدى الكلمتين للاخرى اما على سبيل الافتقار كحرف العطف حين يستدعى المعطوف واما على سبيل التطلب كالفعل حين يتطلب الفاعل او نائبه والتابع حين يتطلب المتبوع والمضاف يتطلب المضاف اليه والمبتدأ يتطلب الخبر باعتبار ذلك حاجة من حاجات المعنى . فاذا جاء اللفظ الذى يتطلب الآخر كان قرينة من القرائن تقع تحت عنوان التضام . ويعتبر التضام بهذا المعنى هو الاساس الوحيد الذى يقبل معه القول « بالحذف » و « الزيادة » فى النحو العربى ولولاه ما قبل ذلك .

واما تنافى اللفظين فمثاله انتفاء ان يكون ما بعد الضمير نعتا للضمير او مضافا اليه وان يكون ما بعد « قد » فعل امر وان يكون ما بعد حرف الجر فعلا كما فى « بيزيد » (اى على نهج العامية) . فهذا التنافى بين المعانى النحوية يدخل ايضا تحت قرينة التضام لان تنافى المعنيين هو « سلب التضام » .

هكذا يكون التضام احدى القرائن النحوية وقد اكثر النحاة الكلام فى دخول الحروف والادوات لكل أداة مدخولها الذى يضامها بالايجاب وما يمتنع دخولها عليه على طريق سلب التضام ولعل ما يلحظ فى بعض الابواب

من تطلب للابواب الاخرى هو المسئول عن ظاهرة « التقدير للمحذوف » فى النحو العربى لان المطلوب اذا لم يكن مذكورا فان كونه مطلوبا قد حتم فى نظرهم تقديره فى الكلام .

و — الرتبة : وهى اما محفوظة او غير محفوظة فالرتبة محفوظة بين الفعل والفاعل وبينه وبين نائب الفاعل وهى كذلك بين حرف الجر والمجرور وحرف العطف والمعطوف والموصول وصلته واداة الاستثناء والمستثنى وكذلك الواو والحال الجملة والواو والمفعول معه ومن الادوات ما يحفظ رتبة الصدارة فلا يتقدم عليه جزء من الجملة كأدوات الشرط والاستفهام والتمنى والترجى والعرض والتخصيص الخ ولا يتقدم النعت على المنعوت ولا المضاف اليه على المضاف وهلم جرا . ومعنى أن الرتبة قرينة هنا انها معلم من معالم الطريق فى السياق تتعين بها مواقع الكلام ويعرف الباب النحوى حينئذ بموقع الكلمة من السياق .

واما غير المحفوظة فهى الرتبة التى قد تهدر اذا امن اللبس او اقتضى السياق تخلفها ولكنها تحفظ اذا توقف المعنى عليها أو اقتضى السياق الاحتفاظ بها وتلك هى الرتبة بين المبتدأ والخبر وبين الفاعل والمفعول به وبين المفعول الاول والثانى وبين اسم ان وخبرها واسم كان وخبرها وبين نعم والمخصوص وهلم جرا فمثال اهدارها عند امن اللبس تقدم الخبر على المبتدأ ومثاله حين يقتضى السياق تقدم المفعول على الفاعل فى زيد ضربه عمرو ومثال ضرورة حفظها لتوقف المعنى عليها ضرب موسى عيسى ومثال حفظها حين يقضى السياق ضربت زيدا .

ومعنى ذلك ان الرتبة المحفوظة تصبح محفوظة اذا اقتضى ذلك المعنى او المبنى كما مر . ولكن اذا لم يقتض احدهما حفظ الرتبة التى من هذا النوع كانت هناك حرية التقديم والتأخير فى الاستعمال .

ز — الاداة : كان من الممكن أن تقع الاداة باعتبارها قرينة ضمن البنية ولكن الذى دعانى الى افرادها امران:

1 — ان الادوات المنقولة من الفعلية (كالنواسخ) ومن الظرفية (كأدوات الشرط) تحتفظ غالبا ببنيتها التى كانت عليها قبل النقل ومن ثم لا تكون بنيتها قرينة على المعنى الذى أريد بها بعد النقل .

2 — ان بعض الادوات غير ثابت البنية ولا سيما من حيث الاشباع والاضعاف فى النطق ومن حيث الانفصال والاتصال فى الكتابة بما بعدها كما تتصل باء الجر بالمجرور .

وقد يعترض بأن الاشباع والاضعاف ليسا خاصين بالادوات اذ يكونان فى الضمائر كذلك فالجواب على ذلك ان الضمائر المتصلة تلصق بأواخر الكلمات فيعرف المتكلم كمية الضمير بحسابها من نقطة انتهاء الكلمة التى اتصل بها الضمير ولكن الادوات تلصق بأوائل الكلمات فيرد عليها اللبس .

وما دامت الادوات قد وضعت اساسا للدلالة على المعانى الصرفية العامة التى حقها ان تؤدى بالحرف فلا بد ان تكون كل اداة بالضرورة قرينة لفظية على المعنى الذى سيقت له . فنحن نفهم معنى الشرط من «ان» والاستثناء من «الا» والاستفهام من «هل» والتحضيض من «هلا» والقسم من «الواو» وهلم جرا وما دمنا نفهم هذه المعانى مباشرة من الادوات فالادوات قرائن لفظية على هذه المعانى .

ح — النغمة : قرينة لفظية لانها لا يكون تصورها الا فى الكلام الملفوظ وهى فى معظم الحالات تصاحب القرائن الاخرى لكل اسلوب من اساليب الجمل العربية كالاثبات والنفى والتوكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجى والعرض والتحضيض والقسم والشرط والافصاح الخ يقترن بهيكل تنغيمى عرفى مخصوص يعرف به الاسلوب المعين فتكون النغمات مشتركة فى الدلالة مع البنية والعلامة الاعرابية والمطابقة والربط والتضام والادوات .

ولكن هناك حالات فى الاستعمال العربى تستقل فيها النغمة بالدلالة فتكون القرينة الوحيدة فى الكلام واكثر ما يكون ذلك عند حذف الاداة من الكلام ولا سيما أدوات الصدارة . ومن أمثلة ذلك أن تخرج علبة السجائر من جيبك وتقدمها مفتوحة الى صديقك وتقول بنغمة العرض : «سيجارة ؟» والمعنى : «الا تأخذ سيجارة ؟» فهنا أهدرت الاداة وهى قرينة اتكالا على النغمة وهى قرينة اخرى فاستقلت النغمة بالدلالة على المعنى المراد. ولولاها لكانت كلمة « سيجارة » « كلمة مفردة لا جملة مفيدة » .

ولقد وقع مثل ذلك فى التراث حين قال عمر بن ابى ربيعة :

ابرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

فجملة « تحبها ؟ » جملة استفهامية بقرينة رواية البيت بنغمة الاستفهام خلال العصور . وهناك دليل آخر على معنى الاستفهام هو « قالوا » و « قلت » مما يفهم منه السؤال والجواب وهذا الدليل هو الذى ساعد على تواتر رواية البيت بهذه النغمة وعدم العدول عنها الى نغمة اخرى . وواضح ان النغمة حفظت معنى الاستفهام هنا على رغم حذف الهمزة لضرورة الشعر .

تضافر القرائن :

ليس من شأن النحو العربى ان يدع لاحدى القرائن مهما كانت اهميتها فى المعنى ان تستقل بمفردها بالدلالة على باب نحوى من ابواب السياق . يصدق ذلك على جميع القرائن دون استثناء . فاذا نظرنا مثلا فى القرائن المفرقة بين المنصوبين فى «ضرب زيد عمرا» و « ضرب زيد ضربا » وجدنا ان الفارق الاول يكمن فى ان عمرا اسم علم وان ضربا مصدر من مادة الفعل فهذا الفرق راجع الى قرينة البنية ثم وجدنا ثانيا ن العلاقة بين الفعل وبين عمرو هى علاقة التعدية ولكن العلاقة بين الفعل والمصدر هى علاقة تاكيد الحدث وهكذا نرى ان القرائن الدالة على المفعول به فى الجملة الاولى كما يأتى :

1 ــ البنية : فلو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات او الضمائر) ما صحت له المفعولية .

2 ــ التعدية : وتفهم هذه العلاقة ما كان مفعولا به .

3 ــ العلاقة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما كان مفعولا به .

وكذلك نرى القرائن الدالة على المفعول المطلق فى الجملة الثانية كما يلى :

1 ــ البنية : وقد تحقق له منها امران :

ا) المصدرية .

ب) مشاركة الفعل فى مادة اشتقاقه .

2 ــ التاكيد وهذا المعنى مفهوم من البنية ومن ترك تحديده بوصف او اضافة او عدد .

على ان المصدر فى هذا الموقع اذا حدد باضافة او وصف او عدد كان محددا لا مؤكدا واذا لم يشارك الفعل فى مادة اشتقاقه فان افاد غايته فهو مفعول لاجله وان افاد ملابسة اعرب حالا وان افاد تاكيدا اعرب نائبا عن المفعول المطلق.

3 ــ العلامة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما اعرب مفعولا مطلقا .

وهكذا نرى ان كلا من المفعول به والمفعول المطلق لم ينكشف الا بعدد من القرائن وان القرينة الواحدة لا يمكن ان تدل على المعنى الاعرابى .

ويمكن ان نرى مثل ذلك حين نعرض للفاعل فى «ضرب زيد» ونائبه فى « ضرب زيد » فالقرائن الدالة على الفاعل فى الجملة الاولى كما يلى :

1 ــ البنية :

فهو اسم ولو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات او الضمائر) ما كان فاعلا وقد ضمن النحاة اعترافهم بهذه القرينة فى تعريف الفاعل حين قالوا : « الفاعل اسم .. الخ » ومن قبيل هذه القرينة ايضا بنية الفعل الذى قبله فلا يكون الفاعل فاعلا الا اذا كان هذا الفعل مبنيا للمعلوم .

2 ــ العلامة الاعرابية :

فهو مرفوع وعلامة الرفع قرينة من قرائن الفاعل ولو كان منصوبا مثلا لما كان فاعلا .

3 ــ المطابقة :

لان الفعل معه اسند الى المذكر الغائب فكان ذلك قرينة على ان احدهما للاخر اما من حيث الافراد والتثنية والجمع فالمطابقة هنا خارج نطاق القرائن المطلوبة .

4 ــ التضـــــام :

لان الفعل يتطلب هذا الفاعل فلو لم يكن مذكورا لجرى تقديره فى الجملة وللنحاة عبارة مشهورة تقول : « كل فعل فلا بد له من فاعل » .

5 ــ الـرتـبـــة :

فهذا الاسم المرفوع جاء بعد الفعل فأعرب فاعلا ولو سبق الفعل لكان شيئا آخر غير الفاعـل. فرتبة الفاعل من الفعل رتبة التأخير وهى مـن الرتب المحفوظة التى لا تتخلف .

6 ــ الاسـنـــاد :

وهذه هى القرينة المعنوية التى تدل مع ما سبق على ان هذا فاعل اذ لو لم يكن مسندا اليه فى جملة فعلية ذات بنية خاصة ما كان فاعلا .

واما نائب الفاعل « زيد » فى الجملـة الثانيـة فقرائنـه مـا يأتـى :

1 ــ البنيـة : لانه اسم والفعل مبنى للمجهول .

2 ــ العلامـة الاعرابية : لانه مرفوع .

3 ــ المطـابقـة : الفعل مسند الى المذكر الغائب .

4 ــ التضـام : الفعل يتطلبه وقيدر عند عدم الذكر .

5 ــ الـرتبـة : مكانه دائما بعد الفعل .

6 ــ الاسـنـــاد :

هو مسند اليه فى جملة ذات بنية محددة ولا يلزمنا هنا فى فهم الاسناد ان نعتذر لانه مفعول فى المعنى لاننا لا نقدم مثل هذا الاعتذار مع فاعل الفعـل المطاوع وله نفس الوضع والافكـار النحويـة وصفيـة لا منطقية .

وحين قال ابن مالك :

الحـال وصف فضلـة منتصب
مفهم « فى حال » كفـردا اذهب

كان يحاول ان يحدد القرائن التى يعرف بها باب الحـال وهـى :

1 ــ البنـيـــة :

لان الحال المفردة تفهم من كونها احدى الصفات الخمس التى افردناها فى قسم من اقسام الكلـم فاذا جاءت على غير هذه البينة كالمصدر وغيره فذلك من باب النقل واهدار قرينة البنية الوصفية عند أمن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

2 ــ العلامة الاعرابية :

فالحال المفردة منصوبة ولا تكون غير ذلك .

3 ــ المطـــابقـــة :

يصر النحاة على ان الخبر والحال وصفـان فى المعنى فبينهما من المطابقـة بعض مـا فى النعت الحقيقى فيطابقان افرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتـأنيثـا .

4 ــ الـــربـــط :

هذه المطابـقة تربط بين الحـال المفـردة وبين صاحبها ولكن النحاة فضلوا ان يحملوا الوصف ضميرا مستترا مطابقا وهكذا عززوا الربط بعود الضمير . اما الحال الجملة فأمر الضمير فيهـا أوضـح مـن ذلك .

5 ــ الـرتـبـــة :

رتبة الحال ان تكون بعد صاحبها واما ما ورد بخلاف ذلك فمداره جواز اهدار القرينة عند امن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

6 ــ الاداة :

وتتمثل هذه القرينة فى واو الحـال فى مواضـع ذكـرهـا .

وهكذا تضافرت القرائن المختلفة على بيـان بـاب الحال كما تضافرت على بيان الابواب الاخرى التـى ذكرتها من قبل . ولعلى بهذا اوضحت مبدا هاما مـن مبادىء النحو العربى لم يعطه النحاة من قبل ما يستحقه من اهتمام هذا ان كانوا قد فطنوا اليه فطنة تامة ،

لان كل ما جاء فى كلامهم عن شرح هذه القرائن كان ملاحظات متفرقة لا يسلكها نظام كهذا النظام الذى أعرضه .

جواز اهدار القرينة عند امن اللبس :

ان امن اللبس هو اغلى ما تحرص عليه اللغة استعمالا واثمن ما يتطلبه اللغويون تحليلا ومن ثم يصبح الوصول اليه غايةلا يدعو الامر بعدها الى البحث عن مزيد من القرائن . ومن هنا يكون اهدار القرينة عند امن اللبس امرا مقبولا لا يأباه الاستعمال اللغوى والدليل على ذلك اننا فى عرضنا اهدار كل قرينة على حدة فى الاستعمال سنحرص على ان تكون شواهد من القرآن ومن الشواهد التى استعملها النحاة ومن مسموعاتهم عن العرب ولكننى قبل ان ابدأ فى عرض اهدار القرائن واحدة بعد الاخرى احب أن اضرب مثلا يوضح سبب جواز اهدار القرينة . فالمعروف ان الحركة الاعرابية احدى القرائن وان النحاة بالغوا فى الحرص عليها وورث الناس عنهم هذه المبالغة فى الحرص وارتبطت نشأة النحو فى التاريخ بهذه الحركة الاعرابية فكان النحو لعلاج اللحن فى الاعراب . وكلنا يبدى تذمره عند الاستماع الى المحاضر او المذيع او المحامى حين يظهر اللحن فى كلامهم ولا تنضبط العلامات الاعرابية على السنتهم ولكننا على رغم ذلك كله نفهم ما يقولون بحيث لا يحتمل فى فهمنا معنى آخر اى ان امن اللبس قد توفر فى كلامهم على الرغم مما اصاب اواخر الكلمات من لحن . فلماذا ؟ لان المعنى النحوى — كما سبق ان اشرت — لا يرتبط بقرينة واحدة ولا يتوقف عليها . فحين اهدرت قيمة الحركة الاعرابية فى كلام المحاضر والمذيع والمحامى كانت هناك قرائن اخرى تحافظ على المعنى وهى القرائن التى عرضتها من قبل . وحين كانت هذه القرائن وافية فى الدلالة على المعنى اصبح اهدار قرينة العلامة الاعرابية فى الكلام امرا غير واضح الضرر لاننا وصلنا الى وضوح المعنى على اى حال .

وسنرى فيما بعد ان ذلك ونحوه وقع فى نصوص التراث لا عن خطأ اقترفه العربى الاول كما اقترفه المحاضر والمذيع والمحامى فى وقتنا هذا وانما وقع ذلك لاسباب خاصة بالاستعمال كضرورة الشعر او المجاورة او لاسباب بلاغية . ولا يدخل فى ذلك بالطبع اختلاف القرينة باختلاف اللهجة .

واول ما نعرض له من ذلك ان البنية باعتبارها قرينة نحوية ربما اهدرت اذا اتضح المعنى بدونها وهناك بعض الامثلة :

1 — تحافظ اللغة على ان تكون صلة ال صفة صريحة ولكن الضرورة الشعرية قضت وامن اللبس لم يمنع ان تكون صلة ال فعلا مضارعا فقرأنا فى التراث عبارة « الترضى حكومته » و « صوت الحمار اليجدع » وكذلك قول الشاعر : « من القوم الرسول الله منهم » .

2 — قد يستتر الضمير او يحذف المبتدأ والخبر او غيرهما فلا تقوم قرينة البنية شاهد على المعنى لعدم ذكرها فلا يؤدى اهدارها حينئذ الى اللبس.

3 — تحافظ اللغة على ان يكون خبر فعل المقاربة من قبيل الفعل المضارع ولكن ورد اهدار هذه القرينة فى قول الشاعر :

فعدت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

4 — تدخل لو على الفعل الماضى ومع ذلك ما نزال نستمتع بقول الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

5 — قد تهدر قرينة البنية فى المفعول المطلق فيسمى المنصوب حينئذ « النائب عن المفعول المطلق » .

6 — من شأن الحال ان يكون مشتقا وقد اهدرت البنية المشتقة فجاء الحال مصدرا كما جاء جامدا ولم يستطع النحاة حتى تأويله بالمشتق وذلك حين يكون موصوفا نحو قرآنا عربيا او معدودا نحو فتم ميقات ربه اربعين ليلة او تفضيليا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبا او محددا نحو هذا مالك ذهبا او مفرغا نحو وتنحتون الجبال بيوتا او مؤصلا نحو اسجد لمن خلقت طينا .

7 — من شأن الحال ان تكون نكرة وقد اهدرت قرينة البنية فيها فجاءت معرفة نحو كلمته فاه الى فى وارسلها العراك وجاءوا الجماء الغفير .

8 — من شأن صاحب الحال ان يكون معرفة وقد ورد نكرة فلم يجد النحاة مسوغا لتنكيره وهذا من اهدار البنية عند امن اللبس نحو مررت بماء قعدة رجل وعليه مائة بيضا « وصلى وراءه رجال قياما » .

9 — من شأن « اما » ان تتكرر ولكن قرينة بنيتها قد تهدر فلا يتم تكرارها نحو « اما ان تتكلم بخير والا فاسكت » وكقراءة ابى : « وانا او اياكم لاما على هدى او ضلال مبين » .

10 — من شأن الشرط والقسم اذا اجتمعا ان يكتفى بجواب ما تقدم منهما مع حذف جواب المتأخر ولكن ذلك تخلف فى بنية جواب القسم فى قول الشاعر :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
اصم فى نهار القيظ للشمس باديا

11 — ورد فى النسب كثير مما اختلف مع القواعد المتصلة ببنية المنسوب نحو يمانى وسليقى وعمرى وقرشى وسلمى وهذلى وفقمى وعبدرى ومرقسى وعبقسى وعبشمى وبصرى ومروزى ورازى وبحرانى .

12 — قال الراجز : فى كلت رجليها سلامى واحدة .. فاطرح البنية الاصلية وهى كلتا للوزن .

13 — ولعل خير ما يمثل اعتراف النحاة بظاهرة اهدار قرينة البنية عند امن اللبس قول ابن مالك :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة
ما لم تفد كعند زيد نمرة

اذ لو ترجمنا عبارته بعبارة هذا البحث لكان « ما لم تفد » فى صورة « ما لم يؤمن اللبس » فيجوز اهدار المعرفة واستعمال النكرة » .

واما اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند امن اللبس فما اكثره فى التراث العربى حتى لقد وجد النحاة فيه مجالا خصبا للتخريج والتأويل والتقدير وسنحاول فيما يلى ان نورد امثلة على هذه الظاهرة التى كانت من اسباب تضخم كتب النحو لمخالفتها لفلسفة العامل النحوى كما كانت سببا فى الكثير مما اعان اشتهار النحو العربى بالصعوبة وعدم الاطراد ولا سيما ان النحاة بنوا منهجهم على اساس وحيد هو اختلاف المعانى باختلاف الاعراب .

1 — واول ما نبدا به من هذه الامثلة ما سمع من قولهم : « خرق الثوب المسمار » برفع الثوب ونصب المسمار . وواضح ان اللبس مأمون فى هذه الجملة لاتضاح قرينة الاسناد بين « خرق » و « المسمار » وان قرينة التعدية واضحة بين « خرق » و « الثوب » فلما اتضحت القرينتان المعنويتان دون حاجة الى القرينة اللفظية اهدرت القرينة اللفظية (وهى العلامة الاعرابية) فى الكلام .

2 — قال تعالى : « ان هذان لساحران » ومن الواضح ان الاشارة اسم ان وان الصفة خبرها بالقرائن الآتية :

أ) الاشارة معرفة وهذا موضع المعرفة والصفة نكرة مشتقة وذلك شأن الخبر المفرد وهذه قرينة البنية.

ب) دخلت ان على الاشارة ومن شأن « ان » ان تدخل على اسمها الا فى حالات محددة وهذه قرينة التضام .

ج) اقترنت الصفة باللام ومن شأن ما اقترنت به اللام ان يكون خبرها الا اذا تقدم اللام ظرف او جار ومجرور فيكون الاقتران بين اللام واسم ان المؤخر فحو ان فى الدار لزيدا وان عندك لزيدا وهذه قرينة التضام ايضا .

د) تقدمت الاشارة على الصفة حسب قاعدة الاسم والخبر وهذه قرينة الرتبة .

فلما تضافرت هذه القرائن جميعا اصبح اللبس مأمونا فأهدرت العلامة الاعرابية لتكون هناك مناسبة صوتية بين الاسم والخبر . وكثيرا ما تكون المناسبة الصوتية مطلبا من مطالب الاسلوب الادبى ولا سيما اسلوب القرآن وما فيه من الفواصل واسلوب الشعر وما فيه من القوافى .

وشبيه بهذه الآية قوله :

اذا مت كان الناس صنفان شامت
وآخر مثن بالذى كنت اصنع

وقوله :

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن
خطاك خفافا ان حراسنا اسدا

3 ــ ومثل ذلك ما يقال فى « جحر ضب خرب » بالجر فى الكلمة الاخيرة اذ ان قرينة التبعية تبدى ان الخراب مما يوصف به الجحر ولا يوصف به الضب فلما اتضحت قرينة التبعية وما يتضافر معها من المطابقة والرتبة اهدرت الحركة الاعرابية ليتم بها نوع من المناسبة الصوتية التى عللها النحويون بالجوار .

4 ــ قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ... » برفع الصابئين ومن الواضح ان قرينة التبعية (عطف النسق) مفهومة بين هذه المتعاطفات جميعا ولا يتطرق الى ذهن القارىء معنى ايسر من معنى العطف وقد تضافر مع التبعية من القرائن قرينة الاداة التى تمثلها واو العطف فأمن اللبس فأهدرت العلامة الاعرابية وربما كان ذلك للتنبيه الى عزل الصابئين عن اصحاب الديانات السماوية الثلاث لانهم ليسوا منهم .

5 ــ قال الشاعر :

ان اباها وابا اباها
قد بلغا فى المجد غاياتها

ففى نهاية الشطرة الاولى كما فى نهاية الشطرة الثانية اهدار للعلامة الاعرابية لان اللبس مأمون وذلك للمناسبة اللفظية . وقد يقول قائل فى هذا الموضع كما فى « ان هذان لساحران » ان هذه لغة قوم والرد على ذلك ان هؤلاء القوم قد اهدروا العلامة الاعرابية اتكالا على وضوح القرائن الاخرى ولو لم يؤمن اللبس ما استطاعوا ذلك . هذا الا اننى اتشكك فى ان هاتين اللغتين لغتا قوم واميل الى الرأى بأن النحاة هنا يحاولون الاعتذار عن النصوص وهى ليست فى حاجة الى ذلك . وقد انكر المبرد لغة من يلزم المثنى الالف .

6 ــ قال الشاعر :

وتضحك منى شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلى اسيرا يمانيا

لاحظ اهدار العلامة الاعرابية فى « ترى » لا من اللبس .

7 ــ قال الشاعر :

وحلت سواد القلب لا انا باغيا
سواها ولا عن حبها متراخيا

والمعنى واضح واللبس مأمون ولكن النحاة ترددوا وتأولوا وتخيلوا ما شاءوا .

8 ــ وقال :

كأن اذنيه اذا تشوفا
قادمة او قلما محرفا

وحكى قوم منهم ابن سيدة ان قوما من العرب تنصب بها (كأن) الجزئين معا . فمن هؤلاء وأين بقية ما روى عنهم من النصوص ؟

9 ــ وقال :

ان تقرآن على اسماء ويحكما
منى السلام والا تخبرا احدا

والقرائن واضحة واللبس مأمون والعلامة الاعرابية مهدرة .

10 ــ وقال :

الم يأتيك والانباء تنمى
بما لاقت لبون بنى زياد

وقرينة الجزم فى يأتيك مهدرة والمعنى واضح واللبس مأمون ببقية القرائن .

11 ــ وقالت الزباء :

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا

فنصب الخبر ولكن الكوفيين راوه من قبيل تقدم الفاعل واوله البصريون على حذف الخبر والخبر ماثل امامهم .

12 ــ وقـــال :

الا رب مولـود وليـس لـه اب
وذى ولـد لـم يلـده ابـوان

فاهدر الجزم ولكن وضوح القرائن الاخـرى حفظ المعنـى مـن اللبـس .

13 ــ وقـــال :

امـا ترى حيث سهيـل طـالعا
نجمـا يـضىء كالشهـاب لامعـا

فاهدار الحركة واقع فى « سهيل » لان خبره «يضىء» قـد اوضـح المعنـى .

14 ــ كل ما سماه النحاة قطع النعت فهو من قبيل اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند امن اللبس . وذلك كالذى مثلوا من قولهم : « جاء الرجلان الكريمين » .

15 ــ وقـــال :

لعـن الاله نعلة بـن مسافـر
لعنا يشـين عليـه مـن قـدام

فاهدر الحركة قربانا للقافية والمعنى واضح بلا لبس ما دامت القرائن الاخرى تدل عليه .

وكذلك كان اهدار قرينة المطابقة عند امن اللبس مجالا للتخريج والتأول والتقدير لدى النحاة واوضح ما كانت هذه الظاهرة فى باب الفاعل والخبر والحال والنعت والموصول وهى الابواب التى تتكل كثيرا على المطابقة ومن امثلة ذلك ما يلى :

1 ــ قال تعالى : «والملائكة بعد ذلك ظهير» . وقال النحاة والمعنى : ظهيرون . واقول : اتضح المعنى فأمن اللبس مع اهدار قرينة المطابقة فساغ اهدارها مع وجود غيرها من القرائن ومنها الرتبة والعلامـة الاعرابيـة والبنيـة والتضـام .

2 ــ وقـال الشـاعـر :

فـلا ودقـة ودقـت ودقهـا
ولا ارض ابقـل ابقـالهـا

فأهدرت قرينة المطابقة فى خبر « لا » التى فى الشطرة الثانية لوضوح المعنى وأمن اللبس .

3 ــ وقـــال :

فمن يك اضحى بالمدينـة رحلـه
فانـى وقيـاربهـا لغـريـب

وقدر النحاة ذلك « لغريبان » . وسبيله احد امرين :

ا) اهدار القرينة عند امن اللبس وذلك بعدم المطابقة بين المتعاطفين وغريب .

ب) ان تكون جملة «وقياربها» حالا من الياء فى «فانى» وغريب خبرا لان . ويكون المعنى : فانى لغريب بالمدينة على الرغم من وجود قيار وعليه رحلى بها .

4 ــ وقـــال :

اكـل عـام نعـم تحـوونـه
يلحقـه قـوم وتنتجـونـه

قارن ذلك بقـولـه :

قومى ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنـه ذلك عـدنـان وقحطـان

« فالقوم » و « النعم » من اسم الجمع فاما ان تكون المطابقة للفظ والقرينة مهدرة فى الثانى واما ان تكون للمعنى والقرينة مهدرة فى الاول .

5 ــ سمع عن العرب : «الغناء رقية الزنى» ولا مطابقة بين الاول والثانى فى التذكير والتأنيث ولكـن المعنى واضح واللبس مأمون بغير المطابقة من القرائن .

6 ــ يقولون : امراة حائض وطالق ومرضع وناشز وفاقد . واللبس مأمون بقرائن ليس بينها المطابقة فى التذكير والتأنيث ، ومن ذلك :

«فلو انك فى يوم الرخاء سألتنى
طلاقك لم ابخل وانت صديق»

7 ــ قال الشاعر :

بتيهـاء قفـر والمطـى كأنهـا
قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

فوصف التيهاء بأنها قفر واهدر المطابقة .

8 ــ قــال الشاعــر :

كرب القلب من هــواه يــذوب
حين قال الوشاة هند غضوب

يريد شديدة الغضب وقد اغنت هنا قرينة الرتبــة والعلامة الاعرابية والاسناد عن قرينة المطابقة فاهدرت المطابقة .

9 ــ قــال المتنبــى :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى
واسمعت كلماتى من به صمم

ولم يقل « ادبه » و « كلماته » فلم يطابق بين الصلة والموصول وطابق ضمير المتكلم اتكالا على ان الخبر واصف للمبتدا .

10 ــ قــال الشاعــر :

واعلــم ان تسليمــا وتــركــا
للامتثــا بهــان ولا ســواء

فترك التثنية فى سواء من قبيل اهدار المطابقة واللبس مأمون بقرائن أخرى .

11 ــ ما يسميه النحاة «التغليب» نحو : فرح الصبية والبنات بملابسهم الجديدة يحمل فى طيه صورة من صور اهدار المطابقة عند امــن اللبس لان القرائن الاخرى تغنى عن المطابقة .

12 ــ وربما توسعنا فى تطبيق ذلك الى ان يشمل معاملة جمع التكسير معاملة المؤنث من حيث المطابقة وفى ذلك اهدار المطابقة فى الجمع والامــر كــذلك فى الالتفات من ضمير الى آخر فى السياق .

اما اطراح قرينة الربط عند امن اللبس فقد تسبب فى الكثير من التقديرات التى حاول بها النحاة ان يجبروا ما ظنوه نقصا فى عناصر الجملة وما كان اجــدرهم ان يدركوا ما للغة العربية من مزاج فى الاستعمال يحرص على امن اللبس ولا يتمسك بعد ذلك بالقرائن الزائدة عن الحاجة . ولو تمكن السامع او المعرب من فهم وجه الترابط بين الكلمات بدون القرينة اللفظية الخاصة فلا حاجة اذن لديهما الى هذه القرينة ويصبح ابقاؤها نوعا من الاطناب يقبل ولا يتمسك به . وهاك امثلة توضح اهدار هذه القرينــة :

1 ــ قال تعالى : « اهذا الذى بعث الله رسولا » فالهاء العائدة من الصلة الى الموصول محذوفة ولكنها مفهومة واللبس مأمون لان القرائن الاخرى اغنــت عنها كمــا يلــى :

ا) فمن حيث البنية نجد بنية الموصول والصلة جارية على العرف الاستعمالى العربى فالموصول هــو « الذى » والصلة جملة فعلية .

ب) ومن حيث التضام استوفى الاسم الموصول صلته التى يفتقر اليها بايراد هذه الجملة معه .

ج) ومن حيث الرتبة جاء الموصول متقدما وجاءت الصلة متأخرة كما جرى عرف الاستعمال .

د) ان افراد الموصول وغيبته وتذكيره وما عهد من مطابقة الضمير العائد للموصول صير امر فهم الضمير ممكنا بالنسبة للسامع والمعرب .

فالقرائن الاربع (البنية والتضام والرتبة والمطابقة) يسرت امن اللبس فلم يعد من الضرورى ذكر لضمير الرابط فاهدرت المطابقة ولو ذكر الضمير ما اضاف الى الفهــم شيــئا .

2 ــ قــال الشاعــر :

قومى ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنــه ذلــك عــدنــان وقحطــان

فقد اغنت البنية والرتبة والتضام والمطابقة بين الذرى وضميرها وعدم المطابقة بين الضمير والقوم عن ذكــر ما يعود على القوم من ضمير بارز .

3 ــ وقــال :

فابــت الى فهم ومــا كدت آيبا
وكم مثلهــا فارقتهــا وهى تصفر

ففى « آيبا » اطراح البنية وفى خبر كاد اطــراح « الربط » لان « آيبا » تحتمل انا وانت وهو لان الصفة لا تتغير بحسب ضمائر الاشخاص ومع ذلك ظل اللبس مأمونا ببقية القرائن .

4 ــ وقـــال :

ويوما توافينـا بوجـه مقسـم
كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

فتخفيف « كأن » اهدار لقرينة البنية وحذف الضمير بعدها اهدار لقرينة الربط بين جملة التشبيه وفاعل « توافى » والتشبيه فى البيت على معنى كأن واسمها وخبرها والمعنى واضح بغير الربط من القرائن وربمـا اهتم النحاة برواية الجر من قبل الاهتمام بما كـانوا يسمونه « الغريب » ورواية الرفع اوضح ويعززهـا تخفيف كأن فى قوله :

وصـــدر مشـرق النـحـــر
كـأن ثـــديـــاه حـقـــان

5 ــ مما جرى فى الاستعمال : « مر زيد يد تلوح وفم يبتسم » ولا يفهم السامع فى اليد الا انها يده ولا فى الفم الا انه فمه . ومن هنا ساغ اهدار قرينة الربط بحـذف الضميـر .

6 ــ قـال الشاعـــر :

جـزى الله عنا والجزاء بفضله
ربيعـة خيرا مـا اعف واكرمـا

وكل القرائن تدل على معنى : « ما اعفها واكرمها ». وهذا هو المقصود بقول ابن مالك : « ان كان بعد الحذف معناه يضح» اى ان قرينة الربط هنا مهدرة عند امن اللبـس فقـط .

7 ــ ان ما يسمى تعدد النعت وتعدد الخبر الخ هو فى الحقيقة اهدار للربط بحرف العطف مع امن اللبس .

8 ــ قـا الشـاعـر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها
لا يذهب العرف عند الله والناس

ولما كان المعنى واضحا مع اسقاط الفاء اهـدرت قرينة الربط عند امن اللبس .

9 ــ ومثل ذلك يلحظ فى قول الشاعر :

ومن لا يزل ينقاد للغـى والصبـا
سيلفى على طول السلامة نادما

حيث اهدرت قرينة الربط باسقاط الفاء عند امـن اللبـس .

10 ــ قـال الشاعر :

فأمـا القتـال لا قتـال لديكمـو
ولكـن سيرا فى عراض المواكب

فاسقط الفاء من جواب اما فكان ذلك اهدارا للربط عند امن اللبس .

لقد سبق ان شرحت المقصود باصطلاح « التضام » وبينت انه قرينة نحوية سواء فى معناه الايجابى حين تستدعى الكلمة كلمة اخرى او بمعناه السلبى حين تتنافى احدى الكلمتين مع الاخرى وفيما يلى من امثلة يتضح ان الاستعمال العربى يشتمل على الكثير مـن الصور التى اهدرت فيها قرينة التضام عند امن اللبس وذلك بواسطة الحذف او الزيادة او نحوهما . وهاك بعض هذه الامثلـة :

1 ــ من شأن الوصف الذى يرتفع معه فاعل (يغنى عن الخبر) ان يعتمد على نفى او استفهام الخ . ولكن اقترانه بذلك قد يتخلف عند امن اللبس كقول الشاعر :

خبير بنو لهب فـلا تـك ملقيـا
مقالـة لهبـى اذا الطيـر مرت

فحذف الاعتمـاد واهـدرت قرينـة التضـام فى احـد المواضـع لان القـرائـن الاخـرى اغنـت عن ذلك ومن هـذه القـرائـن :

ا) البنية فالذى معنا هنا جملة وصفية المسند فيها صفة مشبهة والفاعل من الاسماء الخمسة وذلك متسق مع العرف الاستعمالى للغة .

ب) قرينة العلامة الاعرابية فالصفة مبتـدأ مرفـوع بالضمة والفاعل من الاسماء الخمسة مرفـوع بالـواو .

جـ) قرينة التضام وذلك ان الصفـة المشبهـة لم يتقدم ما يوصف بها فأهدر اعتمادها ثم تطلبت فاعلا فذكر الفاعل معها وهذا هو المثال الاخر من امثلة التضام فى الجملة الوصفية .

د) قرينة الرتبة لان من شأن الفاعل ان يتأخر وقد تأخر هنا .

ولقد كان الكوفيون على صواب عند عدم اشتراط الاعتماد وكان عليهم أن يضيفوا : « عند أمن اللبس » .

2 ــ يقول النحاة انه يجوز حذف ما علم من مبتدا او خبر . ويقول ابن مالك :

وحذف ما يعلم جائز كما
تقول زيد بعد من عند كما

وفى جواب كيف زيد قل دنف
فزيد استغنى عنه اذ عرف

والذى يصدق على جميع صور الحذف فى اللغة العربية انه اهدار لقرينة التضام عند أمن اللبس لان المحذوف فى كل الحالات ضميمة تطلبها ضميمة اخرى .

3 ــ لا يفصل بين الناسخ المنقول عن الفعلية وبين اسمه بتتمة خبره الا الظرف والمجرور حسبما يقول البصريون . ومع ذلك قال الشاعر :

فنافذ هذا جون حول بيوتهم
بما كان اياهم عطية عودا

ففصل بالضمير وهو مفعول فى جملة الخبر بين كان واسمها فاهدر قرينة التضام عند أمن اللبس. وهذا موضع آخر اصاب فيه الكوفيون جادة الصواب اذا جازوا الفصل مطلقا .

4 ــ كل امثلة زيادة كان فى الحشو اهدار لقرينة التضام بالفصل بين متلازمين حقهما الا يفصل بينهما ، كالصفة والموصوف فى قوله :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت
لهم هناك بسعى كان مشكور

وكالمتعاطفين فى قوله :

فى لجة غمرت اباك بحورها
فى الجاهلية كان والاسلام

وبين فعل المدح والمرفوع الذى بعده كقوله :

ولبست سربال الشباب ازورها
ولنعم كان شبيبة المحتال

وبين الجار والمجرور كقوله :

سراة بنى ابى بكر تسامى
على كان المسومة العراب

واللبس فى كل اولئك مأمون بفضل القرائن الاخرى

5 ــ «لا يكون خبر افعال المقاربة مفردا الا شذوذا» . هكذا تقول القاعدة . واقول انما يكون ذلك اهدارا لقرينة التضام عند أمن اللبس لان بين افعال المقارنة والخبر المفرد تنافيا اى تضاما سلبيا ومن امثلة وروده : « فطفق مسحا بالسوق والاعناق» وقول الشاعر :

فأبت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

6 ــ قال ابن مالك :

وكونه بدون أن بعد عسى
نزر وكاد الامر فيه عكسا

فالقلة من امثلة خبر كل من هذين الفعلين المذكورين يشتمل على اهدار لقرينة التضام بين « ان » المصدرية والمضارع المخبر به فى الجملة المنسوخة .

7 ــ تدخل لا النافية للجنس على الاسماء ومع ذلك قال الشاعر :

فقام يذود الناس عنها بسيفه
وقال : الا لا من سبيل الى هند

فاهدر التضام عند أمن اللبس .

8 ــ قال ابن مالك فى باب « لا النافية للجنس » :

وشاع فى ذا الباب اسقاط الخبر
اذا المراد مع سقوطه ظهر

وكأنه فى هذا البيت يردد قولى : « يجوز اهدار القرينة عند امن اللبس » .

9 ــ قالت العرب : « لا عليك » وفهمت من ذلك : « لا بأس عليك » وفى ذلك اسقاط اسم لا النافية للجنس وهو اهدار للتضام عند أمن اللبس .

10 — قال ابن مالك فى باب ظن واخواتها :

ولا تجز هنا بلا دليل
سقوط مفعولين او مفعول

والاصرار على الدليل هنا اصرار على التأكد من امن اللبس قبل اهدار التضام .

11 — من امثلة اهدار التضام عند امن اللبس ان يدخل حرف الجر الزائد على الفاعل كما فى قوله تعالى : « ما جاءنا من بشير ولا نذير » وقوله : « وكفى بالله شهيدا » بل ان الحكم بزيادة الحرف هنا يحمل بعض الاعتراف باهدار التضام .

12 — يحذف الفعل ويبقى الفاعل عند امن اللبس «كمثل زيد فى جواب من قرا » .

13 — ليس من شأن « حاشا » ان تضام « ما » ولكن ذلك التضام ورد مع امن اللبس نحو قوله :

رأيت القوم ما حشا قريشا
فانا نحن افضلهم فعالا

وقد حكم النحاة بشذوذه .

14 — قال النحاة ان جملة الحال اذا كان فيها مضارع منفى بلا امتنع اقترانها بالواو . وقال الشاعر :

اقادوا من دمى وتوعدونى
وكنت ولا ينهنهنى الوعيد

وقال ايضا :

اكسبته الورق البيض ابا
ولقد كان ولا يدعى لاب

والمعنى واضح مع الواو بل انه فى البيت الثانى متعلق بها . فلو حذفت لكانت لا وما بعدها خبرا لكان وهذا أولى من اعرابها حالا .

اما اهدار الرتبة عند امن اللبس فيكفى فى الاقناع به ان بعض الرتب غير محفوظ فيمكن اهدارها كما يمكن اعتبارها ولا بأس على من يستعمل اللغة من هذه الطريقة ولا من تلك الا اذا وقع اللبس من جراء اهدار قرينة الرتبة فيتعين حينئذ الاحتفاظ بالرتبة التى كانت غير محفوظة والابقاء عليها لتعلق المعنى بها .

ومن امثلة الرتب غير المحفوظة الرتبة بين المبتدا والخبر والرتبة بين الفاعل والمفعول وبين اسم ان وخبرها واسم كان وخبرها وبين المفعولين بعضهم وبعض وبين الحال وصاحبها الخ . وفيما يلى امثلة على اللجوء الى حفظ الرتبة غير المحفوظة عند خوف اللبس :

1 — يجوز تقديم المبتدا على الخبر وتقديم الخبر على المبتدا الا اذا خيف اللبس نحو اخى صديقى فان المعنى يتعلق بالرتبة حينئذ فتحفظ الرتبة . هذا وما تقدم من جواز تقديم الخبر عند امن اللبس فيه اهدار لقرينة الرتبة اتكالا على غيرها من القرائن .

2 — ومثل ذلك يقال فى اسم كان وخبرها نحو كان زيد قائما وكان قائما زيد فاذا خيف اللبس حفظت الرتبة نحو كان هذا اخى .

3 — ومثله اسم ان وخبرها الظرف والجار والمجرور فيمكن اهدار الرتبة بينهما ما دام المعنى واضحا فتقول ان زيدا فى الدار وان فى الدار لزيداً فاذا قلت كان موسى عيسى حفظت الرتبة .

4 — ويجوز فى مفعولى اعطى ان يتقدم ايهما ويتأخر الآخر اتكالا على ان الاول منهما ما صلح فاعلا للمطاوع (وهذه من قبيل قرينة الاسناد) تقول اعطيت زيدا هدية واعطيت هدية زيدا فيكون زيد هو المفعول الاول فى الحالتين لانه صلح فاعلا لما طاوع اعطى وهو اخذ اما اذا خيف اللبس بأن قلت اعطيت هندا زيدا تعين حفظ الرتبة حفاظا على المعنى .

5 — والقاعدة ايضا يتقدم الفاعل على المفعول او يتأخر فيكون ذلك من قبيل اهدار الرتبة عند امن اللبس فاذا خيف اللبس كما فى ضرب هذا ذلك تعين حفظ الرتبة حفاظا على المعنى .

6 — ومفعولا ظن واخواتها يتقدم اى منهما او يتأخر ما دام اللبس مأمونا . تقول حسبت زيدا قائما وحسبت قائما زيدا فاذا خيف اللبس حفظت الرتبة كما فى حسبت موسى عيسى .

7 — ومن امثلة اطراح الرتبة عند امن اللبس تقديم المعطوف على المعطوف عليه فى قول الشاعر : « عليك ورحمة الله السلام ».

8 ــ ومن امثلة ذلك عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة كالحال فى ضمير الشأن فما دام اللبس مأمونا فلا بأس من ذلك كما فى نحو قوله تعالى : « قل هو الله احد » .

قد راينا من ذلك كيف تهدر قرينة الرتبة عند امن اللبس .

ولقد سبق ان ذكرنا ان الادوات تفيد الربط وان منها ما يربط بابا نحويا بباب آخر ومنها ما يكون امينا على معنى الجملة كلها فلو حذفت الجملة وعليها دليل لكانت الاداة بمفردها وافية بالمعنى . ومن العبارات الشهيرة فى الاستفهام الام وحتام وعلام ومتى واين الخ دون ذكر الجملة .

على ان الاداة ولها كل هذا الخطر باعتبارها احدى قرائن المعنى فى السياق يمكن ان تهدر عند امن اللبس . وقد سبق ان شرحت كيف امكن للقرائن الاخرى وبخاصة قرينة النغمة ان تغنى عن اداة الاستفهام فى قول ابن ابى ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

وكثيرا ما يجرى فى كلامنا الآن ان نؤدى معنى الاستفهام والعرض والنغمة دون الاداة وفى الكلام الفصيح ايضا يمكن ان نتصور رجلا يقص على سامعه قصة كفاحه للوصول الى غاية كان يأمل فى الوصول اليها فاذا فرغ سأله السامع : « ووصلت الى ما اردت ؟ » دون ان يستعمل اداة الاستفهام .

والنغمة نفسها يصعب اسقاطها من الكلام اتكالا على الاداة . دعنا نتصور رجلا جاء يقص علينا قصة جريمة حدثت فيدور فى الذهن معنى الاتهام له بالمشاركة فى الجريمة فتلقى عليه سؤالا فى صورة «هل كنت هناك» لكن لا بنغمة الاستفهام « بهل » بل بنغمة الاستفهام مع استعمال « ماذا ؟ » ويكون المنطوق حينئذ « هل كنت هناك » ولكن المفهوم يكون « ماذا كنت تفعل هناك ؟ » ومعنى هذا ان النغمة كما اغنت عن الاداة فى بيت ابن ابى ربيعة حورت معناها فى هذا المثال

على ان السحرة والكهان وخطباء المسجد يهملون تنغيم الكلام الى حد كبير فيبدو كأنهم يرتلون على نغمة واحدة ومع ذلك يظل كلامهم مفهوما فهل هذا من اطراح قرينة لنغمة عند امن اللبس . اظنه كذلك . ولكنى اقطع ان كل نص مكتوب لا يمكن الا ان نتصور عند فهمه اننا قد اهدرنا النغمة نهائيا عند امن اللبس لان الكتابة لا تبدو فيها النغمات ويكون ذلك اكثر صدقا عند الوصول الى الفهم بواسطة القراءة الصامتة .

اسقاط اللعامل والتقدير والمحل :

وبعد فقد وصلت فيما سبق الى ثلاثة من اهم الامور وهى :

1 ــ احصاء القرائن النحوية معنوية ولفظية وتقديم دراسة لكل واحدة منها على وحدة .

2 ــ انشاء مبدا هام جدا لم يفطن اليه النحاة هو مبدا تضافر القرائن .

3 ــ انشاء مبدا آخر اهم وهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

فاما الاحصاء الذى قمت به للقرائن فقد اوضح ان القرائن المعنوية هى العلاقات التى تقوم بين الابواب فى السياق من حيث المعنى الوظيفى الصرفى والنحوى وان اتضاح العلاقة بين باب وباب فى السياق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من ادلة الفهم بالنسبة للسامع ومن ادلة التحليل بالنسبة للمعرب .

على ان هذه القرائن المعنوية قد لا تتسم بالوضوح فى بعض الحالات فلو توقف المعنى عليها والحالة هذه لتطرق اللبس الى الفهم وهذا شر ما يبتلى به الاتصال اللغوى لذلك عمد الاستعمال اللغوى الى الاستعانة بظواهر الاصوات والصرف لتسخيرها فى بيان معانى النحو فاستمد منها عددا من القرائن اللفظية التى تعين على الكشف عن المعنى جنبا الى جنب مع القرائن المعنوية . ولا شك ان هذه القرائن اسهل منالا فى الفهم من القرائن المعنوية لانها مدركات حسية تبدو كمعالم الطريق يهتدى بها سالكه عند ما تتشعب الطرق ويعز الرفيق . والذين جربوا الاسفار يعرفون قيمة العلامات التى توضع على الطرق مشيرة الى الاتجاهات واسماء الاماكن والمسافات وهلم جرا والذين سلكوا الصحراء يدركون قيمة الشمس والنجوم والكواكب والجبال

والدروب المطروقةوالمياه فى تمكينهم من تحديد اتجاهاتهم وادراك مواقع وجودهم وتحديد غايات مسيرتهم . ذلك هو شان القرائن اللفظية فى الكلام فاذا رايت بنية ادركت معناها الوظيفى واذا رايت علامة اعرابية خطر ببالك من الابواب ما يمكن ان تدل عليه واذا رايت مطابقة منوع ما فالابواب ذات المطابقات معروفة ومحصورة واذا رايت رابطة ادركت اشارتها الى ما بين عنصرين او اكثر من عناصر الجملة من علاقة معينة واذا رايت احد المتلازمين بحثت بمقتضى التضام عما يلازمه واتخذت الاول قرينة على الثانى واذا رايت رتبة فهمت معناها او اداة ادركت وظيفتها او نغمة لمحت فحواها .

واما المبدا الثانى وهو تضافر القرائن على الكشف عن المعنى النحوى فقد كان الضربة القاضية فى حلبة الصراع مع العامل النحوى لانه اوضح ان العلامة الاعرابية وهى مناط القول فى العامل لا تعدو ان تكون واحدة من القرائن الدالة على المعنى لا اكثر من ذلك ولا اقل . فاذا بنينا المعنى النحوى عليها وبنينا النحو كله على اساسه فقد رجحنا دون مرجح واهتممنا بدور احد الممثلين على المسرح دون بقية الادوار فضاع معنى القصة وغابت معالم الحوار واصبح فهم المسرحية مجالا خصبا للتخمين والتاويل والتخيل ومحاولة ملء الفجوات التى غفلنا عنها اثناء التفرج على المسرحية .

لقد قصر النحاة منهج النحو على تقسيم النحو الى حالات اعرابية اربع هى :

الرفع ــ النصب ــ الجر ــ الجزم

وقرروا ان العلامات الدالة على كل حالة قد تكون اصلية كالحركة وقد تكون فرعية كالحرف . وقد جعلوا الضمة من الحركات علم الرفع والفتحة علم النصب والكسرة علم الجر والسكون علم الجزم . وتنوب احدى الحركات عن اختها كما ينوب الحرف عن الحركة .

وقالوا ان الاعراب اثر يجلبه العامل فى آخر الكلمة وان هذا العامل نفسه اما ان يكون لفظيا واما ان يكون معنويا وراحوا يحددون العوامل اللفظية والمعنوية حتى بلغوا بعددها مائة كاملة . وانشأوا لها الفلسفات حتى اصبح فهم النحو عسيرا على المبتدئين واصبح استيعابه عسيرا على غيرهم . وطالت الكتب وضج الناس بالشكوى حتى تصدى المتاخرون للعامل بالنقد وكان سبب التصدى واضحا ولكن منهج النقد لم يكن سليما . ومن هنا تخبط النقاد كما تخبط النحاة . فقد رفض النقاد العامل النحوى واقاموا فى مكانه عاملا آخر هو المتكلم حيث انكروا بذلك الطابع الاجتماعى للغة او هو الله سبحانه وتعالى حيث لجأوا الى الاعتراف بالتوقيف ورفض المواضعة العرفية ايضا .

ان القول بان الفرد المتكلم هو العامل ينسى ان هذا المتكلم ليس له حرية التصرف فى اللغة وانه لو خالف الاستعمال لم يسلم له ذلك لان اللغة ليست ملك الفرد وانما هى ملك المجتمع . وان القول بان العامل هو الله سبحانه وتعالى ليس الا عودا الى قضية حسمت تماما منذ ازمان وهى ما اذا كانت اللغة توقيفا او مواضعة وقد استقر الناس على ان اللغة مواضعة وتعارف وانها من صنع المجتمع .

على ان النحاة فى انشغالهم بالعامل لم يستطيعوا تجاهل القرائن الاخرى فراحوا يلمون بالاشارة اليها الماما خفيفا كلما دعا الأمر الى ذلك ولم يسلكوها ابدا فى نظام واحد كالذى حاولته فى هذا البحث كما لم يبينوا تضافرها للكشف عن المعنى النحوى كما شغلوا بالشذوذ والقلة والندرة ونحوها عن جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

مبدا تضافر القرائن اذن يفسر التعليق النحوى كله على حين لا يفسر العامل النحوى منه الا قرينة واحدة هى العلامة الاعرابية وهذا المبدا ييسر ادراك العلاقات النحوية بما يحدد من الامور المحسوسة على حين يفسح العامل النحوى الطريق امام التخريج والتاويل والتقدير وهى امور فردية لا ضابط لها وكثيرا ما اختلف النحاة فيها فانفرد كل واحد منهم بتخريجه وتاويله وتقديره وليس هناك مجال للتقدير فى حدود مبدا تضافر القرائن لان كل شىء محدود او ملفوظ .

واما المبدا الثالث الذى انشأته فهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس فيذهب تماما بالاعراب التقديرى والاعراب المحلى وينفى الخلافات النحوية حول المسائل كما يزيل فكرة الشذوذ والندرة والقلة الخ فالاعراب التقديرى الذى يقوم على تقدير الحركة لعدم ظهورها يضيف على المعرب من الاعباء اكثر مما يفسر من المعانى فالحركة الاعرابية تقدر على المبنيات وعلى المقصور والمنقوص والواضح الذى لا شك فيه ان المعنى النحوى لهذه الكلمات اسرع بلوغا الى الذهن

من الاعراب التقديرى ولو أن الاستعمال اللغوى راى ان القرائن التى تدل على كلمة مبنية فى موضع ما من الجملة لم تؤد المعنى المقصود كاملا لعدل عن استعمال هذا اللفظ المبنى الى استعمال المعرب ولكن القرائن الدالة على الباب النحوى لهذا المبنى فى الجملة لم تترك حاجة الى العلامة الاعرابية فاهدرت العلامة لان اللبس مأمون . ولكن النحاة لم يعترفوا باهدارها فراحوا يتمسكون بها فقدروا لها حركة واضافوا بهذا التقدير عبئا على المعربين وشجعهم على ذلك او الجأهم اليه انهم بنوا النحو على القول بالعامل فكيف يغفلون تقدير اثره فى آخر الكلمة اذا لم يظهر هذا الاثر ؟ والذى قيل فى المبنيات يقال مثله فى المقصور والمنقوص . وهكذا نرى ان العامل هو المسئول عن الاعراب التقديرى فاذا بطل العامل بتضافر القرائن بطل الاعراب التقديرى ببطلانه ثم بجواز اهدار القرينة عند أمن اللبس .

ولهذا السبب نفسه يبطل الاعراب المحلى ايضا . صحيح ان الجملة ذات المحل الاعرابى حلت محل المفرد. ولو ان المفرد كان فى الاستعمال لاستحق حركة اعرابية ما ولكن الامر يحتاج الى نظرة ادق من نظرة النحاة الى المشكلة كما يلى :

1 ــ ان العدول عن استعمال المفرد المعرب الى استعمال الجملة يقوم على اساس من النمطية النحوية والبلاغية التى تجعل مواضع للمفرد ومواضع اخرى للجملة كالذى يحدث فى الخبر والحال والنعت . والدليل عى ذلك انك اذا حاولت ان تستبدل بالجمل ذوات المحل مفردات معربة ما استقام لك ذلك ولوجدت انك تحل محل الجمل الاسمية او الفعلية جملا اخرى وصفية دون المفردات .

2 ــ ان استعمال الجملة ذات المحل الاعرابى فى جميع الحالات يحصن المعنى النحوى للجملة بعدد من القرائن يجعل السياق فى غنى عن العلامة الاعرابية ومن ثم عن المحل الاعرابى ولو صح أن الامر يستدعى وجود الحركة على محل الجملة لضرورتها ما استعملت الجملة ولكانت اللغة قد لجأت الى حيلة أخرى تضمن الوفاء بمطالب الافهام وأمن اللبس .

3 ــ ما فائدة الاعراب المحلى اذا كان فهمه اعسر من فهم المعنى العام للجملة وما المانع من أن نقول ان الجملة خبر او حال او نعت الخ دون ان نقول انها فى محل كذا ؟

4 ــ من الواضح ان القول بالعامل هو السبب فى القول بالمحل وانه اذا ثبت بطلان العامل ثبت بطلان الاعراب المحلى تبعا لذلك .

اما ما قال عنه النحاة انه نادر او شاذ او قليل فقد سبق ان فسرنا طائفة من امثلته تحت عنوان جواز اهدار القرينة عند أمن اللبس فعد الى ذلك ان شئت.

وفى ختام هذا الباب احب ان اشير الى اقتناعى بأن من الممكن ان يقوم النحو العربى على اساس القرائن وتضافرها وجواز اهدار احداها وذلك فى تبويب جديد يناسب مطالب المنهج العلمى والطريقة التعليمية وينفى من النحو نظرية العامل والاعراب التقديرى والاعراب المحلى ويزيح عن كاهل المتعلمين جمهرة الشاذ والقليل والنادر والضرورة ويرد اعتبار القراءات القرآنية والحديث النبوى الشريف والله ولى التوفيق.

تطور الحرف العربي

الدكتور
ممدوح حقي

في العالم العربي اليوم اهتمام جدى باصلاح الحروف المطبعية العربية وتطويرها تمشيا مع التاريخ وكسب الوقت الذى يتسم به العصر الحديث ، ولقد فتحنا صدر المجلة لكل محاولة فى هذا الموضوع مهما كان شأنها ، ايمانا منا بوجوب خدمة الفكر العربى فى جميع صوره ومظاهره ، واذا كان الحرف العربى قد تطور منذ بدايته حتى اوائل هذا العصر تطورا متماديا فانه كان يتمشى باستمرار مع النظرة الجمالية لفن الخط ، ولقد ذهب بذهاب الخلافة العثمانية عام 1924 ذخائر فنية ومخطوطات رائعة ولوحات نادرة لا نملك اكثر من دمعة حرى نذرفها على ضياعها وفقدانها ، وما بقى منها فى مساجد استانبول وبورصة وقونية لا يزيد على قطرة من بحر ، ولولا نهضة الخط الفنية فى مطلع هذا العصر فى سوريا على يد رشا التركى وممدوح الشريف وبدوى وحلمى وفى لبنان على يد البابا وفى مصر على يد الهواوينى وسيد ابرهيم ومدرسة الخط العليا .. لضاعت البقية الباقية من هذه الجمالية الرائعة ، ولقد بدأت بعد الحرب العالمية الاولى حركة رجعية ضد الخط العربى وتفاقمت بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت انواع من الخطوط التافهة متأثرة بسريالية الرسم والرقص والموسيقا وتجريداتها يدعم نشاطها عاملان قويان هما:

1 — الحرب المستترة والمفضوحة من الاجانب والشعوبيين ضد العربية .

2 — تزايد استعمال الآلات الكاتبة بحروفها النقية الواضحة ، وانعدام البرامج التعليمية من مادة الخط، مما ادى بالطلاب والاجيال التى توالت بعضها وراء بعض الى اهمال خطوطها حتى اصبحت اشبه بخربشة الدجاج .

ولا شك ان عدد مربعات الحروف المطبعية العربية اكثر من مربعات الحروف اللاتينية وان الحاجة الى الاقلال منها وتيسيرها امر ضرورى جدا لكن على شرط الا تخل بجمالية الخط العربى الاصيل ، وهذا ما ندعو اليه ونحث عليه وان كنا نفتح صدر مجلتنا — كما قدمنا — لكل محاولة ومنها المقالات التالية ،

ممدوح حقى

الحروف العربية والمطابع

الأستاذ خير الدين حقي
سورية

قرات فى المجلد التاسع من مجلة اللسان العربى نقد الاستاذ يحيى بلعباس للحروف العربية واننى اذ اقره على كثير مما جاء فى مقاله لكننى لا ارى فى الحل الذى اقترحه لحروف الطباعة ما يحل المشاكل التى طرحها للاسباب التالية :

1 ــ يلاحظ تاثر الاستاذ بلعباس بالخط اللاتينى من حيث ايجاد حروف صغيرة واخرى كبيرة ، فما اغنانا عن هذا التعقيد ؟ لعل الحروف الكبيرة تنفع للدلالة على اسماء الاعلام ، وعندها يكفى وضع اشارة فوق الحرف الاول من الاسم لتمييزه شبيها بما كان اقترح فى وقت ما فى مصر وسميت بحروف التاج ثم اهملت مع ذلك ، اذ ثبت عدم جدواها . فما فائدة اثقال مطابعنا بمجموعة كاملة من الحروف لا لزوم لها .

2 ــ ان القصد ، باعتقادى ، من اقتراح الاستاذ بلعباس بجعل الحروف منفصلة هو للتخلص من كثرة اشكال الحروف بين ان تكون فى اول الكلمة او فى وسطها او آخرها او كانت منفصلة . لكن الاستاذ احمد الاخضر قد وجد لهذا حلا موفقا جدا ، اذ اختصر الحروف الى عدد مقبول . والنماذج التى اوردها فى المجلد التاسع نفسه هى على غاية من الاهمية وقد يكون النموذج المشتق من الكوفى اجملها واوضحها .

ولقد عالجت قضية الحروف العربية طوال اعوام كثيرة ، والذى دعانى لذلك هو ان الامم التى تكتب بالحروف اللاتينية اعتمدت نموذجا موحدا للمخططات الهندسية والخرائط ، بينما نحن لم نعتمد نموذجا معينا . وطلابنا فى كلية الهندسة يتقنون مصوراتهم لكنهم يشوهونها بخطهم الردىء غالبا . فابتكرت لهم نموذجا مبسطا مشتقا من الخط الكوفى المشجر والشطرنجى تسهل كتابته بادوات الهندسة ، وهم مجبرون على تعلمه مع تعلم الرسم ويمكنهم اتقانه مهما كانت موهبتهم ضعيفة فى كتابة الخطوط المالونة، والتى تحتاج الى مهارة خاصة . ومع هذا المثال نموذج من هذه الكتابة .

وقد جرنى هذا الى تبسيط الحروف المطبعية فاخذت بطريقة الاستاذ الاخضر من حيث فصل ذيل

الحرف عن صدره ، وكونت الحروف المبينة فى الشكل رقم (4) من الكراس وعددها اربعة واربعون حرفا، هى كل ما يلزم لكتابة اى نص كان . وفى الشكل رقم (5) نموذج من استخدام هذه الحروف كأنما سبكت ورصفت .

وقد قرأت مؤخرا فى جريدة الاهرام القاهرية نقلا هى كل ما يلزم الكتابة اى نص كان وفى الشكل عدد اشكال الحروف الى واحد وعشرين شكلا .

وفى بيروت اقترح المهندس نصرى خطار نماذج لحروف منفصلة اخذت بعض المجلات اللبنانية باستخدامها فى العناوين كمجلة الصياد ومجلة الشبكة مع تحريف بسيط لا يمس الجوهر كثيرا . وهنالك محاولات كثيرة كما ذكرتم فى تعليقكم على النماذج التى نشرتم صورا عنها .

حتى ان الاستاذ المستشرق فى جامعة امستردام الدكتور ادوار بلويج له محاولات لتطويع الحرف العربى لآلة الطباعة (اوفسيت) مع تبسيطه . فيا حبذا لو ان مجلة اللسان العربى تأخذ المبادرة فى جميع الجهود المبعثرة هنا وهناك وتنشرها فلعلها تجد من تستهويه هذه القضية فيبتكر شيئا ترضى عنه الناس.

3 — لقد جعل الاستاذ بلعباس حروفه بطول واحد (عدا الالف والراء والزين) وهذا الاقتراح يتعب النظر فى القراءة لصعوبة تمييز الحروف بعضها عن بعض . وقد دلت تجارب اجريت على قراءة نصوص طبعت بحروف لاتينية صغيرة مرة وكبيرة مرة اخرى ، فكان تمييز الحروف الصغيرة اسرع واسهل من تمييز الكبيرة ، ذلك لان حروفا تعلو واخرى تنخفض وبعضها يمتد واخرى تقصر يريح النظر والاعصاب ويساعد على سرعة ارتسام الكلمة فى الذاكرة بمجرد القاء نظرة خاطفة عليها .

4 — ينتقد الاستاذ بلعباس وجود النقاط على الحروف وفكر انه قد تخلص منها بلصقها بالحرف تارة بنقطة وتارة بعقفة . ولعل انفصالها يكسبها وضوحا اكثر لا سيما عند ما يصغر حجم الحرف .

5 — ان الحرف العربى قد اكتسب على الزمن طابعا جميلا لا يمكن اغفاله ، وفى الحروف التى اقترحها الاستاذ بلعباس قساوة بالغة . ولا ادعى ان الحروف التى اقترحتها قد حافظت على جمال الحرف العربى لكنها حافظت على الاقل على طابعه . فاذا اردنا ان نطوع الحرف العربى للتكنيك الحديث والمطابع الحديثة فيجب ان لا يكون هذا على حساب تجريد الحرف من صفاته الجمالية . ومن المؤكد اننا سنصل الى الحل المناسب اذا اجتمعت جهود المهندسين والخطاطين وعلماء اللغة . وفى يقينى ان ما توصل اليه الاستاذ الاخضر هو خطوة مباركة وواسعة نحو الامام .

6 — وفى مقال الاستاذ بلعباس نقطة هامة جدا هى موضوع الحركات . وجدير بنا ان نقف عندها قليلا . فقد كنت انا نفسى فيما مضى متحمسا لاعطاء الحركات اشكالا تدخل بين الحروف ، او بتعبير آخر ايجاد اشكال للحركات بحجم الحروف كما جاء فى اقتراح الاستاذ بلعباس لكننى عدلت عن هذه الفكرة لاسباب عديدة هى :

ان الحركات تمثل حروف علة صغيرة لكنها فى الواقع هى علة كبيرة . فالحركات فى لغتنا عامل صرفى لبيان جذر الكلمة وعامل نحوى لوظيفة الكلمة . فالعامل الصرفى سماعى ويجب حفظه بالتلقين . فكلمة لعب مثلا مكسورة العين وكلمة ضرب مفتوحة العين . وكذلك المضارع والامر وغيره . لكن العامل النحوى يتغير بحسب وظيفة الكلمة ان كانت فاعلا او مفعولا او مضافا او غير ذلك . ولا يمكن الا لذى ثقافة لغوية من وضع الحركة المناسبة ، كما لا يمكن الا لذى ثقافة لغوية الى حد ما من فهم الوظائف من خلال الحركات. ولاوضح هذا بمثال ، فلو قرانا على رجل عامى الاية الكريمة « انما يخشى الله من عباده العلماء » يفهم منها ان الله سبحانه وتعالى يخشى العلماء من عباده وليس العكس كما هو واضح لذى ثقافة لغوية من الفتحة على اسم الجلالة .

وذو الثقافة العادية فى اللغة لا يحتاج على الغالب لجميع الحركات الا لما يوجب الالتباس فقط . فلماذا اذن حشر الكلمة بكل الحركات واطالة الكتابة بما لا طائل تحته ؟ لا سيما وان وضع الحركات على وجهها الصحيح يحتاج الى ثقافة عالية فى اللغة وقد يخطىء حتى المتخصصون فيها ، ويكون هذا الخطأ سببا فى تعميم الخطأ . فعدم وجود الحركات كلها احفظ فى نظرى للغة وايسر للكتابة الا لما يوجب الالتباس . فمثلا لو كتبنا كلمة « كسرت » لوحدها فيمكن ان تقرأ بثمانية اشكال لكلها معانيها وهى :

كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت
كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت

فقد يكون وجودها فى الجملة يدل على المقصود من هذه الحالات الثمان ولكن ليس ذلك دوما . فلو كتبنا « كسرت القلم » فقد ينطبق على كلمة كسرت الحالات الاربع الاولى من الثمانية الواردة اعلاه .

اما لو كتبنا « كسرت المحبرة » فينطبق عليها الحالات الاربع الاولى والحالة الثامنة ايضا .

ففى مثل هذه الحالات يكون لوضع الحركات جدوى بل يصبح ضرورة . على انه فى الجملة التالية مثلا « صنع النجار المقعد من خشب الجوز » فلا تحتاج الى حركات تثقل الكتابة . وعلى هذا فان اعطاء الحركات اشكالا كالحروف يصبح ادخالها فى الكلمة الزاميا مما سيشوش الكتابة بالاخطاء الفادحة التى سترتكب الا اذا كان الكاتب على درجة عالية من الثقافة وكذلك القارىء . وفى مثل هذه الحالة ولمثل هؤلاء لن تبقى هنالك ضرورة للحركات الا فى مجالات ضيقة . فلنتصور انسانا ذا ثقافة متوسطة فى اللغة وقواعدها فهل سيسلم من حشو ما يكتب بعشرات الاخطاء فى الصحيفة الواحدة ؟ فان كان القارىء عالما سيتشوش فيما يقصد الكاتب وان كان ذا ثقافة ضعيفة فانه سيفهم المعنى المقصود بصرف النظر كليا عن الحركات وبخاصة اذا راعى الكاتب ترتيب الجمل بحسب سليقة اللغة العربية بأن جعل الفعل اولا والفاعل يسبق المفعول به .

لعلنى تمكنت من شرح وجهة نظرى فى هذا الموضوع ، وما اقصده اصبح واضحا وهو انه يجب عدم اثقال الكلام بالحركات والاكتفاء بالضرورى منها فقط لذلك فدمجها بين الحروف لا يحقق الغرض والافضل ان تبقى اشارات اضافية كما هى وان نركز اهتمامنا على تطويع الحرف العربى للمطابع الحديثة واختصار مئات السبائك بأقل عدد منها مع المحافظة على جمال الخط العربى وصرف النظر كليا عن موضوع اعطاء الحركات اشكال حروف .

خير الدين حقي
جامعة حلب
كلية الهندسة
الجمهورية
العربية السورية

نماذج مقترحة من الخطوط
للمصورات الهندسية والطباعة والآلة الطابعة

الشكل رقم (١)

يمثل هذا الشكل حروف الابجدية المقترحة لمكاتب المهندسين للكتابة على المخططات . وهي لا تحتاج لغير المسطرة والمدور . وهذه الحروف التي نعلمها لطلاب كلية الهندسة مأخوذة من الخط الكوفي الشطرنجي والخط الكوفي المشجر .

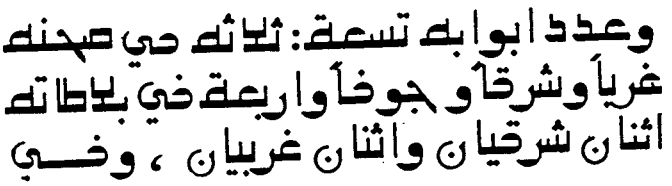

الشكل رقم (٢)

يمثل نموذجاً للكتابة بالحروف المبينة في الشكل السابق بمقاييسها ذاتها وضم بعضها لبعض .

وصورة الغلاف نموذج آخر لاستعمال الحروف المبينة في الشكل رقم (١) .

الشكل رقم (٣)

ان صفيحه من البلاستيك اذا جعل فيها خروق بحسب هذا الشكل يمكن ان تخدم لكتابة الحروف المبينة في الشكل رقم (١) على الطريقة ذاتها المستعملة في الحروف الاجنبية Normographe . وهـذه اللوحة تغني عن استعمال المدور وترسم الحروف بصورة اسرع وادق .

الشكل رقم (٤)

حروف مقترحة للطباعة تتميز عما جاء في الشكل رقم (١) بطريقة وصل بعضها ببعض وذلك بواسطة نبرة مدببة في بداية كل حرف . وميزة هذه الحروف هو امكان اختصار عدد السبائك في مطبعة كاملة الى ٤٤ حرفاً لا غير تنفع في اول الكلمة او في وسطها او آخرها او ان جاءت الحروف منفصلة ، بدلاً من مئآت السبائك كما هو الحال في المطابع الحالية . وبهذه الوسيلة يصبح رصف الحروف العربية أيسر بكثير من ذي قبل واسرع من رصف الحروف اللاتينية ، ويسهل ميكانيك آلات الطباعة الحديثة .

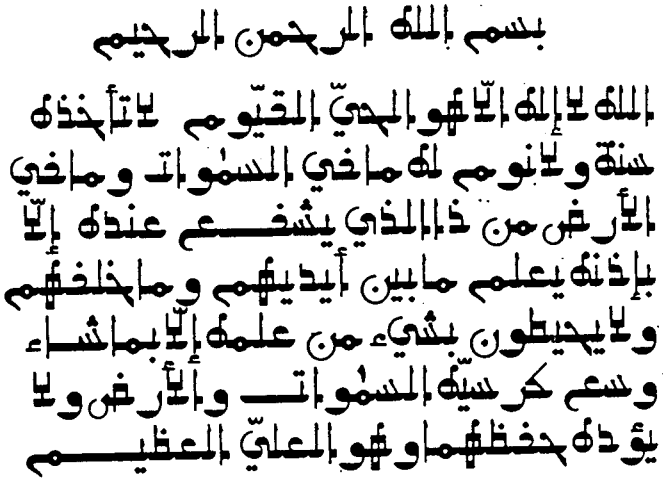

الشكل رقم (٥)

نموذج من الكتابة بالاحرف المقترحة للطباعة في الشكل (٤) كانما سبكت ورصفت.

الشكل رقم (٦)

صور مقترحة للحروف الضيقة لتأخـــذ عرضاً يساوي عرض بقية الحروف تماماً بغية تبسيط الآلة الكاتبة اليدوية ليكون للعربة حاملة الورقـة ازاحات متساوية لجميـــع الحروف فيسهل ميكانيكها ويرخص ثمنها .

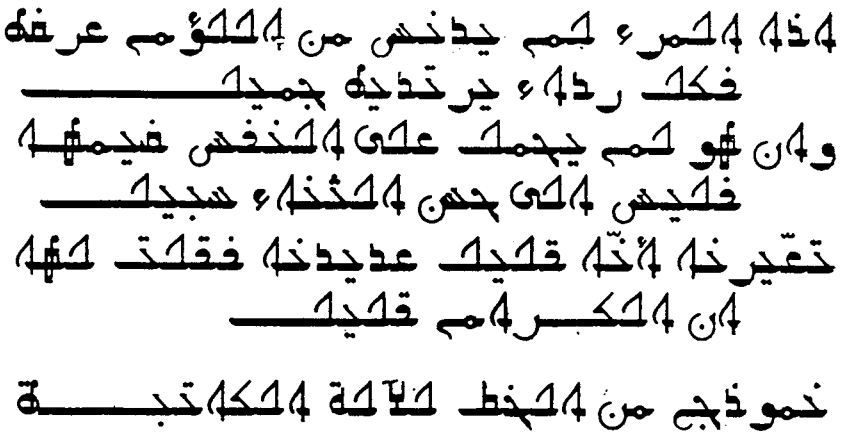

الشكل رقم (٧)

نموذج من الكتابة بهذه الحروف المعدلة والمبينة في الشكل (٦) كانما صنع آلة كاتبة بها. ولئن بدت النقفة في الألف واللام مستغربة، انما اقتضت الحاجة اليها ، وهي مأخوذة من الخط الديواني .

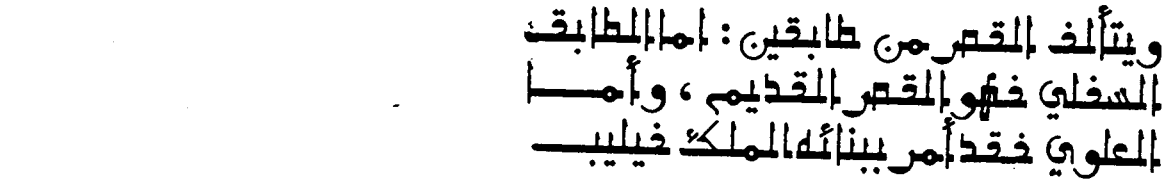

الشكل رقم (٨)

هو محاولة اخرى للطباعة بحروف دون نبرات . ويقارن هذا الشكل على الشكل رقم (٥) وله المزايا ذاتها .

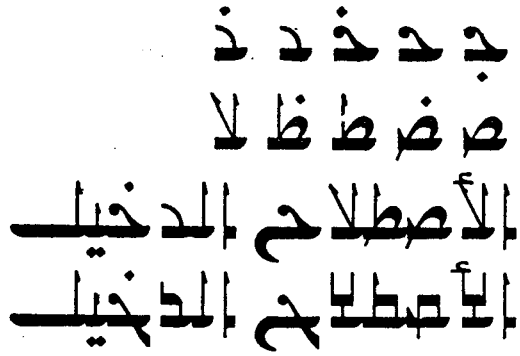

الشكل رقم (٩)

اقتراح بديل لبعض الحروف الواردة في الشكل (٤) بغية تقريب شكلها من شكل الحروف المألوفة في الكتابة مع نموذج لكتابة بهذه الحروف .

بحث في تطوير الكتابة العربية

للأستاذ جودت نورالدين

هذا البحث انما هو محاولة لحل مشكلة الكتابة العربية ، وهى ليست المحاولة الاولى ولن تكون الاخيرة

وهو ليس بحثا فى علم اللغة ولا فى فن الخط ، وان اتى على جوانب مهمة منهما لها علاقة بالكتابة والحرف، وللكتابة والحرف علاقة بها .

وفيما خص الحرف بالذات ، انى اتناوله من ناحيته العلمية ، اى مجردا من قدسيته الدينية وقيمته السحرية ، وبعيدا عن الخلفيات والواجهات السياسية ولا يعنى هذا فى اى حال انى لن اعرض لجوانب وظروف دينية وسياسية كعوامل فاعلة فيه .

القسم الاول : مشاكل الكتابة العربية

اولا ــ مشاكل الكتابة :

ــ لا ينكر الا مكابر ان للكتابة العربية مشكلة واحدة على الاقل هى صعوبة قراءتها ورسمها على وجه صحيح تام ، ومع ظهور الطباعة برزت مشكلة جديدة لها تعقدت مع تقدم هذا الفن ، وكان من نتائج هاتين المشكلتين ثالثة هى الضعف فى اللغة ، ويزيد البعض مشكلة رابعة : مساهمة الكتابة العربية فى ازمة الخلق الادبى .

1 ــ المشكلة التربوية :

قال قاسم امين وردد من بعده طه حسين ، ان المرء يقرأ اللغات الاوروبية ليفهمها بينما ينبغى له ان يفهم العربية ليقراها ، وان كل من تعلم او علم يواجه هذه الصعوبة : بالنسبة للطفل صعوبة فى تمييز الصور المتعددة للحرف الواحد (حسب موقعه من الكلمة) ، وكثرة الحروف المنقطة ، بالاضافة الى الحركات او العلامات الصوتية التى يبلغ عددها ثمانية على الاقل (مع الشدة والتنوين) ، اما فى غير المشكل فهى صعوبة بالنسبة للراشدين المتعلمين ونادرا ما تجد بينهم ــ وبين اساتذة الادب العربى ــ من يخرج اللفظ اخراجا صحيحا ــ حتى عند قراءته جريدة يومية ــ الا بمزيد من التأنى وارهاف الذاكرة واجهاد الاعصاب، حسب تعبير محمود تيمور (1) . اما المتمرن فانه «يعرض نفسه لحول عينيه اذ هو لا يقع بصره على الكلمة الا وهو يجيله فيما بعدها من الكلمات حتى يعرف معنى تلك الكلمة هل هى اسم او حرف او فعل ، وما وظيفتها فى الجملة وما تستحقه من البناء او حركات الاعراب» (2) ولهذا يعمد الكثيرون الى تسكين اواخر الكلمات كى يتفادى التحريك الخاطىء .

اما فى الكتابة فتواجه المتعلم ــ بالمعنى الحرفى ــ صعوبتان : اختلاف صورة الحرف الواحد بين مخطوط ومطبوع ، ثم صعوبة املائية ناتجة فى الدرجة الاولى عن طبيعة الهمزة ومنزلتها بين الحروف العربية ، والصعوبة الاولى قائمة فى اللغات الاخرى ، ولكن هذا لا ينفى انها صعوبة وينبغى تذليلها ، لا سيما واننا فى عصر متسارع ينبغى فسح الوقت فيه امام التفكير والانتاج وتخصيص اقل قدر منه لاتقان استعمال الوسائل .

اذن مشكلة الحرف التربوية مشكلة تهجئة وتحريك واملاء واقتصاد فى الوقت .

2 ــ مشكلــة الطبــاعــة :

ــ جاء فى مقال بتوقيع شعيب احمــد الدربــى ان عيون صندوق الحروف فى اول مطبعة عربية (مطبعة حلب التى اسسها الشماس عبد الله زاخر سنة 1706) كان عددها 222 ــ اما المطبعة الامريكية التى نقلت من مالطة الى بيروت فقد كان عدد العيون فيها بالحروف المشكولة 900 (ولنا ان نتصور العناء الذى يلاقيــه العامل الفنى فى تنضيد النصوص المحركة) وبعدهــا جرت محاولات عديدة لاختصار عدد اشكال الحروف فى اتجاهين اثنين : اولهما يحافظ على طبيعة الابجديــة العربية فى الاتصال والانفصال ومن رواده اللبنانــى الشيخ ابرهيم اليازجى بالنسبة لمطبعة التنضيد اليدوى (المونوتيب) ومن لاحقيه اللبنانى كامل مروه بالنسبة لمطبعة التنضيد السطرى الحديثــة (اللينــوتيب) . والاتجاه الآخر يفكك الكلمة كليا باستعمال صور الحروف المنفصلة ، واول من نادى به سفير ايران الاسبق فى لندن ناظم مالوكى خان 1882 ، وتبعه اسماعيل حقى الميلاسى فى اوائل القرن العشرين ، وروجت جريــدة « المقطم » القاهرية لــ « حرف اديب » سنة 1936 وغير هؤلاء (3) .

والمشكلة بالنسبة لمطبعة التنضيد اليدوى (القديمة) اننا اذا اردنا طبع نص مشكول مع تعدد صور الحرف الواحد لزمنا جهد كبير ووقــت طويــل ، لان عيــون الصندوق لن تقل عن 226 فى هذه الحالة . والمشكلة بالنسبة لمطبعة التنضيد السطرى السريعة ان مجساتها لا تعدو الــ 90 وعلى احسن تقدير الــ 96 ، واننا لا نستطيع وضع الحركة على الحرف لانه غير مجوف ولا يمكننا ذلك الا اذا اعتبرنا الحركة بمقام الحرف تسبقه او تتلوه مباشرة ، اما فى الآلة الكاتبة المستعملة حاليا ــ او الراقنة ــ فلا يمكننا كذلك طبع نص مشكول لان فيها 47 طارقة فى طرف كل منها شكلان فيكون المجموع 94 شكلا (فى الراقنة الفرنجية 44 طارقة) . وصنــع راقنة جديدة تتسع لها كلها غير عملى فنيا وماديا .

3 ــ المشكلــة اللغــويــة :

ــ شهر عن العربية انها بصعوبة الالمانية والروسية والفرنسية ، وبعضهم يقول بأنها اصعب منها ، لاسباب ترجع الى قواعدها فى الدرجة الاولى (وجود مجــرد ومزيد ، ومعلوم ومجهول ، وصحيح ومعتل ، ومعرب ومبنى ، ومصروف وممنــوع مــن الصرف ، ومقصور وممدود ، وتعدد الاوزان للثلاثى وتعدد المصادر للفعل الواحد . وتعدد المفاعيل ، وتعدد الجموع ، وتعــدد المفردات للاسم الواحد ...) وتجىء مشكلة الحــرف التربوية والطباعية لتزيد فى تعقيد العربيــة والتخــوف منها فيؤدى ذلك الى الصدوف عنها او تفضيل احدى اللغات الاجنبية عليها او الى التطــرف والدعــوه الى احلال العامية محلها ، اقتناعا او اصطناعا . ولا شك فى ان جزءا من حل مشكلة اللغة ــ وبالتالى تشجيع الاقبال عليها والعناية بها ودفع الاتهامات عنها ــ يكمن فى حــل مشكلــة الكتابــة .

4 ــ المشكلــة الادبيــة :

ــ يرى التونسى البشير بن سلامة (4) ان العربية فى الجاهلية كانت مكتملة كلغة (ضبط فى الاعراب وتوازن فى النبرة الموسيقية) وبدائية ككتابة (خالية من الاعجام والتحريك ردئية التصوير لانها رموز) ، وما زال هذا النقص ــ ولو جزئيا ــ الى ايامنا . ويرد بدائيتها الى نزعة السماع والرواية التى سادت ما قبل نزول القرآن وحتى ما بعد نزوله ، على الرغم من اعتباره « حــدثا لغويا » ــ على حد تعبير المستشرق الفرنسى بلاشير Blachere ــ من حيث كونه لا شعرا ولا نثرا ومن حيث دعوته الى القراءة والكتابة فى العديد من الآيات.

وان القراءة الكاملة المعتمدة على الكتابة الكاملــة تحرر الانسان من « سلطان الذاكرة » الآسر الرتيب او « الذاكره المنشدة » (والتعبيران للكاتب الفرنسى الان Alain وتسند الافكار المنطقة نحو المجهــول والمغامرة الكبرى ، اى نحو الخلــق .

ويرى السيد بن سلامة ان التفاوت بين بناء الثقافة وبناء اللغة الموروث المنقوص ادى الى عزلة العربيــة واقتصارها منذ القدم على نخبة معينة . ويتقلص ادب الرواية والسماع الذى كان يعوض النص المشكــول وببقاء هذا على صورته اتسعت الشقة بين الفصحى والعامية وزادت الفصحى « برعاجية » فظهرت ككائن مصطنع بعيد عن الحياة الحق المتفتحــة على جميــع التيــارات .

ويتبنى الكاتب مقولة محمود تيمور بأن « المسألــة ليست فى القراءة الصحيحة وفى تجنب اللحن فقط بل هى تتعلق بتقدم العرب اذ خلو الحروف من الحركات يعد مظهرا من مظاهر التخلف » . ويتساءل هو بدوره عن « حظ اللغة العربية من التقدم الفكرى » فيقول : « هل سمعنا فى ايامنا هذه بعالم عربى قدم اختراعاته واكتشافاته باللغة العربية ؟ وهل سمعنا ان نظرية من النظريات الفلسفية اكتسحت عالمنا الحاضر وهى نابعة من فكر عربى وزاحمت الماركسية والوجودية وحتــى الماوية وغيرها من الفلسفات ، وهل سمعنا ان قصة او ديوانا من الشعر باللغة العربية صار بالنسبة لمثقفى العالم الشغل الشاغل ؟ (5) .

ومن وجهة اخرى ، نرى ان انصراف الناس فى ايامنا الى المسموع المرئى ينعكس انعكاسا سلبيا على المطبوع المقروء ، ولا سيما على الانتاج الادبى وتسويقه وهذه المشكلة قائمة بالنسبة للغات الاجنبية ايضا ، فكيف تكون الحال اذا كان هذا المطبوع صعب القراءة وفى بلاد عدد اميها يفوق عدد المتعلمين او يساويه على احسن تقدير ؟

ثانيا ــ حلول سابقة :

ــ لن اتوقف هنا ــ ولا فى الحل الجديد ــ عند المشكلتين الفرعيتين الثالثة والرابعة الا بمقدار : قبل كل شيء ــ وهذا هو الاهم ــ لاعتبار ان ما يعود فيهما للكتابة نتيجة تزول بزوال السبب ، ثم لان المقام ليس مقاما لبحث مشكلة الخلق الادبى من حيث الجوهر . ولنبدأ بالثانوى بالنسبة للبحث :

1 ــ ان تساؤل السيد بن سلامة عن حظ العربية من التقدم الفكرى واعتباره اللغة مسؤولة عن عدم تقديم عالم عربى اختراعاته واكتشافاته بها فيه عكس لبعض الحقائق ، فاللغة هى التى تجد فى التقدم الفكرى قاعده ترتكز عليها لان التقدم هو الذى يطور اللغة ايضا من حيث الكتابة والمفردات والتراكيب والاساليب والنفس . وكما يقول مواطنه التونسى الاديب محمود المسعدى فان الفكر النير يفرز بطبيعة الحال لغة مناسبة له . ان التخلف لا يتجزأ وكذلك التقدم . فمثلا لو لم يكن الاسلام ثورة اجتماعية جذرية فى جميع مناحى الحياة العربة (ولعله الثروة العربية الحقيقية الوحيدة حتى الآن) لما تمكن من فرز لغة جديدة ــ من حيث الاسلوب ــ ولا كتابة جديده ــ من حيث الشكل .

ان النقص فى الكتابة هو فعلا مظهر من مظاهر التخلف ولكن بمعنى انه نتيجة لا سبب . ولو كان العرب اقوياء اقتصاديا وعسكريا وسياسيا لازدهر انتاجهم الفكرى ولكانت لهم اختراعات عربية يعطونها اسماء عربية ، ولنشروا بل لفرضوا لغتهم بحكم كل ذلك وبحكم اضطرار الآخرين الى التعامل بها ــ شأنهم فى العصر العباسى مثلا ــ وكما كان الشأن بالنسبة للاسبانية ؛ وكما هو الآن بالنسبة للفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية ، وكما سيكون بالنسبة للصينية ، من يدرى!

ومن جهة اخرى ، من المستحيل ان يتعايش تخلف الكتابة مع تقدم الامة كما ان من النادر تعايش تقدم الكتابة مع تخلف الامة . وان مجرد استيراد اى مظهر من مظاهر التقدم ــ كاحدى الكتابات مثلا ــ لا يقدم امة متخلفة .

اما الدعوة الى العامية ، فهى من وجهة نظر ادبية خالصة مناهضة لحقائق الادب :

ا ــ سبب انتشار العامية هو عرقلة نمو الفصحى وانتشارها الناتج فى المقام الاول عن الامية ، وفى المقام الثانى عن عدم العناية بها ومزاحمة اللغة ــ واحيانا اللغات ــ الاجنبية لها فى كثير من البلدان العربية منذ المرحلة الابتدائية ، بل ومنذ مرحلة الروضة احيانا .

ب ــ اذا اخذنا بالعامية وجب علينا ان نضع القواعد لها كما توضع لاى لغة يراد لها ان تبقى بعيدة عن الفوضى ، وتعلم القواعد الجديدة قد يبلغ درجة الاستحالة بسبب وجود العديد من العاميات حتى داخل البلد الصغير الواحد . اما تسهيل قواعد اللغة الحالية فهو ايسر نظريا وممكن عمليا ، واعمال مجمع اللغة العربية فى القاهرة معروفة فى هذا الحقل (6) ، « واحرفية » اللبنانى يوسف السودا مثل تطبيقى قابل للتحسين (7) .

ج ــ من اهداف الفن الصحيح السمو بالذوق العام. والفن العامى نفسه ــ كالزجل فى لبنان مثلا ــ يلتزم بموازين موسيقية تقربه من الفصيح ، وتتقرب مفرداته ولغته من الفصحى كلما عمقت معانيه وغنيت صوره .

والشاعر اللبنانى سعيد عقل ــ احد دعاة العامية ــ يعلم جيدا انه لم يخلد من شعراء العامية فى فرنسا كلها وعلى مدى قرون الا واحد هو شاعر الاقاليم فريدريك ميسترال ؛ بل ان شاعرنا نفسه اذا كان الامر جدا لا ينظم الا بالفصيح واى فصيح . ومن يقرأ مطولاته الرائعة او قصيدته « الجاهلية » فى نهرو يخرج بهذا الانطباع والاقتناع ، حتى انه فى كتابه الغزلى النثرى الاخير « كتاب الورد » يتغزل متوحدا مع فصحاه ، لا مع محبوبه ، كما قال احد النقد .

د ــ اتجاه الادب هو نحو الانتشار والشمول الانسانى لا نحو التقوقع والتحجر على الذات . وان الكتابة بلغة يقرأها عشرات الملايين انجح للادب رسالة وسوقا وحافزا فى الحوافز على الابداع ــ من كتابته بلهجة يحكى بها بضعة ملايين فى بضعة بلدان (وهذا ، بالاضافة الى مناخ الحرية ؛ ما يفسر ازدهار النشر والطباعة فى لبنان ، لا غير ذلك) .

هـ ــ ان القول بازدواجية لغة الحياة ولغة الكتابة ثم اعتبار الفصحى بمقام اللاتينية المتحفية فيه تضييق على المعنى . فقد سبق ان قلنا بأن العامية ظاهرة تخلف لانها تعكس واقع الامية الناتج عن التخلف العام . ولا اظن احدا يوافق على ان التخلف هو الحياة الصحيحة. ومن جهة اخرى لا يصح تشبيه العربية باللاتينية المنقرضة لان للعربية شعوبا تتكلم بها وتكتب وتقيم شعائرها الدينية اليومية ، بينما حلت محل اللاتينية لغات مختلفة ولم تعد تلك مستعملة الا لاقامة بعض الشعائر الدينية وفى نطاق محدود .

و — ان تيسير الفصحى وتطويرها كلغة مستطاع لمن يريد . ولنا فى لغة مارون عبود وكمال يوسف الحاج ومحمود المسعدى الجريئة الحية امثلة على ذلك . واما تسهيل كتابتها وقراءتها دون الخروج على عبقريتها واصولها — ولكل لغة عبقرية واصول — فأمل ان تساهم محاولتى هذه الى جانب المحاولات السابقة — ان فعلا اورد فعل — فى اكمال القاموس لا فى نقضه .

بقيت اذن المشكلة الرئيسية :

2 — صورة الحرف وقراءته :

ا — فى 6 — 2 — 1941 اصدر وزير المعارف المصرى الدكتور محمد حسين هيكل قرارا عهد بموجبه الى مجمع فؤاد الاول للغة العربية « بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية » وذلك بناء على اقتراح من عبد العزيز فهمى فى جلسة سابقة للمجمع « بوضع طريقة لرسم الكتابة العربية تقى القارىء اللحن والخطا » (8) . ثم قدم عبد العزيز فهمى نفسه اقتراحا عمليا **باعتماد الحروف اللاتينية** مع الابقاء على عشرة من الحروف العربية الحالية (انظر البيان رقم 1) ، كما قدم على الجارم اقتراحا آخر يدعو الى ان تكمل حروف الكلمة بزوائد فى صلبها تدل على الحركة « بحيث يؤدى كل حرف صورته الصوتية صادقة » (انظر البيان رقم 2) (9)

وابرز الدعاة الى الحروف اللاتينية فى ايامنا هو الشاعر اللبنانى سعيد عقل نفسه . وهو يدعو فى نفس الوقت الى اعتماد اللهجة المحكية كـ « لغة قومية » وتعلم « لغة حضارية » او لغتين من اللغات الحية (الفرنسية ، الانكليزية ، الالمانية ..) وابقاء « لغة الجيران » للجيران ، وسمى كل ذلك « ثورة اللغة والحرف » (10) . ويبلغ عدد حروفه 36 بما فيها الاحرف الصائتة او الحركات . وطريقته — كطريقة فهمى تدعو الى حرف موحد الشكل والى كتابة الصوتيات فى صلب الكلمة كما هو الحال فى العديد من اللغات الاجنبية .. واول ما طبع بها كتاب له بعنوان « يارا » فى مطلع الستينات .

ب — سبق ان ذكرنا ان اول من دعا الى **استعمال الحروف العربية المنفصلة** هو ناظم ما كوم خان سفير ايران الاسبق فى لندن سنة 1882 اذ « قام بعمل احرف طباعية منفصلة وطبع عليها بعض الكتب بالعربية ومنها اقوال الامام على ، وبالفارسية كتاب « كلستان » . ودعا الى هذا الاتجاه اصحاب مجلة « المقتطف » ويوسف قسطين مدير جريدة « الاهرام » الاسبق ويوسف صقير وغيرهم (11) .

ومنذ بضع سنوات وضع المهندس اللبنانى نصرى خطار صورا موحدة لاحرف عربية منفصلة سبكت للاستعمال التجارى وللعناوين على امل الاخذ بها فى الطباعة العادية ، واشكال بعضها تشبه اشكال بعض الاحرف العبرية (12) .

وظهرت فى جريدة « النهار » البيروتية مقالة بقلم عطا الله ذبانة يؤكد فيها انه « ابتكر ابجدية جديدة وسهلة لاصلاح الحروف العربية وتنوير الرسم العربى — انطلاقا من روح عصرنا الثورى واستلهاما لآخر المحاولات وارقاها فى العالم كله » (13) والابجدية الجديدة تقوم على حروف منفصلة متساوية الارتفاع بعض هياكلها مستمد من صور الحروف الحالية وبعض صورها تذكر بصور الابجدية الارمنية. ومن خصائصها الغاء التنقيط منها جميعها والغاء الشدة واعتبار الهمزة حرفا قائما بذاته « واكتشاف حروف صوتية عربية تنوب عن الضمة والفتحة والكسرة وتدخل فى صلب بناء الكلمة » ، واخيرا ادخل ثلاثة احرف لاتينية اساسية (G, P, V) بقصد استعمالها عربيا عند كتابة اسماء ومصطلحات معربة وذلك لعدم توافر حروف عربية بمثل مخارجها » (14) .

واطلعت مؤخرا على اقتراحين لمغربيين هما مصطفى النعمان ويحيى بلعباس فى مجلة « اللسان العربى » يكرر اولهما اقتراح على الجارم ويكرر ثانيهما اقتراح نصرى خطار (15) .

هذا مع الاشارة الى ان اقتراح خطار نفسه (وكذلك اقتراح ذبانة) يعيد الى الذهن اقتراح محمود تيمور الذى قدمه للمجمع اللغوى بالقاهرة وطبع سنة 1951 بعنوان « ضبط الكتابة العربية » ، وهو يرى « ان نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة .. الصورة التى لا تقبل الاتصال من بدء الكلمات » باستثناء بعض الاحرف (الالف ، الدال ، الواو ، التاء المربوطة ..) مع وضع الضوابط على الحروف : « حروف مألوفة وضوابط معروفة » (16) .

ج — قدم المغربى احمد الاخضر غزال الى مجمع اللغة العربية فى القاهرة مشروعا يقضى **باختصار اشكال الحروف الحالية** الى « تسعين شكلا بما فى ذلك حروف الضبط والشكل وعلاماته والارقام والوقف » وبوضع الحركة بعد الحرف مباشرة . وتبنت الحكومة المغربية هذه الطريقة سنة 1956 ورحب بها المؤتمر الاول للجان العربية الوطنية للاونيسكو سنة 1958 واوصى المؤتمر العربى الاول للتعريب سنة 1961 بالانتفاع بها . كما ان هذه « الطريقة المعيارية » اعجبت الاب كورون مدير المطبعة اليسوعية سابقا فى بيروت ومدير دار المنشورات العربية حاليا فى باريس وليون بفرنسا ، لان الحركات المستقلة تمكن من اختصار امهات الحروف وتقلل كثيرا من عدد الحروف المطبعية التى يزيد عدد صناديقها حاليا عن 250 صندوقا . واننا

نجد الحركات موضوعة بعد الحروف مباشرة فى كثير من الكتب المطبوعة فى لبنان منذ اوائل الخمسينات ومنها « لسان العرب » (17) .

واختصر اللبنانى كامل مروة اشكال الحروف المطبعية من 104 الى 56 فقط فاصبح من الممكن استعمالها فى المطبعة الحديثة التى تتسع لـ 90 قناة . وقد وازنت طريقته بين مقتضيات الاقتصاد والمحافظة على الشكل المعتاد للحرف العربى .

واستوحى التونسى البشير بن سلامة طريقة احمد الاخضر المعيارية فى وضع طريقة سماها « الكتابة النموذجية » ، ولاحظ ان « الحركة اذا كانت مصحوبة برابط (بين الاحرف) يكون مدروسا شكله بحيث يمكن ان يربط بين جميع الحروف من دون ان يخل بجمال الخط امكن لنا استنباط حروف يضبط الخطاط نوعيتها ويختصر العدد الكبير منها . وقد توصلنا الى ذلك فاصبح عدد الحروف 58 حرفا بعد ان كان يزيد عن المائة . واذا اضفنا الحركات مع الروابط وادوات الوقف والشدة والتعريفة تحصلنا على آلة ذات 91 حرفا » (18) . ويلاحظ صاحب هذه الطريقة ان حروفه الـ 58 تظهر (وهى مستقلة) « مبتورة لان جزءا منها سواء كان الايسر او الايمن او الاثنين معا موجود فى الرابط الذى يحمل الحركة ، ولكنها كلما اقترنت به اصبحت كاملة لا يميزها عن الكتابة العادية شىء ـ وانه بالنسبة للحروف الهجائية النهائية تظهر الحركة بدون رابط وتفصل هكذا عما بعدها » (19) فلا تختلط الكلمات فى السطر الواحد (البنان رقم 3)

د ـ بقيت محاولة اخرى ، « تلك التى حددها وروج لها الدكتور اديب ابو غزالة ودعاها « الكيان المجرد للحرف العربى » . وهى فكرة تدعو لحذف الكاسمات والذيول والتطاريق من الاحرف العربية لتكون ذات شكل واحد موحد اينما وقعت من الكلمة على ان تبقى متصلة » (20) . وبكل اسف لم يتوصل الى علمى تفاصيل عنها غير هذه ، ولا ادرى اذا كانت تدعو الى الغاء التنقيط ووجوب التحريك .

3 ـ الاملاء العربى :

اقر بادىء ذى بدء بأن ليس للحرف العربى مشكلة املائية صعبة جدا . فالعربية ـ بخلاف الفرنسية او الانكليزية مثلا ـ لغة صوتية تكتب اجمالا كما تلفظ. وليس من صعوبة حقيقية فى املائها الا الهمزه ، ويليها الالف ، فهذه تلفظ احيانا دون ان تكتب (مثل هذا ولكن واولئك) او تكتب دون ان تلفظ (كواو الجماعة) كما تكون تارة ممدودة وطورا مقصورة . وقد جرت عدة محاولات لتسهيل الاملاء العربى اذكر بعضها .

ـ فى مصر دعا على الجارم الى **تسهيل كتابة الهمزة** باتباع قواعد اربع اهمها الثانية وهى تقضى بأن « تكتب الهمزه المتحركة فى وسط الكلمة وفى طرفها على حرف مناسب لحركتها وبذلك يستغنى عن الحركة هكذا : سأل ، سئل ، ضؤل ، النبؤ ، فى جزئى الكتاب .. (21)

وفى لبنان دعا الشاعر جوزف نجيم الى تسهيل كتابة الهمزة فتكون اطلاقا فى اول الكلمة على الالف (اخذ) وفى وسطها على ياء مهملة (سئل) وفى آخرها مستقلة (جاء) ، وذلك بصرف النظر عن حركتها او حركة ما قبلها .

ـ وبشأن **كتابة الالف** سبق لنادى دار العلوم بمصر فى منتصف الثلاثينات (وكان وقتها سعد زغلول وزيرا للمعارف) ان ناقش « رسم الالف المتطرفة الفا ممدودة سواء اكانت واوية ام يائية» (22) وجدد العراقى منير القاضى الاقتراح وقدمه الى المجمع العلمى العراقى ببغداد فنشرة المجمع فى كراس مستقل (23) . ومؤخرا بعث اللبنانى احمد اللواسانى نفس المشروع على صفحات ملحق جريدة « النهار » البيروتية .

ـ واقتراحات **الكتابة الصوتية** ليست جديدة . ومعروف ان طه حسين دعا اليها وانه كان الى سنة 1960 يوقع مقالاته فى جريدة « الجمهورية » القاهرة باسمه كما يلفظ .

القسم الثانى : الطريقة الطبيعية

اولا ـ فى الاملاء :

1 ـ يبدو اقتراح **كتابة الالف** المتطرفة الفا ممدودة على الاطلاق معقولا ووجيها لان اختلاف صورتى الالف مع وجود صوت واحد لهما لا مبرر له فى الواقع الا الدلالة على مصدر واوى او يائى وعلى ما ينجز عنه فى التصريف مثلا بالنسبة للافعال (ما ينتهى ماضيه بألف ممدودة ينتهى مضارعه بواو مثل دعوا ـ يدعو، وما ينتهى ماضيه بألف مقصورة ينتهى مضارعه بياء مثل رمى ـ يرمى) . وفى الالف المقصورة دلالة على التأنيث فى كثير من الكلمات (كبرى ، سلوى ..) ولكن النحاة انقسموا فى هذا الشأن ، وذهب فريق منهم الى ان ما كان اصله ياء اجازوا كتابته الفا ممدودة وما كان اصله واوا لا يجوز كتابته الفا مقصورة (24) . وذكر على الجارم انه جاء فى كتاب الشيخ نصر الهورينى ما معناه « ان جماعة من النحاة جروا على كتابة الباب كله بالالف (الممدودة) حملا للخط على اللفظ كما فى الشافية ووجهه شيخ الاسلام بأنه القياس ، وقال البطليوسى فى شرح ادب الكاتب : ان ابا على الفارسى اختار هذا الراى » (25) . وهكذا فالافضل والاسهل

ان تكتب الفا ممدودة كل الف مقصوره فى حرف او اسم او فعل فى اعراب او بناء .

اما الكلمات التى تلفظ فيها الالف ولا تكتب كاسم الاشارة المسبوق بهاء التنبيه (هذا ، هـذان ..) او لكن والرحمن .. فينبغى ان تكتب — على قلتها — كما تلفظ ما دامت كتابتها بهذا الشكل لا تمس جوهر اللغة ، بعكس الالف فى واو الجماعة اذ يجب اثباتها كى لا يختلط المفرد بالجمع على الاقل (ويمكن ان يحافظ على صورة اسم الجلالة « الله » كما هى ، دون ان يكون فى هذا الاستثناء الوحيد خروج يذكر على الواعد التى وضعناها) .

ويذكر الشيخ احمد رضا العاملى فى معرض تفسيره لاقدم نص عربى وصل الينا — وهو نقش النمارة كما سيأتى ذكره — ان نزع الالف من الكتابة يرجع الى تأثير الخط النبطى على الخط العربى « اذ ليس فى الاول لحرف اللين ولا للهمزة صوره » (26) .

وما دام الشكل واجبا على الحروف — كما نقترح — فان الاسماء الموصولة تكتب هى ايضا كما تلفظ (الذى ، اللذين ..) ، وقس على ذلك ،

2 — اما بشأن **كتابة الهمزة** فأرى ان على الجارم خطا خطوه بسيطة على طريق الحل بدليل انه اضطر الى وضع اربع قواعد على الاقل لضبطها ، وان جوزف نجيم قام بخطوة عملية فقط عند ما اقترح الاقتصار على صور ثلاث لها حسب موقعها فى الكلمة لانه انطلق من الموجود على علاته واستخرج قاعدة على مبدأ الشيوع والاغلبية دون الذهاب الى ابعد من ذلك . وارى أن الحل ينبغى ان يكون جذريا وكاملا من حيث منزلة الهمزة فى الهجاء العربى ووظيفة احرف العلة الثلاثة التى تجلس عليها سعيدة فى اكثر الاحيان .

« يقول لسان العرب » كبير امهات المراجع المتأخرة التى وعت ما قبلها ما يلى : « قال الازهرى : اعلم ان الهمزة لا هجاء لها انما تكتب مرة الفا ومرة ياء ومرة واوا ، والالف اللينة لا حرف لها ، انما هى جزء من مدة بعد فتحة . والحروف ثمانية وعشرون حرفا مع الواو والالف والياء ، وتتم بالهمزة تسعة وعشرين حرفا . والهمزة كالحرف الصحيح غير ان لها حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق تعتل ، فألحقت بالاحرف المعتلة الجوف وليست من الجوف ، انما هى حلقية فى اقصى الفم » (27) .

ويقول « معجم متن اللغة » : « ان الالف والهمزة ليسا حرفين تامين بل يعدان حرفا واحدا ، لان الحرف التام يتعين له صورة فى النطق وفى الكتابة معا . ولكن الهمزة ذات صورة فى النطق دون الكتابة والالف ذات صورة فى الكتابة دون النطق . لكنهم لم يتحرجوا من اطلاق اسم الالف على الهمزة فى كثير من الموارد ،،، والظاهر فى ترتيب سيبويه لحروف الهجاء ان الالف اول حروف الحلق ، وعلى ذلك جلة الائمة . لكن الخليل بن احمد فى « العين » وابن سيدة فى « المحكم » عدها بين حروف الجوف التى لا تندرج فى مدارج الحروف بل تخرج من الجوف . واراد سيبويه بها الالف المتحركة واراد بها الخليل الالف اللينة . ولم يهمل سيبويه الالف اللينة فعد الحروف معها تسعة وعشرين حرفا » (28) .

ومن جهة اخرى ، يقول « لسان العرب » : « قال (ابو العباس) واختلف العلماء بأى صوره تكتب الهمزة ، فقالت طائفة : نكتبها بحركة ما قبلها وهم الجماعة ، وقال اصحاب القياس : نكتبها بحركة نفسها ، واحتجت الجماعة بأن الخط ينوب عن اللسان قال وانما يلزمنا ان نترجم بالخط ما نطق به اللسان . قال ابو العباس وهذا هو الكلام » (29) .

وعند اجتماع الهمزتين بمعنيين نجد من يحقق الاثنتين كعاصم والكسائى ، ومن يحقق الاولى ويخفف الثانية كالخليل ومن يخفف الاولى ويحقق الثانية كأبى عمرو بن العلاء . ومنهم من يخفف الاثنتين كأهل الحجاز ،،، » (30)

وفى « اللسان » نجد ان الهمز على ثلاثة انواع ،، التحقيق (وهو اعطاء الهمزة حقها من الاشباع فى اللفظ) والتخفيف (قليل من الاشباع والاعراب) والتحويل (الى ياء مثل خبأت — خبيت او الى واو مثل رفأت — رفوت) ، « وتميم اصحاب النبر واهل الحجاز اذا اضطروا نبروا (31) .

من هذه النصوص يبرز اختلاف علماء اللغة فى ثلاثة امور : فى منزلة الهمزة وفى املائها وفى اخراجها .

ووضع الامر فى نصابه يقتضينا اعتبار الهمزة حرفا مستقلا قائما بذاته لعدة اسباب :

— لان لها صوتا مستقلا مميزا (ء) ، واذا كان لصوت اساسى صورة فى النطق دون الكتابة فينبغى ايجاد صورة مكتوبة مستقلة لهذا الصوت .

— لانه فى حالة تعادل الآراء ترجع القاعدة الاكثر بساطة .

— لان علاقة الهمزة بالالف من حيث اللفظ كعلاقة بعض الاحرف الاخرى فيما بينها (التاء والطاء ، السين والصاد ، السين والزاى ، والقاف والكاف ،،،)

يقول ابن جنى مخالفا راى ابى العباس ثعلب : « ان جميع هذه الحروف انما وجب اثباتها واعتدادها لما كانت موجودة فى اللفظ الذى هو قبل الخط . والهمزة ايضا موجـوده فى اللفظ « كالهـاء » و « القـاف » وغيرهما ، فسبيلها ان تعتد حـرفا كغيرهـا . فأمـا انقلابها فى بعض احوالها لعارض يعرض عليها مـن تخفيف او بدل فلا يخرجها من كونها حرفا . وانقلابها اول دليل على كونها حرفا . الا ترى ان « الـواو » والياء ، والتاء ، والهاء ، والنون ، وغيرهن قد يقلبن فى بعض الاحوال ولا يخرجهن ذلك مـن ان يعتددن حـروفا ؟ » (32) .

لننظر بعد هذا فى املائها ولنورد مجموعات الامثلة التالية : جرؤ ، تجرأ ، يجترىء ـ تأمل ، يؤمل ـ سأل ، سئل ، مسؤول ـ أخذ ، اُخذ ـ امر ، اُمر.

بفضل من التأمل نستنتج ان ما دعا الى كتابـة الهمزة على كرسى . فى المجموعات الثلاث الاوليات هو تسهيل قراءتها او قراءة احرف غيرها بالضم او الفتح او الكسر . وبعبارة اخرى ان كراسيها الثلاثة هى مجرد حركات مكتوبة فى صلب الكلمـة . ولـو وضعنا الحركات العادية على الاحرف فى كل كلمـة واستغنينا عن الكراسى لما تغير اللفظ اطلاقا . ان الواو تلفظ مخففة كضمـة واليـاء ككسره والالـف كفتحة (اليست الالف « جزءا من مدة بعد فتحة » ؟) ولنا دليل آخر هو انه عند ما تكون اصليـة فى اول الكلمة كما فى المجموعتين الاخيرتين تبقى على صورتها برغم تغير حركتها ، اما عند ما يشبع لفظ ما قبلها من احرف العلة فانها تكتب مستقلة (مجزؤ ، مقرؤ ، اسماء ، مسيء ..) ، وفى هذه الحالـة الاخيرة لا تكتب على كرسى الا لمجرد التحريك عند الاضافـة (اسماؤهم ، من مجزوئـه .....) ..... وكـل هـذه التعقيدات لان الهمزة مهضومة الحقوق لا تعامل كحرف كامل ، بينما صوتها ليس اخفت الاصوات فى الابجدية العربية ، وهذه تتم بها فعلا تسعة وعشرين حرفا كما يقول « اللسان » (33) .

لذلك ارى بالنسبة للهمزة ما يلى :

ـ معاملتها معاملة الحروف الاخرى .

ـ وضع الحركة عليها كما توضع على الحـروف الاخـرى ،

ـ كتابتها على صورة واحدة اينمـا وقعت مـن الكلمـة .

ـ اختيار شكل لها قابل للاتصال والانفصال قدر الامكان . والشكل الانسب هو صورتها الموحدة مـع الالف «ا» « وكان فى الامكان اختيار شكل آخر لها مثل «ء» الهمزة الفارسية المألوفة مع زيادة سـن عليها للسماح بوصلها من الجهتين لولا الحرص على قواعد اللغة والبيان بوجود همزة قطع وهمزة وصل.

ثانيا ـ صورة الحرف العربى :

تتميز الكتابة العربية اولا باتصال معظم الحروف فى الكلمة الواحدة وثانيا بأن ضبط لفظها يتم بحركات صوتية توضع فوق الحروف او تحتها وثالثا باتجاهها من اليمين الى اليسار .

هذه الخصائص الثلاث هى الاساسية فى نظرى ، اما الميزات الاخرى كالاعجام (التنقيط) وتعـدد صور الحرف الواحد حسب موقعه مـن الكلمـة ، وغيره ، فهى فروع :

1 ـ **لدعاة الحرف اللاتينى :** فضل فى وضع الاصبع على بعض ادواء الكتابة العربية وفى طليعـة هـذه اهمال اثبات الصوتيات فى الكلمة ثم تعدد اشكـال الحرف الواحد وكثرة الحروف المنقطة حتى ان الكتابة المنقوطة والمشكولة تبدو كغابة يتعب فيها النظر ولا سيما اذا كان النص مخطوطا .

واما « الامراض » الاخرى التى اشار اليها هؤلاء الدعاة فلا وجود حقيقيا لهـا :

ا ـ **اختلاف الحجم** بين الاحرف العربية لا يقتصر على العربية بل هو قائم فى الحروف اللاتينية ولا سيما فى الشكل العادى (قارن بين g-h, i-w, m, n ...)

ب ـ عدم استعمال **حرف التاج** فى العربية (وهو قائم فى اللغات الاوربية ويدل على بداية الكـلام او اسماء الاعلام) يمكن تعويضه ـ اذا كان لا بد من ذلك ـ اما بكتابة اول كلمة بحروف بارزة كما هو الحال الآن واما بكتابة اول حرف من الكلمة بشكـل بارز او اكبر من الاحرف الاخرى .

ج ـ ان **استعمال احرف لاتينية** ليس لخارجها مقابل فى العربيـة عند كتابـة اسماء ومصطلحات معربـة يقودنا الى زيادة كبيره فى عدد هذه الاحرف لان فى كل لغة من اللغات الحية اصوات لا مقابل لها فى العربية، ففى الفرنسية وحدها اكثر من عشرة اصوات (هى عدا اللفظ الخاص لبعض المقاطـع . فكيف بنـا اذا اضفنا الاصوات الاخرى فى الانكليزية والاسبـانيـة والالمانية والروسية وغيرها ؟ ام ان علينا ان نكتفـى باسماء الاعلام من جميع الجنسيات مكتوبـة بلغـة اجنبية واحدة ، اى مترجمة ؟ لماذا لا نترجم اذن الى لغتنـا مبـاشرة ؟

د — ان استعمال الحرف اللاتينى امر ليس سهلا من ناحية نفسية حظرية ، ذلك ان اللغة الام — اى لغة ام — هى بمعطياتها الاساسية فيض من ذات الامة وجزء من شخصيتها ، وليست كاللغة الاجنبية بالنسبة لها : مجرد اداة للتخاطب ونقل الافكار والثقافة . اللغة الام هى الجلد من الجسد وليست الثوب منه .

هـ — بقى سؤال هام : ما هو مصير تراث ضخم يمتد على مدى الف عام مكتوب بالحرف العربى ؟ هل انه كله غير ذى قيمة وينبغى اهماله ؟ ام ان علينا ان نختار الجيد الصالح منه ونعيد طباعته بالحرف اللاتينى ، وفى هذه الحال نسأل : بأى معيار وبأى ذوق نفعل ما نفعل ، مع العلم بأن للاجيال القادمة حقها هى ايضا فى الاختيار والانتقاء وقد ترى غير راينا كما قد تجد فى التراث ينابيع لقيمها الخاصة بها وموارد ؟

يتوجب اذن طباعة التراث كله بالحرف اللاتينى ، وهذا عمليا مستحيل وخيالى النفقات .

2 — ان استعمال **الاحرف المنفصلة كليا ، لاتينية كانت ام عربية** ، لا يتماشى مع وجه الكتابة العربية وروحها . ولو افترضنا افتراضا ان الاخذ به ممكن لاعترضتنا صعوبات كثيره ابرزها البطء فى الكتابة وامكان اختلاط حروف الكلمات وصعوبة التشكيل ..

3 — ان اقتراح احمد الاخضر **اختصار اشكال الحروف ووضع الحركة مباشرة بعد الحرف** اقتراح عملى ملائم . ولا يغير الكلمة العربية ان تطول قليلا بالحركات لان الكتابة الحالية ليست « مختزلة من تلقاء نفسها » كما يقول محمود تيمور ، واختزاليتها ليست من المثالية بالقدر الذى يصوره خطاط لبنان كامل البابا (34) ، لان هذه الاختزالية قائمة على حساب القراءة واللفظ الصحيح . وان مد الكلمة بالحركة عود بها الى حجمها الطبيعى المناسب للفظها

ولكن عيبى هذا الاقتراح الاساسيين انه لم يتخلص من الاعجام ولم يوحد شكل الحرف .

وادى كامل مروة خدمة جليلة للطباعة العربية باختصاره اشكال الحروف الحالية ، الا انه لم يمكن الى الغاية فيوحد اشكال الحرف ويلغى التنقيط ويثبت الحركات . وعذره فى ذلك ان هاجسه كان اقتصاديا فقط .

واما البشير بن سلامة فبوصوله فقط الى 58 شكلا للحروف الابجدية اضطر الى اهمال عدد من العلامات كى يبقى فى نطاق استيعاب المطبعة الحديثة: علامات العمليات الحسابية ، مدة الالف ، علامة الاستفهام ، القاطعة ... ثم انه كأحمد الاخضر — وهنا الاهم — لم يوحد شكل الحرف ولم يتخلص من الاعجام وبقيت صورة الكتابة هكذا مثقلة .

ما الحل اذن ؟

ثالثا — الطريقة الطبيعية :

تعتبر الاغلبية ان الخط العربى انبثق من الخط النبطى . وان نقش النمارة الذى اكتشفه العالم الفرنسى ديسو والذى يرجع الى سنة 328 ب م ، ونقش حران بحوران وكتابة ام الجمال تظهر العلاقة الحميمة بين الكتابة النبطية والكتابة العربية التى حلت محلها (راجع البيانات 4 و 5 و 6) . كما ان تفحص النقوش الاثرية التى وصلت الينا تدل على ان الكتابة النبطية تاثرت كثيرا بالكتابة الارامية وانها حملت تضاعيف من الكتابات الحميرية والسبأية والسريانية والنسطورية والعبرانية قبل ان تفرز فى النهاية الخط العربى القديم : الكوفى المكى والكوفى الحيرى وغيرهما (35) .

والخط الكوفى خط هندسى بمربعاته وزواياه وخطوطه المستقيمة الخالية من التنقيط (انظر البيانين 7 و 8) . وبحكم التوسع ومتطلبات الادارة والتجارة تخلص على يد « قطبة المحرر » فى العصر الاموى من زواياه الدقيقة (انظر البيان رقم 8 — 2) . وجاء ابن مقلة فى اواخر القرن الثالث الهجرى (اوائل القرن العاشر الميلادى) فأكمل ما بداه قطبة وطور الكوفى الى النسخى المدور غير المزوى ووضع مبادىء الخط : اعتماد الهندسة فى رسم الحروف (استعمال الدوائر كاطار) وتحديد التناسب بينها (ولا سيما بجعل الالف وحدة للخط) .

اما ضبط الكتابة وبالتالى اللغة فقد بدا منذ بدء اللحن بدخول شعوب غير عربية فى الاسلام . ومعروف ان ابا الاسود الدؤلى هو الذى وضع اصول النحو عن على ابن ابى طالب بدعم من زياد بن سمية امير البصرة ليعرف به العرب كلامهم — على حد تعبير ابى الاسود — وللحفاظ على القرآن بطبيعة الحال. وابو الاسود هو اول من **وضع الحركات على الاحرف بشكل نقط** : النقطة فوق الحرف فتحة ، وتحته كسرة وفوقه مع تأخرها عنه قليلا ضمة (انظر البيانين رقم 8 — 1 و 9 — 1) . وصارت بعد ذلك على التوالى: نقطة مدوره ونقطة نصف مدورة ونقطة كالمعين (الشكل الهندسى) . واعتقادى انه لم يكن يتيسر لابى الاسود وضع حركاته بتلك الاشكال لو كانت الحروف معجمة ، وان هذه الصعوبة نفسها هى التى دفعت الخليل بن احمد واضع النقط على الحروف

للتمييز بين اشكالها الى تطوير اشكال الحركات كى لا تختلط بنقط الحروف فصارت الحركات كما نعرفها الآن (راجع البيان رقم 9 — 2) .

هذه العودة الى الينابيع ، مضافة الى كل ما تقدم مكنتنى من استخراج اشكال للحروف العربية تذلل الصعوبات التى تشكو منها القراءة والطباعة ، وتصلح لان تسمى « الطريقة الطبيعية » : طبيعية لانها تعود الى الينابيع كما قلت ، وطبيعية لانها تبسط شكل الحروف وتخلصها من الزوائد والمثقلات ، وطبيعية لانها تعامل الحرف كحرف ، وطبيعية اخيرا لان القراءة بها تصبح سهلة تامة والطباعة سريعة واضحة والتماثل بين الحرف المخطوط والحرف المطبوع ادق واكمل . والمبادىء التى تقوم عليها هى :

1 — المحافظة على الصلة الوثيقة بالتراث واستخراج صور الحروف الجديدة من صورها الحالية دون التقيد بنوع واحد من انواع الخطوط المعروفة (النسخى ، الثلث ، الفارسى ، الرقعة ، الديوانى ، الكوفى ...) ، والصور المعتمدة هى اجمالا الصورة الاساسية الوسطى للحروف القابلة قدر الامكان للاتصال والانفصال عن اليمين وعن الشمال (البيان قسم 10) . هذا مع امكان قسمة احرف الكلمة الواحدة بين آخر السطر والسطر الذى يليه والاشارة الى ذلك بواسطة واصلة (Trait-d'union) مثلما تدعو الحاجة احيانا فى اللغات الاوروبية ومثلما كان الشأن بالنسبة للقرآن نفسه عند كتابته بالحرف الكوفى (راجع البيانات 7 و 8 — 1 و 9 — 1) .

2 — وجود شكل واحد للحرف الواحد اينما وقع من الكلمة : ولم يخرج على هذا المبدا الا حرفان ولاعتبارات لغوية او بيانية : التاء بشكلين قصيرة وطويلة (للدلالة على المؤنث او على الضمير او على الجمع ...) والهمزة بثلاثة اشكال : عادية وعند ما تكون همزة وصل وعند ادغامها فى الالف (مثل آدم).

3 — **الغاء التنقيط** من الصور الجديدة جميعها (كما كان فى الماضى : انظر البيانات رقم 6 و 7 و 8 و 9 و 1) . ولا يتناقض هذا مع المبدا الاول لاننا ابقينا على العلاقة بين الاحرف المتشابهة ولكن بشكل آخر: بشكل سن اجمالا فى صلب الحرف بدلا من النقطة التى تميزه عن شبيهه (36) .

4 — المحافظة قدر الامكان على **الاحجام المعتادة للحروف** ومراعاة حركة اليد عند كتابة الكلمة الواحدة بحيث نختصر الوقت الى ادنى حد ممكن .

5 — **التوافق بين صور الحروف والكلمات فى حالى الكتابة والطباعة** (وهذا غير موجود فى الابجديات الاوروبية الا فى حال الكتابة بالحرف المنفصل « السكريبت ») .

6 — **وجوب تشكيل الكلمة فى حالى الكتابة والطباعة بالحركات الثلاث المعروفة** ، بالاضافة الى الجزمة منعا للتحريف (اذ ان تركها للدلالة على السكون كما يرى سيبويه لا يكفى فى كثير من المواطن) ، على ان توضع الحركات مباشرة بعد الاحرف فى الطباعة وفوقها او تحتها عند الكتابة باليد.

1 — ان من خصائص العربية ان عددا من صوتياتها حروف صغيرة تسمى حركات وتكتب فوق الحروف الاخرى او تحتها . وليس ثمة فرق بين ان تكتب الصوتيات فى صلب الكلمة امتدادا افقيا او ان تكون ملازمة لها بشكل آخر فى صلب حيزها المكانى .

وكمثل تطبيقى على الطريقة اقدم فاتحة القرآن اذ فيها ايضا جواب على اكثر من سؤال (البيان 11).

— فوائد الطريقة :

يمكن ترتيب الفوائد العديدة لهذه الطريقة الطبيعية كما يلى :

أ — فى القراءة :

— سهولة تعليم القراءة للصغار والكبار بوجود الحروف .

— سهولة تعلم القراءة للصغار والكبار بوجود حرف موحد الشكل .

— تشجيع الاقبال على قراءة الكتاب العربى .

ب — فى الكتابة :

— بوجه عام ، رفع المستوى العلمى فى اللغة العربية بحكم التشكيل عند الكتابة والنطق الصحيح عند القراءة .

— بوجه خاص — تحل مشكلة كتابة الهمزة من الاساس باعتبارنا اياها حرفا عاديا وبوضع الحركة عليها كغيرها .

— تصبح الكتابة صورة طبق الاصل عن الطباعة والعكس بالعكس .

— لا بطء ولا ثقل فى رسم الكلمات بحلول الحركات الثابتة محل النقط من حيث الوقت والحيز .

ج ــ فى الطبـاعـة :

1 ــ اختصار عيون المطبعة بحيث لا تعود تتجاوز الثمانين عينا كما هو مثبت فى البيان رقم 12 :

ــ اشكال الحروف 32 (بينما عددها لا يقل عن 60 فى مطبعة الليتوتيب السبعينية الحديثة جدا) .

ــ الحركات 22 (ويمكن تخفيفها الى 13 لو وضعت الحركة بعد الشدة مباشرة لا عليها ولكن صورة الكلمة تصبح مشوشة) .

ــ علامات الوقف 12

ــ الارقام وعلامات الحساب 14

فيكون المجموع 80 عينا فى صندوق الطباعة بالنسبة لجميع النصوص .

2 ــ اختصار الوقت فى عملية الطبع وسهولة اقتناء اليد العاملة وانخفاض تكاليف الطباعة .

3 ــ التمكن من طباعة نص مشكول بالراقنة فيتم التطابق بينها وبين المطبعة .

ــ الصعـوبـات :

انا موقن بأن دون الاخذ بهذا المشروع مصاعب عدة منها الفنى ومنها النفسى ومنها السياسى ومنها المادى :

أ ــ الصعوبات الفنية : معظمها طباعى واهمها ضرورة وجود مصحح مثقف فى المطابع ثم ضرورة سبك الحروف بشكل لا تختلط فيه عند الطباعة ويمكن من وضع الحركات او الشدة دون الاخلال بجمال الخط ، ثم ضبط المسافة بين السطر والسطر. وكل هذا من شأن الخطاط والفنى وسهل تنفيذه ولا يشكل صعوبات جوهرية .

ب ــ العادة القديمة : والعادة طبيعة ثانية ــ فالصور الحالية تأصلت فينا واتخذت مسحة من التقديس لا لمجرد كتابة القرآن بها (اذ انه كتب اول ما انزل بالخط الكوفى) بل « لشدة الالفة بها وطول العهد معها » على حد تعبير محمود تيمور . وغذى هذا الشعور تحول الخط العربى عن وظيفته الموضوعية الى مادة فنية وطاقة جمالية (تعويضا عن فن التصوير والنحت فى البلاد الاسلامية) .

ولكن العادة ، كما هو ثابت فى علم النفس ، يمكن تعويضها بعادة جديدة . والواقع ان الاخذ بصور الحروف المقترحة (او بأى صور اخرى تقوم على نفس المبادىء وتكون اكثر ملائمة) لن يكون عادة جديدة بكل معناها بل مجرد تحويل بسيط للعادة القديمة لان معظم الصور باقية كما هى والباقى شديد الشبه او وثيق العلاقة بسلفه . وستحدث لا محالة اخطاء فى البداية ، ولكنها ستقل بالتدريج تبعا للتعود وجهود النقاد ، وسيكون شأن القارىء او الكاتب فى ذلك « شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحا لا خلل فيه طوعا لما ادمن من قراءة الشعر ولو لم يعرف من علم العروض شيئا » (37) .

ج ــ **السياسة التربوية : وهى ذات شقين :**

ــ الاول تبنى المشروع من قبل السلطات التى بيدها مقاليد التربية والتعليم فى كل بلد عربى ، وفرضه فى جميع المدارس الرسمية والحرة . واذا لم يحظ بسلطة تنفيذية تتبناه يبقى حبرا على ورق ويلق على احسن تقدير مصير الكثير من توصيات اللجان والمؤتمرات والمجامع اللغوية .

والآخر اعطاء اللغة العربية حقها الكامل كلغة ام فى البرامج التربوية ولا سيما فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، مرحلتى التأسيس ، كما تفعل جميع البلدان المتقدمة ــ كفرنسا وانكلترا مثلا ــ بالنسبة للغاتها ، هذا مع التأكيد على ضرورة اتقان لغة اجنبية حية لا يمكن الاستغناء عنها لكل مثقف ثقافة حقيقية.

ان الانتقاص من حق اللغة الوطنية فى التعليم هو السبب الاساسى فى تدنى مستوى الطلاب (والمعلمين الذين كانوا من قبل طلابا) فى اللغة العربية . وبدلا من الجهر بالعلة الحقيقية وتلافيها يردها البعض جهلا او تجاهلا الى صعوبة اللغة بحد ذاتها ، كأن اللغات الصعبة الاخرى لا يتعلمها اهلها لهذه العلة، والا فما معنى ان تكون المدارس فى الماضى ــ ومنها مدرسة الحكمة فى بيروت مثلا ــ قد خرجت طلابا واساتذة اسلست اللغة لهم قيادها وملكوا ناصيتها؟

د ــ قد يلاقى المشروع تحفظا لدى فريق من **الخطاطين العرب** ممن يتعلقون بالجمالية الحالية للخط او ممن يتكسبون منه . ولكنى اعتقد بأنه سيجد لدى الخطاط الفنان كل ترحيب لانه سيتيح له الفرصة ليرسم صورا وتراكيب جديدة ــ وربما خطوطا جديدة، على ما فعل ارباب هذا الفن مثل ابن مقلة وابن البواب وياقوت والحافظ عثمان ــ فيوفر له متعة الخلق والابتكار ، ولا سيما ان الصور الجديدة مستمدة من صور الخطوط المعروفة المألوفة على تنوعها ، وانها ما زالت سهلة المد قابلة للانثناء والاستطالة . فالخط بها ما زال منسوبا وما زال على معيار الجودة عند الصولى فى « اعتدال اجسامه واستطالة الفه

ولامه واستقامة سطوره وعدم اشتباه رائه ونونه وتناسق دقيقه وجليله » . والفه ما زالت على اعجاب كامل البابا بها عند مصطفى راقم « كالقامة الفرعاء ». واذا لم تعد العين عندنا كحاجب الحسناء والنون كثدى الناهد فان الهمزة عندنا كصولجان الملوك ونوننا الرقعية جناحا طائر والعين كقلب العميد .

* *

.. **وبعد** ، آمل ان ينال هذا المشروع الاهتمام الذى يستحقه من قبل ذوى الشان الغيورين على اللغة العربية لانى اعتقد بأن التطور هو فى هذا الاتجاه ، اتجاه التبسيط لا محالة . و لاحاجة بى لتكرار ما نوهت به اكثر من مرة من ان محاولتى هذه لا تدعى الكمال بل هى قابلة للتهذيب والتحسين . وحسبى انى لم اكتف بموقف المتفرج على حال اللغة، بل قمت بخطوة عملية ايجابية فى سبيل النهوض بها، فاذا اصبت فلى اجران ، وان لم اصب فلى اجر واحد على الاقل !

جودت نور الدين

اهم مراجع البحث

1 — محمود تيمور — ضبط الكتابة العربية ص 7 — الطبعة الاولى — مطبعة الاستقامة القاهرة 1951 .

2 — مجمع اللغة العربية (عبد العزيز فهمى) محاضر جلسات الدوره العاشرة — ص 285 — القاهرة 970 .

3 — جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ 28 — 11 — 1971 .

4 — البشير بن سلامة — اللغة العربية مشاكل الكتابة — الطبعة الاولى — الدار التونسية للنشر تونس — 1971 .

5 — المصدر السابق — ص 107 .

6 — مجمع اللغة العربية — محاضر جلسات الدورة العاشرة ص 266 — 274 (مذكرة احمد امين بـ « اقتراح ببعض الاصلاح فى متن اللغة »).

7 — يوسف السودا — الاحرفية — دار الريحانى للطباعة والنشر — بيروت 1970 .

8 — مجمع اللغة العربية — محاضر الجلسات 7 و 8 و 9 — ص 50 و 53 — 54 — القاهرة 1970.

9 — راجع التفاصيل والمناقشات فى محاضر جلسات الدورة العاشرة من 18 / 10 / 43 الى 29 / 5 / 44 .

10 — جريدة «النهار» تاريخ 27 / 6 / 1972 .

11 — شعيب احمد الدربى — قضية الحرف العربى ملحق جريدة « النهار » بتاريخ 28 — 11 — 71 .

12 — مجلة التجاره — الابجدية الموحدة — عدد شباط — آذار 1968 — بيروت .

13 — جريدة « النهار » بتاريخ 27 — 2 — 1972 .

14 — المصدر السابق .

15 — ضبط الكتابة العربية ... ص 35 و 36

16 — لسان العرب — ابن منظور — دار صادر دار بيروت — بيروت 1955 .

17 — مجلة اللسان العربى — المجلدالتاسع — الجزء الاول ص 219 — 221 يناير (كانون الثانى) 1972 — المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

18 — اللغة العربية ومشاكل الكتابة ... ص 83 — 84 .

19 — المصدر السابق ص 86 .

20 — قضية الحرف العربى — المصدر 11 .

21 — المصدر 6 — ص 320 — 321 .

22 — المصدر 8 — ص 55 .

23 — منير القاضى — تسهيل الخط العربى — ص 6 — مطبعة المجمع العلمى العراقى — بغداد 1958 .

24 — المصدر 2 — ص 341 .

25 — المصدر السابق — ص 330

26 — الشيخ احمد رضا العاملى — مولد اللغة — ص 48 — دار مكتبة الحياة — بيروت 1956

27 — لسان العرب — الجزء الاول ص 17 — دار صادر ودار بيروت — بيروت 1955 .

28 — الشيخ احمد رضا العاملى — معجم متن اللغة — المجلد الاول — ص 131 — دار مكتبة الحياة بيروت 1958 .

29 — المصدر 26 — ص 18

30 — المصدر السابق ص 18 — 19

31 — المصدر السابق ص 22

32 — دار المعارف للبستانى — المجلد الاول — ص 17 — الطبعة الاولى — بيروت 1956

33 — اما اللام الف فليست حرفا مستقلا وانما هى اجتماع حرفين : اللام والالف كما يدل عليها اسمها . « وانما ارادوا بها الالف اللينة الهوائية فقرنوها باللام دون غيرها ليمكن النطق بها . ولعله روعى فى هذا التخصيص اقترانها به فى اداة التعريف » ال « فجرت هنا كذلك » (معجم متن اللغة — 12 — ص 131).

34 — مجلة « الحسناء » البيروتية — العدد 536 — تاريخ 3 — 12 — 1971 .

Mohammad Aziza - La calligraphie arabe - STD — (35) - Tunis - 1971
مع الملاحظة ان الوثائق التاريخية المصورة مأخوذة عنه .

وراجع ايضا فى نفس المعنى مصور الخط العربى — ناجى زين الدين — مطبعة المجمع العلمى العراقى — بغداد 1970 .

36 — نشير على سبيل التفكهة الى ما ذكره «اللسان» فى باب «القاب الحروف وطبائعها وخواصها» عن الشيخ ابى العباس احمد البونى — رحمه الله — من ان ما كان من الحروف مهملا غير منقوط فهو اشبه بمنازل السعود ، وما كان معجما منقوطا فهو فى منازل النحوس يندرج فيها تبعا لعدد النقط فيه » . ان كان الامر كذلك فان حروفنا الخالية كليا من التنقيط هى فى سعد السعود !

37 — ضبط الكتابة العربية — ص 28 .

جدول بالبيانات

الرقم :

1 — ابجدية عبد العزيز فهمى — مجمع اللغة العربية — الدورة 10 — ص 313

2 — علامات على الجازم — مجمع اللغة العربية — الدورة — ص 323 .

3 — حروف البشير بن سلامة — اللغة العربية ومشاكل الكتابة — ص 84

4 — 1) كتاب النهى محمد الى المنذر السماوى امير البحرين (متحف الآثار العراقية رقم 100 — 115 ص 14) .
2) جدول مقارن بين الكتابة النبطية والكتابة العربية القديمة — فن الخط العربى .

5 — 1) نقش النمارة « 328 ب . م . » — فن الخط ص 16
2) نقش حران بحوران — فن الخط ص 16

6 — 1) كتابة الجمال — القرن السادس ق . م — فن الخط ص 17
2) كتابة منقوشة فى المدينة على ايام الخلفاء الراشدين — فن الخط ص 17
3) خط كوفى منقوش على ضريح ثابت بن يزيد — السنة 64 للهجرة — فن الخط ص 17

7 — صفحة من قرآن حروفه غير منقوطة (متحف الفن الاسلامى — القاهرة) — فن الخط ص 21

8 — 1) صفحة من قرآن منسوب الى الخليفة عثمان — فن الخط — ص 19
2) كتاب منسوب الى اعكرمة (سنة 143 هجرية) — فن الخط — ص 19

9 — 1) الضبط فى النقط صفحة من قرآن يرجع الى القرن الثالث الهجرى — فن الخط — ص 22
2) حروف منقطة ومشكلة (مخطوطة عربية من معهد المخطوطات فى ميلان بايطاليا رقم 56 × ص 22

10 — كيفية استخراج صور الحروف الجديدة

11 — نموذج من الكتابة بالطريقة الجديدة — فاتحة القرآن .

12 — صندوق الطباعة الجديدة .

البيان 10 : كيفية استخراج الصور الجديـــدة

الالف : لم تتغيـــر . ا ← ا

الهمزة : ـــ ادمغت صورتها العادية فى الالف . ء ← ا ← ا

ـــ ابقيت صورتها الممدوده كما هى . آ ← آ

ـــ همزة الوصل جعلت صادها فى راسها . ا ← ا

الباء : على صورتها فى اول الكلمة مع الغاء النقطة . ب ← ب

التاء : ـــ التاء المربوطة فى آخر الكلمة بصورة كوفية مع الغاء النقطتين . ة ← ه ← ة

ـــ والتاء الطويلة هى القصيرة مطولة ومعرقة .

الثاء : هى الصورة الوسطية العادية مكبرة سنها لتماثل نقطها السابقـــة بالرقعى او الـــديـــوانـــى . ث ← ـ ← ث

الجيم : جعلت نقطتها سنا فى وسط قاعدتها . ج ← ح ← ج

الحاء : هى هى مع تطويل قاعدتها ليمكن وصلها فى الطباعة (كالجيم) . ح ← ح

الخاء : جعلت نقطتيها فى وسط جزئها الاعلى . خ ← خ ← خ

الدال : هى هى مع وجوب ابقائها زاوية حاده كى لا تختلط بالباء اذا قصرت . د ← د

الذال : جعلت نقطتها سنا فى ذيلها لا فى راسها كـــى يسهل رسمها فى الكتابة باليد . ذ ← د ← ذ

الراء : لم تتغيـــر . ر ← ر

الزاى : جعلت نقطتها سنا فى ذيلها . ز ← ر ← ز

السين : لم تتغيـــر . س ← س

الشين : صورة الشين الكوفية القديمة . ش ← س ← ش

الصاد : حذفت سنها الزائدة . ص ← ص

الضاد : حذفت سنها الزائدة وجعلت فى قاعدتها بدلا من نقطتها . ض ← ص ← ض

الطاء : لم تتغيـــر . ط ← ط

الظاء : جعلت نقطتها سنا فى قاعدتها فقط . ظ ← ط ← ظ

العين : الصورة الوسطية للعين النسخية العادية . ع ← ع

الغين : الصورة الوسطية للغين النسخية العاديـــة مع جعل نقطتهـــا سنا فى وسطهـــا العلـــوى . غ ← ع ← غ

الفاء : حذفت نقطتها فقط . ف ← ـفـ ←

القاف : جعلت نقطتاها سنا من جهة اليمين . ق ← ـقـ ← ـقـ ←

الكاف : الصوره النسخية العادية مع تطويل قاعدتها قليلا ليمكن وصلها بدون رابط . ك ← ـكـ ←

اللام : لم تتغيـــر . ل ← ـلـ ←

الميم : لم تتغير وانما يقتصر على ربطها من اسفل كى لا تختلط بصور بعض الاحرف عند الاخرى عند سرعة الكتابة باليد . م ← ـمـ ←

النون : لم تتغير وانما يستعمل لها الشكل الرقعى . ن ← ـنـ ←

الهاء : لم تتغير وانما تبتدىء برابط ليسهل وصلها مـــن اليمين . هـ ← ـهـ ←

الواو : هى هى . و ← ـو ←

الياء : يمال شكلها الحالى وتحذف تعريقها ليسهل وصلها مـــن الجهتين . ى ← ـى ← ـيـ ←

ملاحظـــة : لا لزوم للام الالف ما دام الالف واللام موجودين ولا لصورة الهاء فى ضمير المذكر الغـــائب ما دامت الهاء العادية تفى بالمطلوب دون اخلال لقواعد اللغـــة .

ملحق رقم ١

بيان أشكال الحروف العربية مرسومة بالأحرف اللاتينية وملازمة لها العربية مع أسمائها

فاء ف ـفـ ـف	زاي ز ـز	ألف ا ـا
قاف ق ـقـ ـق	سين س ـسـ ـس	باء ب ـبـ ـب
لام ل ـلـ ـل	شين ش ـشـ ـش	تاء ت ـتـ ـت
ميم م ـمـ ـم	صاد ص ـصـ ـص	ثاء ج ـجـ ـج
هاء ه ـهـ ـه	طاء ط ـطـ ـط	حاء ح ـحـ ـح
واو و ـو	ظاء ظ ـظـ ـظ	خاء خ ـخـ ـخ
همزة ء ـء	عين ع ـعـ ـع	دال د ـد
ياء ي ـيـ ـي	غين غ ـغـ ـغ	ذال ذ ـذ
		راء ر ـر

أما الحروف التي تستعمل للتشكيل فهي:
(ـَ) للفتحة و (ـُ) للضمة و (ـِ) للكسرة.

وأما الأحرف التي لا تشبه للحروف العربية فهي:

ويلاحظ أن الحروف المرسومة في الجدول هي حروف عادية.
أما الكبيرة اللاتينية (A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z) المعروفة، وكبير الحروف العادية العربية يكون كتابتها عادية مع وضعها دون كاتبتا.

رسم العلامات

الفتحة : ـَ - مثل : هيكم هيكم

الضمة : ـُ - مثل : كتب (كُتِبَ)

الكسرة : ـِ - مثل : كتب (كُتِبَ)

السكون : ـْ - مثل : فتل (فَتْل)

نون المفتوح: ـًا - مثل : شرابًا (شرابًا)

نون المضموم: ـٌا - مثل : شرابٌ (شرابٌ)

نون المكسور: ـٍ - مثل : شرابٍ (شرابٍ)

الهمزة الممدودة : عـ - مثل : آن (آن)

②

③

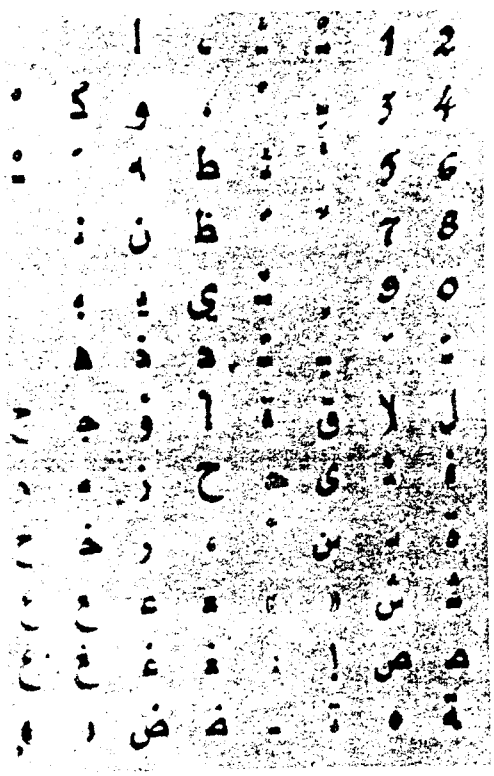

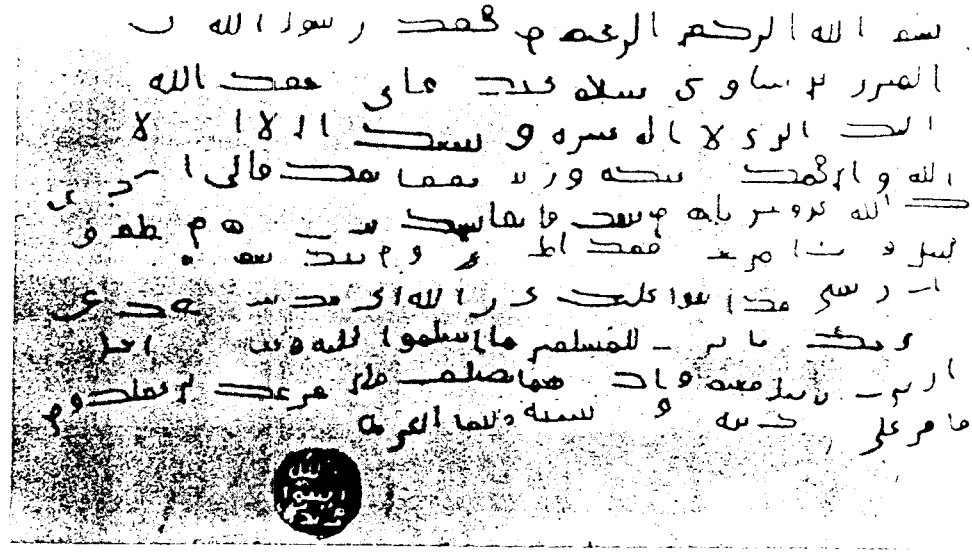

البيان رقم (4)

البيان رقم (5)

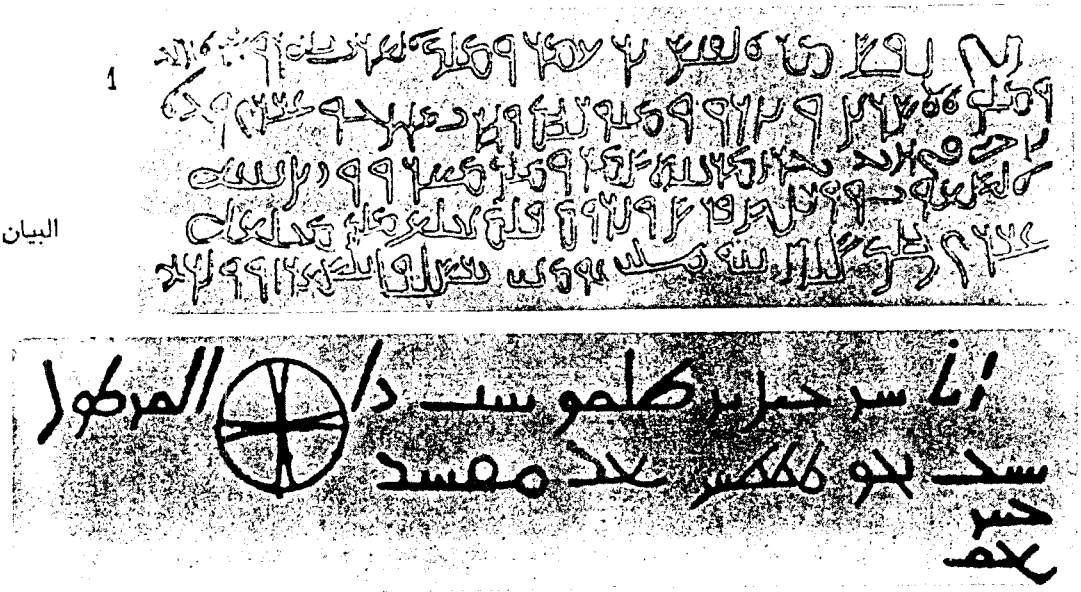

البيان رقم (6)

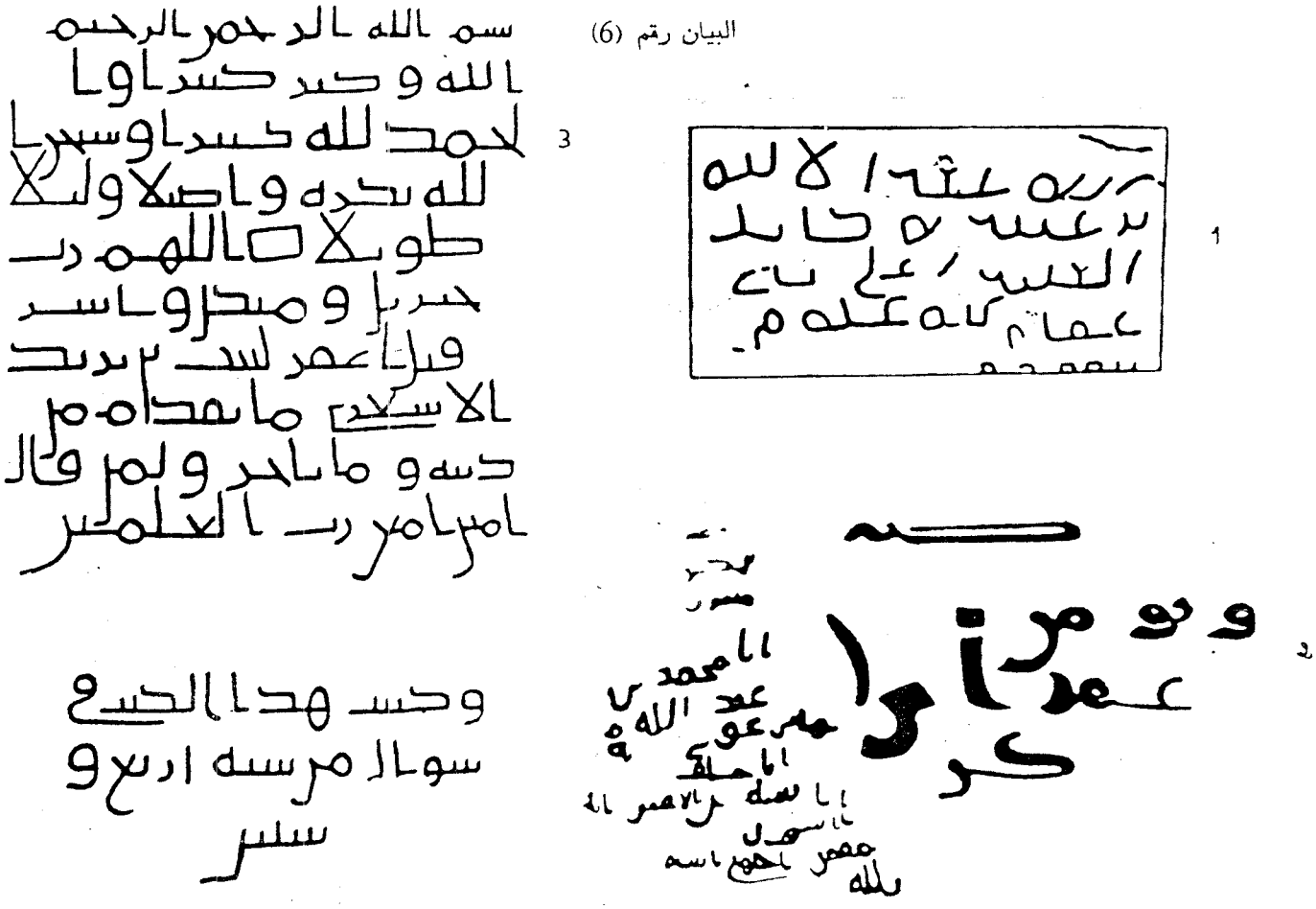

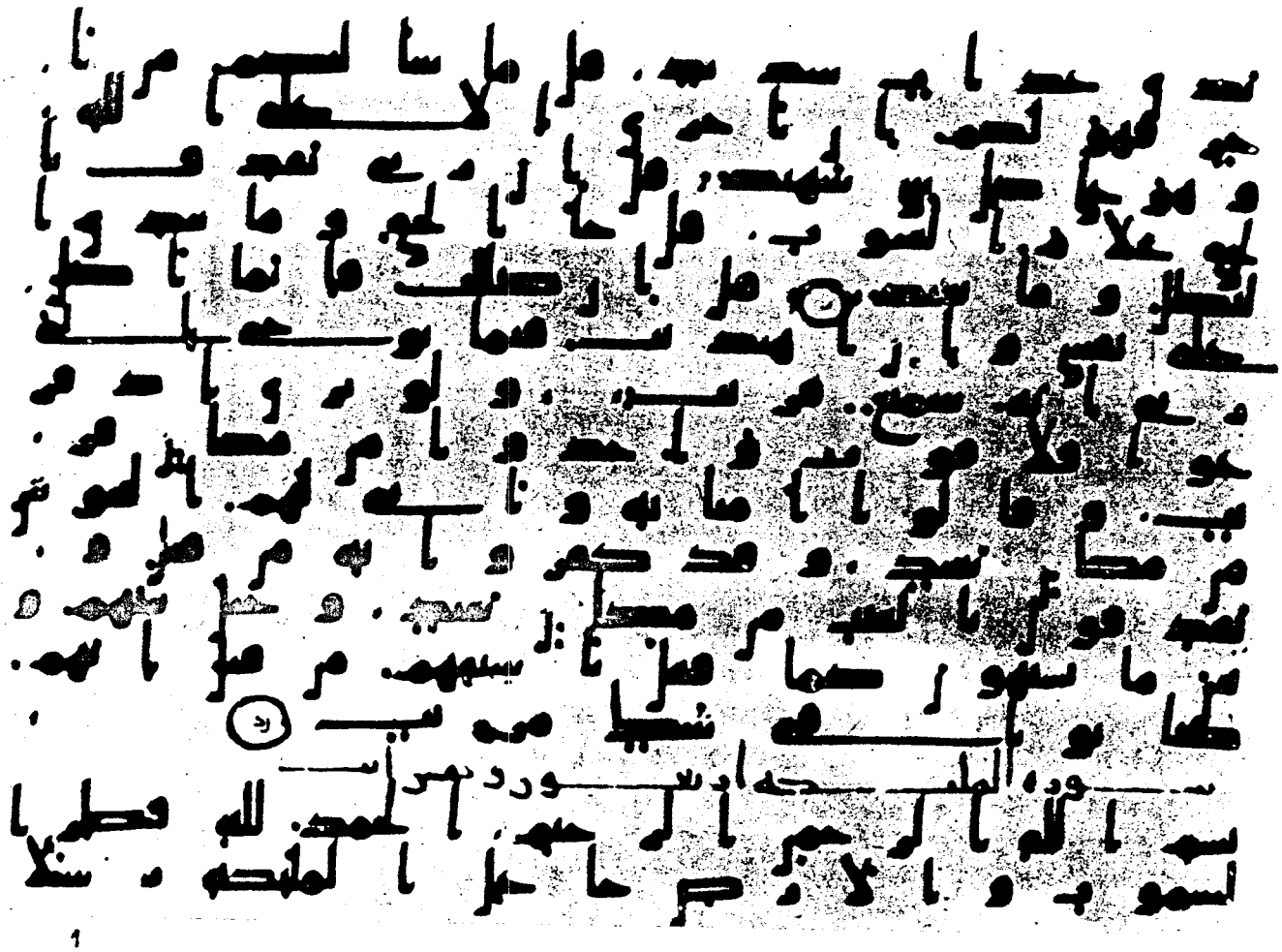

البيان رقم (8)

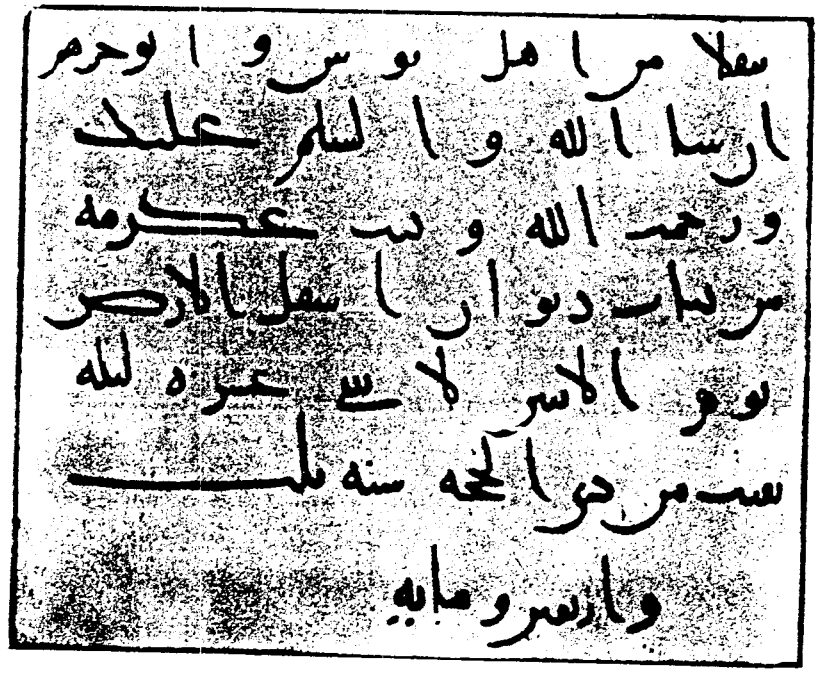

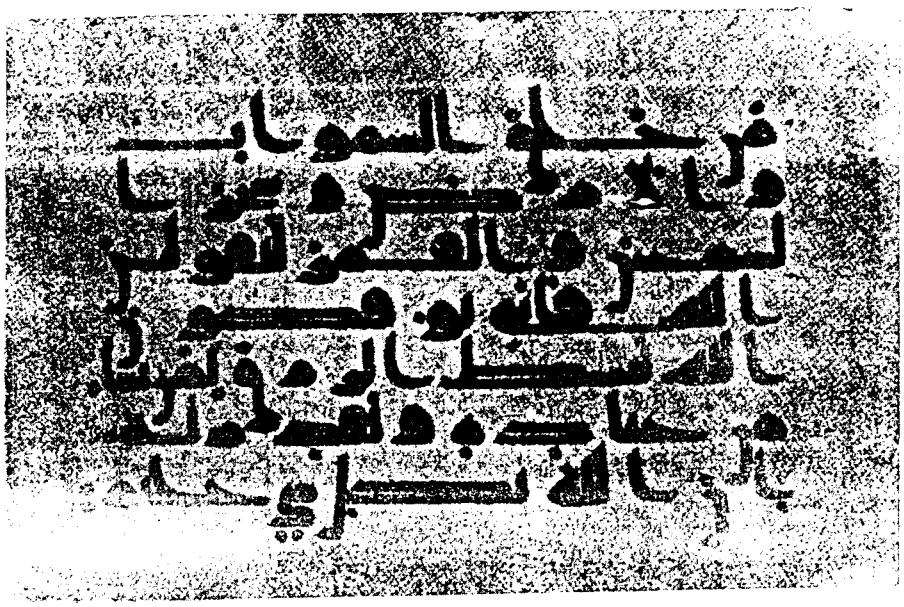

البيان رقم (9)

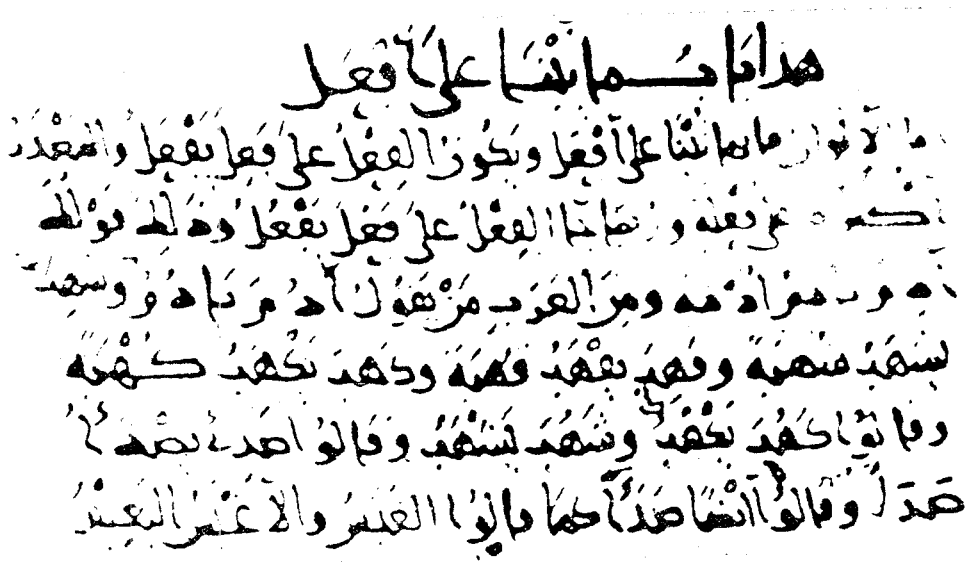

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمان الرحيم * مالك يوم الدين *

إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم *

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين * صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

كتبه فرنروص سنة ١٩٧٢

البيان رقم (11)

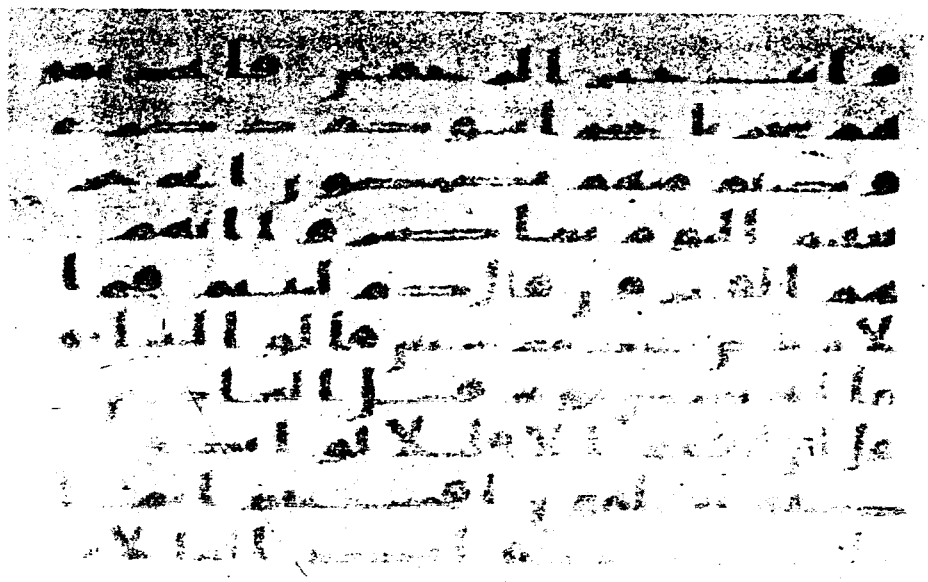

البيان رقم (7)

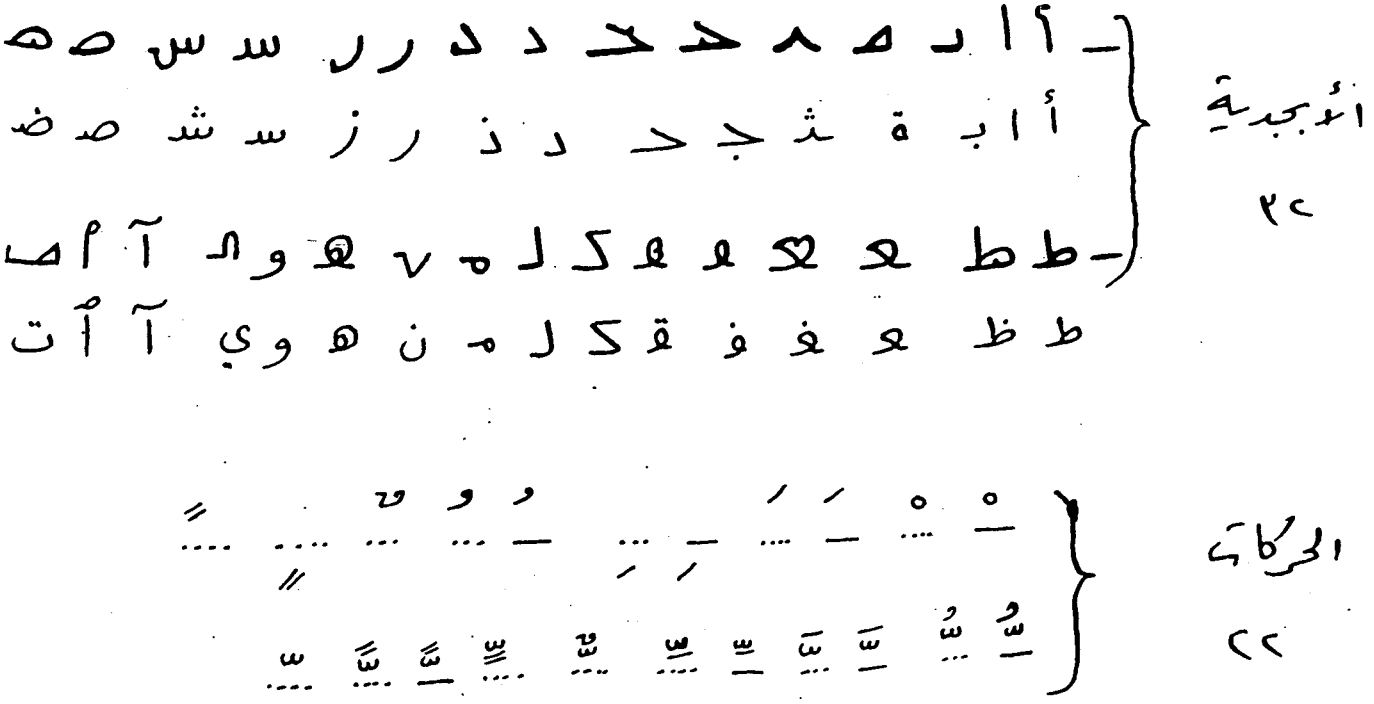

البيان رقم (12)

نقد للصور المقترحة في إصلاح الكتابة العربية

للأستاذ مهدي الظالمي

العراق

حينما فتحنا الباب امام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربى تجنبنا الخوض فى المعركة وتركنا رحاها تدور فيما بين الهاجمين على الحرف العربى والمدافعين عنه وكنا واثقين سلفا بأنها معركة لها دوافع بعضها طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحنا الى مقدار الجمالية فى حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التى نشرناها وننشرها باستمرار ولعلنا نبدى راينا الكامل قبيل اغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلى تنويرا للاذهان.

1 ــ فى اكثر لغات العالم نوعان من الحروف احدهما للكتابة باليد والثانى للطباعة ، اما الحرف العربى فهو واحد فى كليهما وفى ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتعب رصا فى الحروف فى المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين اول ووسط وآخر ، ويهدر من وقتهم كثيرا .

2 ــ واليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونوتيب الالكترونى فقد اصبح صف الحرف العربى اكثر اختصارا للزمن من رصفه حرفا حرفا كما كان من قبل .

3 ــ كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبعية الى ادنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، اما الخط اليدوى فقد بقى على صورته وجماليته .

4 ــ ونحن من راى صاحب المقال الاستاذ مهدى الظالمى بأن هذه المحاولات قد فاتها الزمن، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاولو الاصلاح والمتهجمون كلهم ما زالوا يعيدون ويكررون البحث فى هذا الموضوع ؟ افلا نترك للآراء المختلفة حريتها وننتظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلاوته المستساغ بكل لطفه الخالد بالرغم من المعارك الدائرة حوله .

ممدوح حقى

نشرت « اللسان العربى » فى الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترحتين لاصلاح الحرف العربى للاستاذين مصطفى النعمان ، ويحيى بلعباس (ص 219 ، ص 221) ..

واود ان اشير — قبل مناقشة الاقتراحين — الى ان الفكرة بمجموعها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الاهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة الاصلاح للحرف العربى بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربى بالقصور عن تادية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة فى سلسلة طويلة بدات بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتهويل لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترحات طرحتها الاوساط الاستعمارية والمشبوهة (2) ، والسائرون فى الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما تسللت الى اروقة بعض المجامع اللغوية فى البلاد العربية (4). وطرحها على صفحات « اللسان العربى » من جديد ينبىء بانها لم تنته بعد .

اما سدنة الحرف العربى ، والمستشرقون المنصفون (5) فلم يقفوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبى ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وتفهم واتخذوا بحقها ما يجب من المواقف التى وحدها الايمان بقدرة الحرف العربى على احتواء الفكر الانسانى المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والرومانى والهندى والفارسى . وكان لمجمع اللغة العربية فى القاهرة دور بارز فى هذه الدراسات ، فتقبل كل دعوة واقتراح للاصلاح المزعوم، ودرسها فى ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج المترتبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستاذين النعمان وبلعباس تقع ضمن عشرات الدعوات من امثالها والتى باءت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التى نشرتها ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) وفى مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التى رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربى على تلك الصور المقترحة بديلا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التى الفها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والتى استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد على العشرين عاما ، اى منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترحات التى ابتكرت حروفا او علامات شكل متصلة او منفصلة للاسباب الآتية :

1 — انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واوضاعها المتعارف عليها .

2 — انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المالوفة .

3 — تقضى على فن الخط العربى الموروث .

4 — ان فيها من التعقيد والتنكير ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المتقدمة التى دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترحات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتهما « اللسان العربى » ، وربما كان فيهما من التشويه والتنكير اكثر مما فى بعض تلك المقترحات المرفوضة ، فكلمة « كتب » مثلا على مقترح الاستاذ مصطفى النعمان تكون صورتها كالآتى :

وعلى مقترح الاستاذ بلعباس

ولا اظن احدا ينكر ما فى الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما ذكرته اللجنة من اسباب مقنعة لاستبعاد هذه المقترحات اسبابا اخرى منها :

5 — ان المقترحين يفقدان الكتابة العربية انسيابيتها بما يضعان لنظام النقط من تعقيد ، وما يفترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد يضاع ، يلاحظ هذا فى رسم حروف كلمة « كتب » المتقدمة .

6 — ان الحروف المقترحة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية « حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد ، وللسرعة والاقتصاد قيمتهما فى هذا الزمن » (10).

7 ــ « ان الحروف العربية قد استعملت لا فى لغتنا فقط بــل ان امما كثيرة ، اسلاميــة وغير اسلاميــة استعملتهــا ايضا » (11) .

فاستبدال هذه الحروف الشوهاء بها لا تفقدنا صلتنا بتراثنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامم وصلتهــا بنــا ايضا .

8 ــ ان الحروف العربية « لطول عهدنا بهــا قــد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، الفناها والفتها اذواقنا ، وتكونت من هذه الالفة عادات ذهنية مــن الصعب علينا ان نعدل عنها الى غيرهــا لغير حاجــة قاضية لهذا العدول » (12) .

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلــم يكن جديدا فى المحاولات التى زعمت اصلاح الحــرف العربى فهو نفس الاقتراح الذائع الصيت الذى طرحه احمد لطفى السيد عام 1899 بضرورة الدلالة بحروف المد الثلاثة على الحركات (13) ، والاختلاف الوحيد هو فى صورة هذه الحروف ، فهى عنده نفس الحروف العربية المألوفة وعندهما صورها المقترحة ، واقتــراح السيد لم تستطع شهرة صاحبه ولا علمه ولا منصبه اخيرا كرئيس لمجمع اللغة العربية فى القاهــرة ، لــم تستطــع كل هذه الاعتبارات ان تقربــه من النجاح كما لم يستطع تعديله من قبــل الاب انستــاس مــارى الكرملى (14) ــ وهو من هو فى علو كعبه فى الدراسات اللغوية ــ ان يمنحه شيئا من القوة . وقد وجهت اليه جملة من الاعتراضات ، ترد نفسها اعتراضات على الاقتراحين الجديدين منها :

1 ــ انه يستدعى تطويلا فى الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمــال فى الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربى مــن ميزته الفذة (الاختزال) ، يقول العلامة (نللينو) فى معرض رده على الاقتراح الداعى الى استعمال الحروف اللاتينية يقول عن الحرف العربى : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربى ليس فى حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال » (15).

2 ــ فى حالة تطبيق مثل هذا الاقتــراح سيحصــل لبس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعوض بها عن الحركات فكلمة « محمد » عنده ينبغى ان تكتب « **موحاممادون** » ــ وكان من مقترحه فك الادغــام واثبات التنوين ــ فلا يدرى حينئذ هل هذه الواوات والالفات ومثلها الياءات أهى حروف اصلية ام حركات ؟

وهذا ما دفع الاب انستاسى مــارى الكرملى ان يقترح شكل الصور الموضوعة للحركات ، ولا يخفى ما فى هذا من تكلف وتعسف وتشويه لحرفنا العربى الجميــل .

3 ــ نحن فى كتبنا المطبوعة وفى كتابتنا اليدويــة نستغنى عن كثير من الحركات ، اما فى ضوء المقترحين اللذين يلزمان بوضع صور للحركات تدمــج فى جسم الكلمة ، **فذلك يعنى الزام الكاتب وضع الشكــل كاملا « وفى هذا بالطبع ــ علاوة على ما فيه من غرض رأى الكاتب على القارىء من حيث الخطأ والصــواب ــ تطويل فى كتابة الكلمة طباعة وكتابة »** (16) .

4 ــ وبالتالى فهل هناك ضرورة قصوى تفرض علينا ان نخرج من رسمنا العربى البسيط الى رسم مركب معقد يساعد فى قطع الصلة بين حاضر الامة وتراثهــا الضخــم ؟

ونعود ــ اخيرا ــ الى ما ورد فى معرض التقديم للمقترحين من القول : ان الجامعة العربية جادة الآن فى دراسة امثال هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائى ، فهو ــ ان صح ــ يعنى ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشغل نفسها بمواضيع غير ذات جدوى ، لان مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه المواضيع وهو يخالف ما عهد بمؤسسات الجامعة الثقافية فــى مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التى توليها الجامعة لابحاث مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ان اللجنــة التى الفتها الادارة الثقافية فى الجامعة للنظر فى تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول فى اواخر مارس عام 1956 رات ان تنضم الى لجنــة التيسير بالمجمع وان توالى اجتماعاتها يدار المجمع للاطلاع على جهــوده فى موضــوع التيسيــر ، فهــل ان هــذه المؤسسات عادت الآن لتلقى من حسابها كل الجهود المبذولة فى هذا المجال ، لتبدأ من جديد دراسة لصور حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعريب الذى قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالمجامع اللغوية اكثــر عمقا ... كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تدرس هيئة منها فى موضــوع تقــوم هــى على

خدمتـــه » انه بطرحه لهذه النمـــاذج من الحـــروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدات تلك المؤسسات لا من حيث انتهت ، وهو ما ينبغـــى ان يكـــون .

وختاما ، اليس من حق الانسان العربى ان يتساءل عن مبررات طرح مثل هذين المقترحين على صفحات « اللسان العربى » التى تؤلف نقطة ارتكاز فى الدراسات اللغوية ، والتى تضع خدمة اللغة العربية وتيسيرها ، ونشرها بين المتعلمين الهدف الاساسى لها ، وليس فى الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

---

1 ــ قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتهم العربية :« اننى اوثر ان اجتاز افريقية كلها ماشيا من الاسكندرية الى الرجاء الصالح على ان اشرع ثانية فى تعلم اللغـــةالعربية » حاضر اللغة العربية : سعيد الافغانى ص176

2 ــ من امثال دعوة « ولهم سبيتا » عام 1880لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينيـــة فى كتـــابه « قواعد العربية العامية فى مصر » . ورددها القاضىالانكليزى «ولمور» فى كتابه « لغة القاهرة » عام 1903

3 ــ يلاحظ هذا فى كتاب « ياره ــ شعر » لسعيد عقلوالذى كتب على غلافه : اول كتاب لبنانى يطبع بحروف لاتينية ، نقلا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربيـــة » للدكتور انيس فريحة . وغيرهما .

4 ــ طرح عبد العزيز فهمى رايه باستبدال الحروفاللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهـــرة عام 1943 وشغل اعمال المجمع طيلة ثلاثـــة اعـــوام(يلاحظ رايه مفصلا فى كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينيـــة ») .

5 ــ امثال المستشرق الفنلندى « يوحنـــا اهتنينكرسكو » (يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى فى مجلـــة المجمع العلمى العربى بدمشق 4 ــ 486 الصادرة عام1924 (نقلا عن حاضر اللغة العربية ص 175) .

والمستشرق « نللينو » الذى دافع عـــن الحـــرفالعربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به (يلاحظ ذلك فى « الاتجاهات الوطنيـــة فى الادبالمعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 ــ 355).

6 ــ يلاحظ مجمل هذه الدراسة فى « مجموعـــةالبحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامســـة والعشريـــن ابتـــداء منص 77 »

7 ــ اورد الدكتور انيس فريحة نماذج من هـــذهالصور فى كتابه « حروف الهجاء العربية » .

8 ــ مجموعة البحوث والمحـــاضرات : الدورة :25 ، ص 77 .

9 ــ المصدر السابق : الدورة : 26 ص 239 .

10 ــ تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر :الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ص 219 .

11 ــ المصدر السابق ص 219 .

12 ــ يلاحظ رأى الكرملى فى « الاتجاهات الوطنية »2 ــ 351 .

13 ــ المصدر السابق 2 ــ 255 . ى

14 ــ مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة :25 ص 79 .

15 ــ المصدر السابق ص 81 .

16 ــ اللسان العربى ج 1 م 9 .

متاعب اللغة العربية في العصر الراهن

الدكتور عبد الله الصوفي
- صوفيا -

تلقينا من الدكتور عبد الله الصوفي مقالا جاء فيه ان لغتنا تواجه مصاعب عدة تقف حجر عثره تحول دون تعلمها . وحصر هذه المتاعب فى ثلاث هى :

ا ــ وجود لغتين فصحى وعامية .

ب ــ وجود حركات الفتح والضم والكسر والسكون والتنوين .

ج ــ عدم ارتباط العربية التاريخى التكوينى باللغات العالمية الواسعة الانتشار فى عالمنا المعاصر وهو عالم يتميز بثورة صناعية تقنية علمية جبارة لم يسبق لها مثيل ..

ورأى لحل المعضل الاول ان يمارس التعليم فى جميع درجاته باللغة الفصحى وان يكرس يوم فى العام للتخاطب بها على نطاق الوطن العربى بأكمله .

ورأى لحل المعضلة الثانية ادماج الحركات فى صلب الكلمة ، وابتكر لها صورا خاصة تجدها فى الصفحة الاخيرة التى ننشرها مصورة فى آخر هذا المقال ثم قال:

1 ــ تنتفى الحاجة تماما الى كتابة الحركات .

2 ــ ويزول الالتباس بالنسبة للناسخ والقارىء والسامع والمتكلم .

3 ــ ولا يعود هناك حاجة للهمزة والتضعيف والتنوين .

4 ــ وتحل مشكلة الحروف الطباعية على نحو مرض اذا ما تم اعتماد الاحرف المنفصلة على غرار اللغات الاوروبية ومشاكل كثرة الرموز والحروف والمفاتيح فى الآلة الراقنة .

5 ــ يسهل تعلم القراءة بساعات لا بأيام و .. الخ

وفيما يلى ننشر بقية المقال الخاص به لان الآراء المتقدمة قد كثر تداولها وآخرها ما نشرناه فى العدد التاسع واصبحت معروفة لدى القراء .

قال الدكتور الصوفى :

لا شك فى ان اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن يجعل القراءة والمطالعة فى متناول سائر المبتدئين ويعجل عملية محو الامية اذ يصبح فى مقدور

كل امى مطالعة الصحيفة العادية بعد تعلم شكل الحروف الطباعية فقط اى الحروف الكاملة ، بل وسيصبح فى مقدور المواطن العاقل الامى تعلم القراءة لا فى ايام وانما خلال ساعات قلائل فكل ما يحتاج اليه هو تعلم شكل الحروف الهجائية المستقلة ، اما الكتابة المتصلة فلسوف تظل مقصورة على النسخ باليد كما هو شأن غالبية لغات العالم . ولن يدوم طويلا الارتباك او الاستغراب جراء اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن ، فحالة الارتباك ستكون وقتية وعارضة لن تتاثر الاجيال القادمة بها وسيزول استغراب جيلنا الحالى لها بعد حين كما كان الامر عند وضع النقاط على الحروف فى عهد الحجاج . ونورد فى الصفحة الاخيرة نموذجا للطباعة بالطريقة المقترحة.

لا توجد الطريقة المقترحة حلا مرضيا لمشكلة تحريك الاحرف فى حالة الوقف ، فمثلا ستكتب جملة طلع الفجر هكذا طلعا الفجر ؟ اما اذا ذكرنا هذه الجملة بتسكين الراء اى بالوقف للفلجر فلن يكتب بالطريقة الجديده اى حرف زائد بعد الراء ، ومن رايى ان تكتب شارة السكون على حرف الوقف ليفهم القارىء انه يجوز تحريك هذا الحرف ايضا وان لم تعين الطريقة ماهية التحريك فهل هو النصب او الرفع او الجر ، وعلى اية حال فان الوقف دون التحريك من خصائص اللغة العربية وسيظل يلعب هذا الدور .

تصبح كتابتنا ابطأ مما تعودنا حتى الآن ، ولكن هذه التضحية اصبحت ضرورية فى نظرى .

اما بشأن المصطلحات فلا بد من الاشارة الى ان معظم اللغات الحية وكذلك اللاتينية القديمة المستعملة حاليا فى المصطلحات العلمية انما تتميز بوجود جذر معين لكل مفهوم ويتوفر هذا الجذر فى سائر الكلمات ذات المدلول المشتق عن المفهوم او المدلول الاساسى وكل ما فى الامر لا يتعدى اضافة بعض الاحرف المحددة الى الجذر تتقدمه او تتبعه (اى السوفيكس والبريفكس) اللغات التى تمتلك مثل هذه السمة فى مرحلة تطور اعلى من اللغات التى سبقتها تاريخيا ومنها العربية. ان احرف الكاف والتاء والباء مثلا موجودة فى سائر الكلمات التى تمت الى فعل الكتابة بصلة ، فهى اذن بمثابة الجذر لها ، بيد ان احرف هذا الجذر قد تتباعد فيما بينها عند اختلاف المدلولات ، فلو تأملنا كلمة « مكتوب » لوجدنا ان « واوا » قد فصلت التاء عن الباء ، وفى كلمة « كتاب » جاءت الالف لتفصل بين احرف نفس الجذر . وعلى اية حال فهذه الميزة من خصائص العربية كذلك ولا حيلة لنا فيها مهما اضافت الى اللغة من تعقيدات ، ولكن وجود الجذر دون اى تغيير فى جميع مدلولات المفهوم الواحد يسهل اللغات الاخرى ويجعل من الهين ادخال مدلولات ومصطلحات جديدة ، كما يجعل من اليسير القيام بتصنيفها وترتيبها ان كلمة Télé التى تعنى البعد باللاتينية موجودة فى جميع المدلولات المشتملة عليه ضمن كلمات مركبة مثل Téléphone و Télégraphe Télévision و Télescope ... الخ ففى اشباه هذه الكلمات نجد ان كلمة البعد Télé موجودة دوما وتأتى فى البداية ثم تتلوها كلمة اخرى ، وفى مثالنا تعنى الكلمات الاربع التى اتت بعد Télé على التوالى « الصوت » و « الخط » (او الكتابة) و « الرؤية » و « التنظير » (او الملاحظة) والترجمة الحرفية للكلمات الاربع هى تيليفون : « الصوت الآتى من بعيد » وتيليغراف : « الكتابة الآتية من بعيد » وتيليفيزيون : « المشاهدة من بعيد » وتيليسكوب : « التفحص البعيد » اى ان الكلمة الدالة على وجود البعد متمثلة فيها جميعا بينما ينتفى من المصطلحات العربية الفصحى الموضوعة لهذه الكلمات اى اشارة للبعد ، فالمجامع اللغوية عربت كلمة تيليفون بـ « المسرة » او « الهاتف » والتيليغراف بـ « البرق » و « التيليفزيون » بـ « الرائى » و « المرناء » وفى اعتقادى فان اللجوء دوما الى الاجتهاد فى وضع المصطلحات الجديده دون الانطلاق من مبادىء او قواعد ثابتة معينة ودون الربط بين بعضها بعضا كما هو الامر فى اصولها الاجنبية ، يشكل عدا صعوبته واختلاف آراء الباحثين حول التسميات المقترحة ابتعادا حقيقيا عن المعنى الاصلى للمصطلح اللاتينى او الاجنبى الذى نريد تعريبه اى ان مصطلحنا الجديد سيظل يشكو من الضعف فى خاتمة المطاف .

ان الراى المنادى بتحوير الاسم اللاتينى بشكل يلائم العربية جدير بالاهتمام فاطلاق كلمة « تلفاز » — على وزن مفعال ، اسم الآلة — على جهاز التيليفزيون يهىء لنا امكان استخدام فعل من هذه الكلمة فى التصاريف (تلفز يتلفز تلفزة) ولكن هل هناك كلمات كثيرة من هذا النوع ؟

لقد عرفت العربية منذ القديم الادغام والكلمات

المركبة (عبشمى مثلا من عبد شمس وسامراء من سر من راى ...) فلا بأس اذن من اللجوء الى مثل هذا الاسلوب لجوء يتلافى كل ما ذكرناه من قصور او بعض هذا القصور .. اننى اقترح على سبيل المثال تسمية التيليفون بـ « الصوبعد » « والتيليغراف » كتبعد و « التيليفزيون » رؤبعد « والتيليمتر » قياسبعد وها هى نماذج من استعمالاتها :

تلقى فلان مخابرة صوبعدية .. شاهدت برنامجا روبعديا ملونا ... طير عدنان رسالة كتبعدية الى عمر ... اجرينا ابحاث القياسبعدية للمكان ،، الخ ،

مثال توضيحى آخر : ان الكلمات اللاتينية المنتهية بـ Itis تعنى فى المصطلحات الطبية حدوث الالتهاب فكلمة Meningitis تعنى التهاب السحايا و Hepatitis التهاب الكبد وهكذا ... وفى اعتقادى فان استعمال كلمات مثل كباد لالتهاب الكبد وقلاب لالتهاب القلب ، بالعربية ليس بالحل الافضل عند تعريب المصطلحات اللاتينية الطبية ، علما انه ليس بالامكان دوما اللجوء الى « فعال » فى سائر اعضاء البدن . والمسألة تحل نفسها من تلقاء ذاتها ؛ فمن المعروف ان مصطلح « ذات الجنب » يستخدم منذ امد بعيد للدلالة على التهاب الغشاء المحيط بالرئة ، بل والتهاب الرئة يسمى ايضا بـ « ذات الرئة » فماذا لو اعتمدنا كلمة « ذات » للدلالة دوما على حدوث الالتهاب ؟ مثل ذات الكبد ، ذات الدماغ ، ذات الشغاف ، ذات الحنجرة .. وبالتالى فان كلمة « ذات » ستلعب فى العربية دور Itis فى التسميات اللاتينية .

ان كل ما اقترحه لا يخرج عن كونه امثلة قياس تصلح كمنطلقات مبدئية يمكن السير على نهجها فى كثير من المصطلحات العلمية ، وفى الواقع فان طبيعة عصرنا الدينامى تتطلب القيام بخطوات انعطافية جريئة تستهدف السهولة والدقة ، واستئصال كل النوافل من الاستعمالات العادية . اوليس فى مقدورنا مثلا ، بغية التخفيف والتيسير ، الغاء كان واخواتها وكاد وشقيقاتها واعتبارها جميعا افعالا ما تشبه باقى الافعال الاخرى بالنسبة للتلامذة والمواطنين العاديين على الاقل ؟

حرف الفتحة : ا
حرف الضمة : و
حرف الكسرة : د

قَلْب : قالب عَرَب : عالرب
قُل : قول أَمْر : امر آل : ال

مَسْؤَل : مسلول إنسان : نُسان
رَجُل : رالجهلين رَجُل : رالجهلين رَجُلٌ : رالجهلان

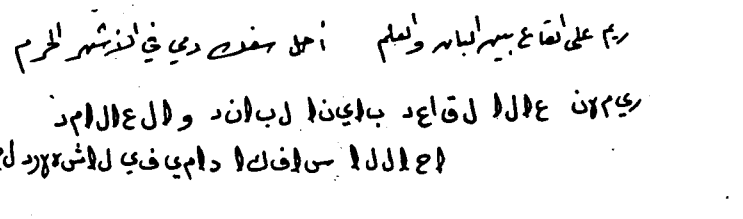

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
لكل شليئن إذا ما تما نقصانه
فلا يغرنا بيطيب العليش نُسانه

التراث العربي

وعناصره الصالحة لنهضة عربية حديثة

للدكتور عبد العزيز بن عبد الله

الحضارة فى مدلولها العام تستلزم طائفة من العناصر ، ابرزها : شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد وعظمة الجهاز السياسى وضخامة المقومات العسكرية وما شئت من مظاهر العزة والمنعة والوفرة والامن والنظام . والحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصطبغ بها ، فهنالك حضارات يطغى فيها الجانب المادى على الجانب الروحى اى تسود فيها مظاهر العمران والمدنية الملموسة وتلك سمة يغلب وجودها فى الحضارات الاوربية بخلاف الحضارات الشرقية التى تضم الى جانب هيكلها المادى مجموعة روحية لا تزال الانسانية تستمد منها الى الآن سواء فى ميدان الفلسفة ام الاقتصاد ام الاجتماع وغير خاف ان اقدم الحضارات فى العالم هى الحضارة الشرقية من صينية وهندية ومصرية وآشورية وكلدانية وفينيقية وفارسية ولهذه الحضارات الاسيوية تراث فكرى ومادى كان ولا يزال من اجل دعائم الحضارة الغربية الآرية واقول مادى لان كثيرا من الاختراعات قد استمدتها الانسانية منذ فجر التاريخ من الحضارات السامية القديمة .

ان من يتتبع مقومات الحضارات الانسانية يلاحظ ظاهرة قديمة وهى امكان رد معظم هذه المقومات الى المدنية الشرقية ففى الفلسفة وفى العلوم وفى الاقتصاد يصطدم المؤرخ بطائفة من المعلومات منتشرة فى كتب منها المطبوع ومنها المخطوط يدل مجموعها على ان كثيرا من مظاهر المدنية التى تبناها عصر الانبعاث فى اوربا ترجع لاعمق العصور ولاعرق المدنيات الشرقية .

والحضارات تتكيف تبعا للجو المحلى وطبقا لمؤثرات تتفاعل فتسبغ بطابع خاص .

فما هى وضعية الحضارة المغربية بالنسبة للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية بالنسبة للحضارات التى توالت على المغرب قبل الفتح الاسلامى ؟ وما هى علاقة الحضارة الشرقية بالحضارة المغربية فى عدوتى المغرب والاندلس ؟

ان العرب لما فتحوا افريقية والمغرب وجدوا للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية الامم التى تنازعت السلطة فى المغرب قبل دخول الاسلام اليه والحضارة القرطاجية قد قضى عليها طغيان الرومان الذين محقوا عاصمة قرطاج واستأصلوا من ربوعها الزاهرة جذور المدنية والعمران ثم بنوا على انقاضها شيئا جديدا ما لبث الوندال ان استأصلوه بدورهم ولكن لم يلبثوا فى المغرب زهاء القرن حتى انقض عليهم الروم سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزانس) فارتكبوا فيهم ما ارتكبوه هم فى الرومان وما ارتكبه الرومان فى القرطاجنيين وقد ذكر المؤرخون انه لم تمض ستة اشهر على انتصاب الروم حتى عفوا على آثار الوندال بالبلاد وخرج المغرب من سلسلة الاحتلالات الاجنبية صفر اليد خاوى الوفاض منهوك القوى ووجد سكان البلاد — وهم البربر — انفسهم كما كانوا اول مرة بدائيين فى حضارتهم وقد اكد الاستاذ الفريد بيل Alfred Bel فى كتابه (ديانة الاسلام فى بلاد البربر) (ص 64) ان مما لوحظ كون لغة القرطاجنيين والرومان وكل ما استمده البربر خلال الاحتلال الرومانى والقرطاجنى — قد اندرس بعد انقضاء الاحتلال المذكور وان البربر عادوا الى استعمال لغتهم والى اساليبهم الوحشية مما يدلنا على انهم لم يستفيدوا قلامة ظفر من حضارة قرطاج ولا روما . ولعل الاستاذ بيل نسى ان يقول بأن الشىء الذى ظل متغلغلا فى روح البرابرة هو اللغة البونية التى كانت قريبة من العربية والتى امتد اشعاعها على يد الكنعانيين العرب بين ابناء البربر من قرطاج الى قابس ومن طنجة الى بجاية .

ولكن هل كانت للبربر حضارة قبل سلسلة الاحتلالات الاجنبية ؟ ام كانوا مغمورين فى بوتقة الشعوب المتوحشة كما يزعم كثير من المؤرخين الاجانب ؟ يجب ان نعلم قبل كل شىء ان البربر اسيويون لا افارقة وانهم هاجروا من آسيا الى المغرب عن طريق مصر والبلاد الليبية وجاء برابرة الاطلس المغربى على الخصوص من ربوع الشام حيث كان يجمعهم قرب الجوار مع ابناء عمهم العرب الكنعانيين فالحضارة البربرية حضارة اسيوية بدائية ترتكز على الزراعة والرعى وقد وصف لنا مؤرخون اجانب التجانس الذى كان ملحوظا بين عادات العرب والبربر والذى كان يبلغ سويداء الحياة الاجتماعية بل والدينية وقد اخترع البربر احرفا هجائية فى الوقت الذى اخترع الكنعانيون احرفا خاصة بهم ، والحروف المعروفة بحروف تفناغ لا تزال مستعملة عند البربر الطوارق الصحراويين الى يومنا هذا . وعند ما انكشف شعاع الحضارات القرطاجنية والرومانية والوندالية من المغرب انساق البربر فى تيار حضارتهم الشرقية الاصلية التى تتبلور فيها مثل عليا ملكت منهم المشاعر وتغلغلت فى الاعماق حيث كانوا — كالعرب — يحبون الاستقلال ويتشبثون بالحرية وتجمعهم مع العرب كما قال سديو Sédillot (ميول وعواطف واحدة ومبادىء متشاكلة كحب الفخر والهيام بالحرية واكرام الضيف) .

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربى الاسلامى ازاء شعب من بني عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج العنصران ولم يزد توالى القرون هذا التمازج الا قوة فتكونت مع الزمان مدنية مغربية مزدوجة القوام انصهر فى بوتقتها تراثان كلاهما شرقى الاصل طبعه الاسلام ووسمته العروبة بميسمها الخاص

وهنا تظهر حيوية الاسلام فى افريقيا الشمالية وخاصة تلك الحيوية التى اقر بها الفريدبيل كما اقر بها قبله وبعده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذى استطاع وحده ان يخلق فى هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سموهما واعنى بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة ترابها وتراثها وهذا الشىء قد اوجده الاسلام الذى انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على مر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى — هى حضارة الاندلس — استمدت روحها من تراث الشرق الذى نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمته ولا سداه ليمتد الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر فى تكييف العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكرى ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحوا من ثلاثة قرون اى منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتى مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هى المنوال الذى حاك عليه رجال الفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقى والمغربى اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر ادبا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلى .

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها اى اثر يذكر للحضارة اللاتينية التى قدر لها ان تمر مر السحاب فى هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صميمة اى شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالاخص مدينتى فاس وقرطبة مع عواصم الشرق فى حمل راية الحضارة العربية الاسلامية فى العالم ايام كان الجهل رابضا بكلكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكرى والروحى يستمد من نبراسه الاروبيون كما هو معلوم عند من له ادنى الم بتاريخ الحضارات .

وتراث العروبة نفسه لم يكتمل فى كثير من مقوماته الا بمساهمة المغاربة فى بناء صرحه كالشريف الادريسى (استاذ اوربا) بجغرافيته وابن بطوطة برحلاته وابن خلدون باجتماعياته والحاتمى باشراقاته وابن رشد بفلسفتهوفقهه وطبه وابن الخطيببأدبياته ونكاته (التى يبذ بها الجاحظ فى كثير من الاحيان) وابن حزم بتنسيقاته الفلسفية والدينية وابن طفيل بنظرياته فى الفلسفة الفطرية .

فنحن معشر المغاربة بعنصرينا امة عربية المحتد شرقية الروح اسلامية العقيدة وحضارتنا حضارة شرقية عربية اسلامية فى جوهرها ومقوماتها .

وهى حضارة تتمثل فيها كل المؤهلات التى تتكون الحضارة من بعضها فضلا عن مجموعها .

وقد عاش المغرب والاندلس متحدين نحوا من ثلاثة قرون (من عهد المرابطين الى اوائل عهد المرينيين) وتم الانصهار والتمازج بين العنصرين اللذين كانت تجمعهما عوامل شتى لما كان بين البلدين من اواصر التزاور والمبادلة فكانت الوفود الاندلسية تترى على مراكش عاصمة المرابطين والموحدين ثم على فاس حاضرة المملكة المغربية فى عهد المرينيين وكان افراد الشعب المغربى الذين يهبون بين الفينة والفينة لانجاد اخوانهم سكان العدوة الشمالية يتصلون بالعناصر الاندلسية ويقتبسون منها فكريا واجتماعيا واستمر الاحتكاك عن طريق رجال مشهورين خلال القرنين الخامس والسادس حيث ظهر فلاسفة واطباء افذاذ كابن طفيل وابن رشد وبنى زهر ولم يكد ينتصف القرن السابع الهجرى الذى شهد سقوط معظم العواصم الاندلسية فى قبضة الاسبان حتى تضخمت حركة الهجرة فكان لذلك اثره الفعال فى حياة المغربالناعمة وقد توالى سيل المهاجرين الاندلسيين ايام السعديين فنقلوا معهم نماذج الحضارة الاندلسية التى طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية وعند ما وقع النفى العام بالاندلس غصت رحاب بعض كبريات المدن المغربية كفاس وتطاون وسلا بطماء وشعراء وفنانين وتجار وارباب حرف ساهموا فعليا فى صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرافة والرصانة والسمو وقد امتزجت كثير من العادات والمظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه رد كل منهما الى ينبوعه فى كثير من الاحايين .

وقد ابرز الدكتور رينو Reinaud فى كتابه الطب القديم بالمغرب (نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72) « امتزاج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين » فما هى اذن هذه العناصر الخالدة التى بلورت حضارة المغرب والتى لا تزال فى روحها ومبناها كفيلة بدعم كل تطور عربى فى العصر الحديث ؟

فمن ابرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة تلك العناصر الاساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكز عليها الانبعاث فى اوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة الف عام الاطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية فى مختلف مجاليها الانسانية فقد برهن العرب

طوال قرون عن اصالة نادره وعن روح خلاقة وعن استعداد للتكيف فأبدعوا منهجا تجريبيا رصينا لم يكن للانسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر ودعم التبادل بين الشرق والغرب فى تسامح وموضوعية وانكار للذات وتطلع عارم الى التضلع من اللغات واستكناه مختلف الاتجاهات والنظريات والمذاهب والنظم والعادات لدى الامم والشعوب تفتيقا للفكر وتوسيعا للافق وبذلك شادوا بنيانا شامخا ما زال الى الآن موئلا ومنبعا للفكر الانسانى النزيه .

فلنستعرض اذن الوانا من الكشوف المغربية فى مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها ثم بعض المجالى الاجتماعية والاقتصادية والفنية لنستشف مدى اسهام المغرب الاقصى فى دعم الكيان العربى الاسلامى خاصة والانسانى عامة — فكرا وحضارة — بعناصر لا تزال غضة فى منهجيتها وقوامها .

كان القرن الرابع فى الاندلس هو عصر النهضة تفتق فيه الفكر العربى سواء من حيث دراسة الفنون والتقنيات ام من حيث الاختراعات والكشوف العلمية (1) وهكذا برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى فى عصره عرب «مفردات ديسقوريدس» وزاد عليها الادوية التى جهلها والتى كانت معروفة عند العرب كما برز ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » الذى كان اعظم ممثل لفن الجراحة فى المدرسة العربية (2) اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى وكتابه يعد اللبنة الاولى فى هذا العلم اذ هو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخرجها بتشريح جراحى وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير فى رتق الجراحات والظاهرة التى امتاز بها هذا الكتاب هو روحه التجريبية وتركيز النصوص على آلات اثبت صورها فى كتاب هو اول تعبير للجراحة كعلم (3) ويرى لوكلير (4) ان المغرب كان اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية يشهد بذلك — حسب القفطى (5) عدد الاطباء والصيادلة المغاربة الذين رافقوا المعز الفاطمى الى مصر .

وكانت بفاس فى القرن الرابع « مدرسة طبية (6) كما كان البرابرة قبل هذا العصر يستعملون الحقن بجراثيم الجدرى لضمان حصانة المصاب (7) على ان القرنين الخامس والسادس قد عرفا فى المغرب الاقصى تحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثيل — كما قال لوكلير (8) تشهد بذلك رعاية البلاط المراكشى لامثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبنى زهر وقد اتصل بهذا الفن علم الصيدلة وعلم العقاقير والفلاحة حيث يعتبر كتاب ابن العوام ابى زكرياء يحيى بن محمد عديم النظير فى الادب العربى (9) « لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة وثمينة » بل هو اعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة « وقد كان الشريف الادريسى السبتى من هذا الطراز فطاف فى آسيا واوربا ووصف نباتات كل قطر وصفا اصيلا (10) وكتابه فى الادوية ملىء بالملاحظات

---

1) لوكلير ـ تاريخ الطب العربى ج 2 ص 350
2) لوكلير ج 1 ص 334
3) لوكلير ج 1 ص 456 ويوجد فى المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د جزء من هذا الكتاب يحتوى على 28 صورة للمكاوى وآلات التشريح .
4) ج 1 ص 407
(5) « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص 85 .
6) « شهيرات نساء المغرب » للكانونى (مخطوط) نقلا عن « فن الاسنان بالمغرب الاقصى » لكاتب اوربى لم نستبن اسمه فى المخطوطة .
7) كودار — وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239
8) ج 2 ص 72 .
9) ج 2 ص 11 و 110
10) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34

الشخصية اقتبس منه ابن البيطار فى مائتى موضع من كتابه فى الاعشاب (لوكلير ج 2 ص 8) واعتمد عليه وحده فى ثلاثين موضعا (ص 68) كما اعتمده استاذ ابن البيطار ابو العباس النبطى وهو مع تلميذه ابرز العلماء النباتيين العرب الذين لم ينجب الشرق من يضاهيهم فى هذه الآونة عدا فخر الدين الرازى وقد استطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه — كما يقول لوكلير (11) — ان يحمل راية الفلسفة والطب فى العالم الاسلامى وبفضل هذا الانبعاث العربى فى الاندلس صارت اوربا تنفض عنها اردية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتينى واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية فنقل جيرار دوكريمون وحده من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او اغريقيا معربا على ان حركة الترجمة بدأت فى المغرب العربى منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسى الصقلى قد اسس مدرسة سالرنا وهى اول مدرسة من نوعها فى اوربا كانت مبعث انوار الطب الحديث فى العالم الغربى شارك فى التدريس بها الطبيب يونس العربى الفاسى (اللسان العربى ج 5 — بحث الدكتور احمد مكى) وقد ولد عام 400 بتونس (وتوفى عام 475 هـ) وظلت المخطوطات الطبية العربية التى حملها الى سالرنة غذاء اوربا عدة قرون وقد ترجم للاتينية اهم كتب الطب العربى كزاد المسافر لابن الجزار وكتب للرازى واسحق بن سليمان الاسرائيلى والف نحوا من اربعة وعشرين كتابا منها « قانون الطب » فى اثنى عشر مجلدا وفياتيكوم (12) فى الطب العام فى سبعة اجزاء .

ونبغ فى الشرق العربى فى هذا العصر علماء افذاذ تساوقت ابتكاراتهم مع زملائهم فى الغرب منهم السويدى صاحب « التذكرة » المتوفى عام 691 هـ وابن ابى اصيبعة وجمال الدين القفطى على بن يوسف المصرى (646 هـ) وعبد اللطيف البغدادى (629 هـ) (حيث امتاز فى وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصرى (687 هـ) الذى كان اعظم اطباء عصره ولعل مما ساعد على تطور الطب وما اتصل به من علوم سهر المنصور الموحدى على مصالح الاطباء وتنظيمه لمهنة الطب وقد سبقه الى ذلك الخليفة المقتدر الذى فرض على الاطباء تأدية امتحان تقنى فبلغ عدد المتخرجين ببغداد عام 319 هـ ثمانمائةوستين طبيبا (13) وقد اجرى اول امتحان للصيادلة ايام المعتصم عام 221 هـ .

وكانت التجربة هى الطريقة العادية عند الاطباء حيث ظهر كتاب التذكرة لابى العلاء زهر بن زهر الاندلسى الذى كان والده ابو مروان عبد الملك بن ابى بكر رئيس الطب ببغداد ثم بمصر والقيروان (14) وهو كتاب ترجم الى الفرنسية عام 1911 م بعد ان تعددت ترجماته عشر مرات بين 1490 و 1554 م) كمجموعة من الملاحظات سجلها ابو العلاء لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة فى مراكش وبالادوية

---

11) ج 2 ص 72 وقد اعتمد ابن البيطار ايضا على عبد الله بن محمد بن صالح الكتامى الحريرى الشجار الذى كانت له حانوت بمراكش عام عام 583 هـ (اللسان العربى ج 6 ص 1968)
اما النبطى فهو احمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية او ابن العشاب ولد باشبيلية عام 561 هـ) ودرس الاعشاب شخصيا دون اعتماد على ديسقوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وقد رحل الى الشرق عام 613 هـ او 614 هـ بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب وصنف معجما للحشائش وفاق اهل زمانه فى معرفة النبات وتوفى باشبيلية عام 638 هـ (نفح الطيب ج 2 ص 635) وذكر لوكلير بصدد ابن البيطار (ج 2 ص 225) انه اعظم نباتيى العرب وقد تنقل فى جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وخلف لنا اعظم مجموعة فى العلوم الطبيعية وقد عينه الملك الافضل فى مصر رئيس عشابى القاهرة وقيل رئيس اطباء مصر (النفح ج 2 ص 683) وكتابه « جامع المفردات » اكمل ما صنفه العرب فى الطب يحتوى على الفى وصفة للعقاقير ترجمه لوكلير الى الفرنسيةوقد كان النبطى — حسب احاطة ابن الخطيب اماما فى الحديث حافظا ناقدا .
12) او (Viatique) ومعناه زاد المسافر
13) القفطى ص 130
14) نفح الطيب للمقرى ج 1 ص 445

المناسبة لها ولابى العلاء ايضا « مجربات » طبية جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط لها فى الاسكوريال (رقم 844) ولعل ولده ابن زهر ابا مروان عبد الملك مؤلف كتابى « الاقتصاد » و « التيسير » قد بذ سابقيه حيث اعتبر اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازى فى الشرق (15) وكان لا يعالج الا بعد الفحص الدقيق وجس النبض والنظر الى قوارير البول لتحليله وقد نهج ابن زهر خاصة فى كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة يصف الدواء على غرار اطباء عصرنا ويباشر الصيدلة لتجربة الادوية بنفسه ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية فى البلاط المراكشى الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله كالامراض الرئوية (التى منها تشريح القصبة فى مرض الذبحة) وكذلك التخصص فى الجهاز الهضمى حيث استعمل الانابيب المجوفة لتغذية المصابين بعسر البلع والحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب وارتكز على الطبيعة لعلاج الادواء (16) وكان سر نجاحه هو تشبعه بروح العصر الحديث حيث كان يتسم مثلا بنكران الذات فينسى نفسه ويستغرق فى مريضه وقد عرضت عليه حالات خطيرة حاول ان يعيشها مستمدا من ذكرياته وتجاربه ومنطقه وقد ابرز كودار (17) Godard هذه الميزة عند ابن زهر فاكد انه استعاض بالمنهج التجريبى والطريقة العقلية عن التقليد فى ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة والجراحة والطب العام ولعل من النقص الملحوظ فى عصرنا الحاضر تباعد هذه العناصر المتزايد بعضها عن بعض اما الحفيد ابو بكر بن ابى مروان (596هـ) فقد اضاف الى تضلعه فى الطب مشاركته فى العلوم الاسلامية حيث كان محدثا يحفظ صحيح البخارى بأسانيده (18) ولم يكن فى زمانه اعلم منه باللغة وكان شاعرا يحفظ ديوان ذى الرمة وهو ثلثلغة العرب(19) وظاهرة المشاركة هذه توفرت فى كثير من الاطباء كأبى جعفر بن هارون الترجالى تلميذ ابى بكر المعافرى فى علم الحديث والمتخصص فى طب العيون وابى يحيى هانىء بن الحسن اللخمى الغرناطى المشارك فى الحديث والاصول والطب الذى (20) تتلمذ لابن فرتون بفاس ومن الاطباء الذين كان لهم باع طويل فى التجارب العلمية الوزير ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة شيخ ابن رشد المتوفى بفاس عام 533 هـ (21) وقد تعاون معه تلميذه ابو الحسن سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 هـ فى تأليف كتاب التجربتين (22) على ان ابن رشد نفسه ضرب اروع مثل فى المنهجية التجريبية فاقترح فى شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء فى الامراض الرئوية مشيرا الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (23) وابن رشد هو اول من اشار الى الدورة الدموية الكبرى وعللها فى كتابه « الكليات » الذى استمد منه ويليام هارفى (William Harvey) معظم نظرياته وقد سبقه ابن النفيس المصرى الى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى او الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (24) .

وهذه الروح العلمية الفياضة هى التى تمخض عنها ما اشار اليه مؤرخ فرنسى من الد اعداء العرب هو رونان (Renan) فى كتابه Averroès et

---

15) ذكر ابن عبد الملك فى « الذيل والتكملة » ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل عصره .
16) حضارة العرب ــ كوستاف لوبون ــ الطبعة الفرنسية ص 530 .
17) تاريخ المغرب ص 452 .
18) الاتيس المطرب ج 2 ص 180
19) المطرب لابن دحية
20) ابن ابى اصيبعة ج 2 ص 75
21) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 335 .
22) ابن ابى اصيبعة ج 2 ص 63 والقفطى ص
23) لوكلير ج 2 ص 79
24) حضارة العرب ص 531 (الطبعة الفرنسية)

«l'Averroïsme»(ابن رشد ومذهبه) من اعتراف كريسطوف كولومب فى رسالة تركها بعد موته بأن الذى اوحى اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربى فى كتابه « الكليات » على ان مجلة « نيوزيك » الامريكية اكدت (فى عدد ابريل 1960) ان العرب انطلقوا قبل سنة 1100 م (اى قبل كريسطوف كولومب بأربعة قرون) من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الاقصى فرسوا فى عدة مواضع على الساحل الامريكى واكد هذه النظرية كثير من العلماء (25) .

اما المارستانات وهى المستشفيات والمصحات فقد وصف عبد الواحد المراكشى (26) الذى عاش فى بغداد ــ المستشفى الموحدى قائلا :

« وبنى اى المنصور الموحدى بمراكش بيمارستانا ما اظن ان فى الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع فى البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المثمومات والمأكولات واجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك فى وسط احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت واجرى له ثلاثين دينارا فى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية واقام فيه الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان فى كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى .. ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات .

وذكر ميليى (فى كتابه الموحدون) المؤلف عام 1923 ص 129 ان هذا المستشفى « لا يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس » .

ولا بدع اذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابة بالنسبةلاوربا فقد قال ولتر فىمختصر التاريخ: « ازدهر علم الطب والتداوى عند العرب على حين كان الاوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون اربابه اذ ان الكنيسة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوى فى زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائر القديسين وبالتعاويذ والرقى التى كان يبيعها رجال الدين» الى ان قال : وكان الاوربيون يستنكفون من النظافة لانها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

وقد كان الاوربيون يضطرون الى اللجوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانجه توجه الى قرطبة من اجل العلاج من مرض الاستسقاء (لوكلير ج 2 ص 351) .

وبدأ افول الحركة الفكرية فى المغرب آخر الدولة المرينية بعد سقوط غرناطة اواخر القرن العاشر الهجرى وردود فعل الاسبان الانتقامية (Reconquista) فلم ينبغ فى البحث العلمى عدا رجال قلائل امثال الوزير الغسانى مؤلف كتاب « حديقة الازهار » الذى نشر عنه الدكتور رينو (27) دراسة اكد فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جدا فى الوصف النباتى الذى يتسم غالبا بطابع الاصالة والطرافة مع محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديدا فى وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية وقد ظل المغرب مع ذلك خلال العصور الاخيرة من تاريخه ــ بالرغم عن احتلال البرتغال والاسبان لبعض مراسيه ومحاولة تدخل الاتراك فى شؤونه ــ يواصل منهجه التجريبى على نطاق ضيق حيث ظهرت اساليب (28) لمعالجة انواع الرمد وتشريح العين لازالة غشاوتها وتخدير

---

25) نشرة المعهد المصرى 26 عام 1934 ــ بحث بقلم ماكس ما يرهوب ص 33 وقد اشار ابن النفيس الى ذلك فى « الكتاب الشامل فى الطب » الذى كان يحتوى على ثلاثمائة مجلد اهدى منها المؤلف ثمانين مجلدا لمستشفى قلاوون .

26) راجع الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص 13

27) المعجب ص 177 ــ كتاب ميليى (Les Almohades - millet) ــ 1923 ص 129

28) نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج 18 ص 195

المرضى قبل العمليات الجراحية واستخدام وسائل الايحاء والتنويم مع المهارة فى طب الاسنان وقد اعطانا الطبيب احمد بن حمدون بن الحاج (29) المتوفى عام 1316 هـ (30) للمرة الاولى فى تاريخ المغرب تقسيما فنيا للادوية كما صنف الشريف العلمى السذى درس بالاسبطالية الكبرى بالقاهرة عام 1291 هـ كتاب « ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكى بلغة اهل فاس » (طبع عام 1318 هـ) يحتوى على مفردات بربرية ولاتينية وافرنجية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد والتقطير ووصف العمليات العلمية وهو كتاب متين التحليل يعتبر نقطة تحول فى تاريخ الطب المغربى .

ولنضرب الآن مثلا آخر بشعبة من العلوم هى الرياضيات فقد كان العرب اساتذة النهضة الاوربية فى الحساب (31) وقد فند سيديو (Sédillot) (32) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرا الى ما ابدعه الفكر العربى فى هذا المجال مثل ادراج الخطوط المماسة للدائرة (tangentes) فى الحسابات والاستعاضة عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا فى علم حساب المثلثات الحديث (trigonométrie)

وقد لاحظ العالم شال (Chasles) انه كان للعرب فضل التفكير فى تطبيق الجبر على الهندسة وتاكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمى منذ عام 1836 م من طرف روزن (Rosen) ومن بينها بحث فى الجبر حلت مشاكله فى المعادلات الثلاثية بطريق هندسية ويقا لبان الخوارزمى هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية (équation de 2e degré)

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن ابراهيم (33) ولعل لفظتى الغوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمى الذى يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش فى عصر المأمون العباسى ونقلت كتبه فى الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد ابدع العرب فى علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها فى علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامى اى المغرب الكبير والاندلس فى بلورة هذا الاشعاع العلمى العربى فظهر ابن حمزة المغربى فى القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة فى اللغريتم ، واشتهر فى الاندلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة وابو القاسم اصبغ بن السمح (له تآليف منها المدخل الى الهندسة فى تفسير اقليدس وكتاب كبير فى الهندسة) وابو القاسم بن الصفار وابو الحسن الزهراوى (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف فى المعاملات) وابو الحكم عمر الكرمانى (من الراسخين فى العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان متصرفا فى الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابو الحسن مختار الرعينى (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطى (ناقد فى الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع فى العدد والهندسة) وابو حى القرطبى (بصير بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ) وابو الوقشى الطليطلى (الهندسة) (النفح ج 2 ص 874) .

وقد احصينا فى «معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى» الذى نشرناه عام 1385 هـ — 1965 م فى مجلة « اللسان العربى » (العدد الثالث ص 134) نحوا من مائة وثلاثين من المهندسين والرياضيين وعلماء الهيئة المغاربة الذين برزوا فى هذا القطاع العلمى الهام وخلفوا لنا تراثا رائعا اسهموا به فى دعم صرح الحضاره والبحث العلمى فى العالم ومن بين هؤلاء :

1 — المهندس الحاج يعيش الذى بنى لعبد المومن ابن على الموحدى مقصورة وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله .

2 — المهندس عبيد الله بن يونس الذى استخرج مياه السقى بصنعة هندسية (35) .

29) راجع كتابنا « تاريخ الطب والاطباء بالمغرب » 1380 — 1960 ص 72
30) رينو ص 8
31) الاعلام للمراكشى ج 2 ص 246
32) كوتيى (Gautier) فى كتابه عادات المسلمين واعرافهم ص 238 .
33) تاريخ الطب العربى — لوكلير ج 1 ص 320
34) حاضر العالم الاسلامى ج 1 ص 151 .
35) نزهة المشتاق للادريسى ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقية والاندلس .

3 ــ ابن الياسمين الذى ولد بفاس اواسط القرن السادس والخبير فى الجبر والمقابلة .

4 ــ المهندس المعمارى ابو عمران موسى بن حسن بن ابى شامة مصمم بعض الاجنحة فى جامعة القرويين عام 599 هـ .

5 ــ ابن البنا المراكشى (المتوفى عام 721 هـ) صاحب مقدمة اقليدس ومختصر الفلاحة والاصول فى الجبر والمقابلة وتلخيص فى الحساب شرحه ابن المجدى احمد بن رجب بن طنبغا القاهرى عام 850 هـ واختصره ابن الهاشم القرافى المتوفى عام 815 هـ .

6 ــ على اليفرنى المكناسى (734 هـ) وهو امام الرياضيات فى عصره (36) .

7 ــ على بن احمد التلمسانى صانع منجانة المدرسة العنانية بفاس عام 758 هـ (37) .

8 ــ امير المؤمنين فى الحساب ابراهيم المصمودى 912 هـ (38) .

9 ــ الفلكى احمد الغزانى الفاسى (39) 920 هـ .

10 ــ محمد بن هلال امام التعاليم فى سبتة وشارح المجسطى فى الهيئة (949 هـ) .

11 ــ ابن مشون محمد بن يوسف السبتى صاحب الرجز فى الجبر والمقابلة (40) عام (989 هـ) .

12 ــ السلطان احمد المنصور الذهبى الذى كان يفك كل يوم شكلا من كتاب اقليدس (41) .

13 ــ شيخ جماعة الفنون بمراكش احمد التقليتى الاختصاصى فى الرياضيات والمساحات والهندسة وهو من رجال القرن الحادى عشر .

14 ــ محمد بن محمد بن سليمان الرودانى الفاسى (1094 هـ) الخبير الاوحد فى الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمساحة وقد عاش فى بغداد فذاع صيته واخترع آلة فلكية وصفها صاحب نشر المثانى (ص 87) .

15 ــ المنجم الرياضى محمد المسناوى مرينو (1207 هـ) صاحب كتاب « تقدير قرض النفقات » فى علم الاقتصاد الرياضى .

16 ــ الاستاذ المعطى مرينو (1223 هـ) صاحب كتاب « كنز الاسرار فى تعديل الكواكب » وكتاب ابعاد النيرات ورصده وكتاب المزاول .

17 ــ احمد بن عبد الله التنسانى الصويرى (1320 هـ) صاحب المؤلفات العديدة فى الجبر والمقابلة واللوغاريتم والذى حل اشكالا هندسية نقلها الى الرياضيات وكان رئيس الرياضيين والمهندسين ورئيس المدفعية فى الجيش المغربى .

واذا اعتبرنا شعبة اخرى من العلوم التطبيقية كعلم الجغرافيا نلاحظ ان الخرائط العربية الاولى كانت عبارة عن خلاصة لما ورد عن بطليموس وظل العالم طوال الف عام عالة على هذا الجغرافى والفلكى اليونانى الذى هو من رجال القرن الثانى الميلادى حتى ظهر الشريف الادريسى الذى وصفه كوتيى (42) بانه استاذ اوربا فى الجغرافية حيث ظل الغربيون يستمدون ازيد من ثلاثة قرون من خريطته العالمية فكان اطول باعا من بطليموس واكثر دقة فى ملاحظاته وتقريراته لان بطليموس احصيت عليه فى تقديره للمسافة الفاصلة بين طنجة والاسكندرية وحدها اغلاط بلغت ثمان عشرة درجة طولية بينما تقل اغلاط تقديرات الادريسى للاطوال ما بين طنجة وطرابلس الغرب عن درجة واحدة وقد نبه الادريسى على هذه

---

36) درة الحجال ص 441
37) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 31
38) درة الحجال ص 107 وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) .
39) درة الحجال ص 91
40) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 263
41) درة الحجال ص 176 + الدرة ص 51
42) فى كتابه عادلت واعراف المسلمين عند ما تعرض لـه .

الاغلاط ومعلوم ان الاقتصاد فى كل امة يعد قواما جوهريا فى تطورها الحيوى وقد اسهم العامل الاقتصادى فى بلورة الحضارة المغربية منذ فجر الاسلام فالامة المغربية قد استقبلت الفاتح العربى كمحرر لا سيما وان العرب حملوا معهم الى افريقيا كما يقول كوتيى « حكومة نظامية مجهزة بجميع المقومات العسكرية والادارية » فكان فى ذلك الخلاص من جبايات مرهقة فرضها الرومان الذين احالوا الشمال الافريقى الى « مخزن محصولات » لامداد روما فكان الامبراطور الرومانى نفسه اكبر ملاك عقارى فى المغرب الكبير ومنذ اواخر القرن الثانى الهجرى انطلق الاقتصاد المغربى من عقاله فانتظم واصبح « منطقيا قارا » — كما وصفه المؤرخ طيراس فى تاريخ المغرب وامست عاصمته الادريسية فاس مركزا اقتصاديا ومكريا رسم الخطوط الاولى للوحدة القومية والتخفيف من عوامل الانفصالية والتشتت القبلى لا سيما بعد ان تجمعت فى العاصمة الجديدة ثمانمائة عائلة اندلسية هاجرت اليها (عام 202 هـ — 818 م) بعد وقعة الربض وقبلها ثلاثمائة اسرة قيروانية (198 هـ) وقد شاهد المغرب اول عملة وطنية مستقلة عام 185 هـ حيث تبلور الاشعاع الحضارى باستقرار اقوى (حتى فى الصحراء) وتصاعد العمران وانبثاق مدة جديدة وتعززت الفلاحة التى كانت محور الاقتصاد باعمال الرى الكبرى وازدهرت الحركة التجارية فكانت سجلماسة الصحراوية مركزا للقوافل بين المغرب والبصره وبغداد وكانت الظاهرة الاساسية التى اتسم بها هذا العصر هى الطمأنينة والامن مما شجع ظهور البوادر الاولى لانتشار الضيع الزراعية وما لبث هذا الاقتصاد ان تكيف فاتسعت مصادره وموارده باتحاد الاندلس والمغرب وهكذا فعند ما كشف عباس ابن فرناس الاندلسى وهو اول طيار عربى بالاضافة الى الجوهرى استخدم آلة لامتطاء الاثير — طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجر تكونت آنذاك مجموعة من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف وعمرت العالم باصناف المنجزات من اقداح وعلب وانابيب وآوان كيماوية وكانت المصانع تنفخ الزجاج وتفرغه وتنحته وتعزز بذلك فن الترصيع فى دمشق والزجاج البلورى الرقيق الذى سبقت به مصر صناعات بروسيا وتشيكوسلوفاكيا اوائل هذا القرن

وقد جعل الموحدون — كما يقول اندرى جوليان فى تاريخ افريقيا الشمالية — حدا للفوضى المالية التى كان يتخبط فيها ملوك الطوائف فظهر عنصر جديد هو التصنيع واصبحت سبتة مركزا دوليا لانتاج الورق يضاهيه جودة ورق شاطبة فى الاندلس وسامرا فى العراق وكانت هذه المراكز تمد اوربا الشرقية والغربية وقد عثر المستشرق كازيرى فى الاسكوريال على مخطوط عربى من ورق القطن يرجع تاريخه الى عام 1009 م (وهو هذا العصر بالذات) يدل على ان الورق المقصود كان من القطن وقد سبق المغرب اوربا الى صنعه ومعلوم ان العرب اول من صنع الكاغد من الخرق البالية (لوبون — حضارة العرب — ص 519) وقد اصبحت فى فاس وحدها ايام الموحدين 3094 مصنعا للنسيج و 47 للصابون و 12 لتسبيك الحديد والنحاس واحد عشر معملا للزجاج واربعمائة لصنع الورق او الكاغد (43) علاوة على الثروة المعدنية التى اتخذت موادها الاولية من حديد ونحاس وفضة وتوتيا وغيرها منطلقا لسلسلة مصانع انتشرت بسرعة فى حواضر المغرب وبواديه بالاضافة الى مصانع السكر فازدهرت المبادلات بين المغرب ودول اوربا وخاصة موانىء بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية وكان المسلمون آنذاك هم اول من نظم الاساليب التجارية طبقا لمقتضيات التجارة الدولية — كما يقول اندرى جوليان — الذى اكد ان الاسطول المغربى اصبح آنذاك اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط .

ونفتح هنا قوسا صغيرة لنؤكد ان هذه الروح القانونية نجدها متبلورة فى مواقف المغرب الذى كان يقف دائما فى صف الشعوب التواقة الى التحرر كشعب الولايات المتحدة الذى كان المغرب اول دولة اعترفت باستقلاله فى العالم ايام السلطان محمد بن عبد الله المحدث الفقيه السلفى (المتوفى عام 1204 هـ) الذى كانت دول اوربية تدفع لاسطوله جزية سنوية لحمايتها من القرصنة فى البحر الابيض المتوسط كما برهن عن روح دولية اكد المؤرخ والحقوقى الفرنسى

43) زهرة الآس للجزنائى ص 33

الكبير جاك كايى انه سبق بها ما عرفتـــه اوربـــا فى العصر الحـــاضر .

وكانت هذه الفترة التى استمرت ازيد من ثلاثة قرون اروع فترة فى تاريخ وحدة المغـــرب العربـــى تفتقت خلالها معالم الحضارة ومراسم العمارة وبدائع الفن انضافت الى قوة التخطيط الاجتماعى الذى تبلور فى تأمين السبل الصحراوية والتفجر الديمغرافى وتكاثـــر المارستانات وتزايد المـــدارس والاحيـــاء الجامعيـــة وانطلاق مصانع المراهم والادهان والاكحال (44) ولعل من ابرز مظاهر هذا الازدهار آخر ايام بنى مرين القوة الشرائية للنقود حيث لاحظ ابن بطوطة انها كانت تعدل فى المغرب ثلاثة اضعافها بمصر وبالرغم من النكبات التى بدأت تترى على المغرب بعد نكبـــة « الفردوس المفقود » فان المنصور السعدى استطاع اواخر القرن العاشر الهجرى فى معركة « وادى المخازن » ايقاف غزو البرتغال للشواطىء المغربية مع تقليص النفـــوذ الاستعمارى البرتغالى فى البحر الهنـــدى والخليـــج العربى كما كان اسطوله قبل ذلك رادعا للصليبيين فى سواحل الشام وفلسطين وصعقت اوربا بعد الهزيمة النكراء التى الحقها المغرب بالبرتغال الـــذى فقـــد استقلاله من جراء هذه الضربة ازيد من ستين سنـــة فصارت الدول الغربية تخطب ود السلطان السعدى واقترحت انجلترا عليه التعاون لتأسيس كوندومنيوم الهند ونفق الدينار الذهبى المغربـــى على الصعيـــد العالمى وتصاعد التصنيع وخاصة تكرير السكر الذى اصبح البلاطان الفرنسى والانجليزى يتنافسان فـــى اقتنائه كأجود ما ينتجه العالم وبعث المغرب تقويـــة لمبادلاته مع اوربا عملاء للدعاية لمنتجاته كما شارك فى المعارض الدولية كمعرض باريز عام 1285 هـ وحمى الصناعة الاهلية من المزاحمات الاجنبية وبذلك برهن فى شتى المجالات على تساوقه مع ما يستجـــد مـــن معطيات الحضارة بأوربا وقد عرف المغـــرب انظمـــة اقتصادية واجتماعية سبقت الاحـــداث والكشـــوف الاوربية فقد منحت الدولة مثلا القروض للدور التجارية لجلب المحاصيل اعوام الجفاف وبيعها بأثمان فى متناول الشعب كما كانت تتخذ كل الوسائل لالغاء ما يزيـــد على الاعشار والزكوات من مكوس وجبايات تخفيفا لوطأتها على الشعب وعلى اقتصاديات البلاد ولعـــل المغرب كان من اكثر الشعوب ايمانا بفعالية العمـــل كراس مال قبل ظهور نظرية كارل ماركس التى يعتقد انصار الاشتراكية والشيوعية بأنهـــا مكسب جديـــد للانسانية فقد اكد ابن خلدون فى تاريخـــه (45) ان « الكسب هو قيمة الاعمال البشرية » فلذلـــك لاحـــظ ماسينيون فى احصاء قام به عـــام 1924 للصناعـــة المغربية (46) ان عدد رجال الحرف فى المدن المغربية يعادل نصف عدد السكان كما اعترف المؤرخون الاجانب بأن نظام الحناطى عندنا وهو اشبه بما عرف اخيرا فى ايطـــاليـــا (système des corporations) كان يعمل فى اطار من الحرية الكاملـــة لم يفسد الا باحتكاكه بنظريات اوربا وقد امتاز الانتاج الصناعى المغربى بجوده نادرة فتحت له منافذ فى اوربا الى آخر القرن الماضى ويكفى دليلا على ذلك قطن المغرب الذى كان فيه نوعان معروفان فى اوربا « سى ـــ ايسلاند » لهما سدى حريرى طويل من الطراز الامريكى وقـــد تساوق مع ازدهار التصنيع ازدهـــار الفلاحـــة حيث بلغت السوائم وحدها خمسين مليون رأس من الغنم والمعز ستة ملايين رأس من البقر (47) ويرجع التفجر الديمغرافى بالمغرب لقلة الوفيات ولارتفـــاع معـــدل الاعمار الى ما بين 65 و 70 سنة فى الحواضر ومائة فى الاطلس بفضل انتشار المارستانـــات والملاجـــىء الصحية وخلو المجتمع الاسلامى من امراض العصر الناتجة عن الخمور او الزنا مثل الامراض التناسلية التى عرفت بالمغرب بالامراض الاسبانية او الفرنسية)

اما فى الحقل الجامعى فقد احتفل المغـــرب منـــذ سنوات بذكرى مرور احـــد عشر قـــرنا على تأسيس جامعة القرويين التى مافتىء المؤرخـــون الغربيـــون يعتبرونها اول مدرسة فى الدنيا » لا تزال قائمة الى الآن كما اعتبروا مدينة فاس فى افريقيا اشبه بأثينا عاصمة الفكر بأوربا واعتبرهـــا المشارقـــة انفسهم وخاصة منهم العراقيين كبغـــداد المغـــرب (48) اى

44) المعجب لعبد الواحد المراكشى ص 177
45) م 1 ـــ ق 3 ص 686 و 709 طبعة بيروت
46) النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية رقم 49 ـــ 50
47) كودار صفحة 188
48) المعجب للمراكشى

كعاصمة للغرب الاسلامى بالنسبة لدار السلام فى حاضرة الخلافة وهكذا امتاز المغرب بمدارسه الرائعة التى هى احياء سكنية للطلبة كما امتاز بمعاهد تقنية فى القرن الماضى كمدرسة المهندسين (49) ومدرسة المدفعية (بالجديدة) ومدرسة الفنون وتعزز هذا الانبعاث الفكرى بايفاد بعثات من الطلبة الى الخارج لاستكمال معارفهم العلمية والتقنية كما تعزز نتاج العقول بمطبعة حجرية نشرت مئات المخطوطات العربية المختارة من بين آلاف المخطوطات النادرة المكدسة فى المكتبات العامة والخاصة بالمغرب .

واذا كان للشعوب والامم مجال يجب الانصراف اليه تعزيزا للكيان الوطنى ودعما للحضارة القومية فهو هذه المجموعة من المجالات التى تستلزم تخطيطاتها الرصينة درجة عليا من التقدم الفكرى والسمو الاجتماعى والتطور التقنى بالاضافة الى الكفاية الاقتصادية ولذلك عمد الاستعمار — كما يقول اندرى جوليان — الى التعجيل بانهيار المغرب اقتصاديا للسيطره عليه سياسيا ففرضت فرنسا حمايتها عام 1912 م عن طريق القروض والدبلوماسية المالية ولذلك وجب ان تستفيد نهضتنا الجديدة من هذه العبرة فتتلافى كل استرهان لمقوماتها وتوجه تخطيطها الى دعم سياستها الوحدوية العربية فى الاطار العالمى عن طريق تراثها الطبيعى فلو ان العرب استطاعوا خلق وحدة اقتصادية حقيقية تحتجز الثروات وخاصة البترول وارصدة البنوك ومختلف اوجه الاستثمار لتوفر لدينا اكبر ضغط سياسى على الغرب الذى ما زال يستنزف قوانا الحيوية ويجرح كرامتنا بمكايده ومن مظاهر حضارتنا الفكرية التى يجب ان نذاب متكاتفين شرقا وغربا على صونها ودعمها لربط الماضى بالحاضر مكانة اللغة العربية التى كان نفوذها فى العصور الوسطى بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية كان يوقن بأنها هى الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب — كما يقول جورج ريفوار — « وقد انطلق المنهاج العلمى اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » بهذا اعترف الاستاذ ماسينيون الذى اكد « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا هو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل » فلا يمكن اذن لاية نهضة عربية حديثة ان تكتمل دون ان تستعيد لغة الضاد مكانتها المرموقة فى المحافل الدولية علميا وتقنيا وحضاريا — ولنقصر نظرنا على مثال واحد يبرز مدى اسهام المغرب العربى فى دعم لغة الضاد فهذا الشيخ مرتضى الزبيدى امام اهل اللغة فى القرن الثانى عشر يتلمذ لابى عبد الله محمد بن الطيب الشرقى الفاسى (المتوفى عام 1170 هـ) فى اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث « هى تاج العروس من جواهر القاموس » (كما يتلمذ لمحمد الحسنى البليدى الجزائرى (المقولات العشر للدكتور حقى) وقد كان للاستاذ المغربى اثر عميق فى تكوين تلميذه المصرى حتى انه لا يمر مشكل الا واستند الزبيدى فى حله الى شيخه الذى كان اللغويون يصححون المعاجم من املاءاته وتحليلاته كما فعل ابن التزاز البربرى حيث صحت عليه اللغة فى القرن الرابع الهجرى مع صاعد العراقى اضف الى ذلك ان الفكر المغربى قد طعم المعجم العربى بطائفة من المصطلحات النابعة من مصادر الاشتقاق العربية الاصلية (50) والتى اكتملت بها مجالى الحضارة العربية فى الادارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وقد استعرضنا جوانب من هذه المظاهر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » الذى هو عبارة عن سلسلة محاضرات القيناها فى القاهرة باشراف معهد الدراسات العربية العليا فعناصر التكامل هذه لا ينبغى ان تخلق فى حضارتنا العربية ثنائية متنافرة الطرفين بل كيانا متساوق الاجزاء ينطلق من المفهوم العلمى العربى الخاص الى المدرك العلمى الانسانى العام فى تجاوب يحفظ للكيان العربى عالميته التى ظلت طابعه البارز طوال القرون الوسطى الى العصر الحديث وقد فجر الاستعمار بين الاخوة فى الشرق والغرب هذه الثنائية الانفصالية التى ما زلنا نعانى من ويلاتها الامرين فى

---

49) المجلة الاسيوية المجلد العاشر ص 152 .

50) راجع بعضها فى المستدرك على المعاجم العربية لدوزى وبعضها الآخر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » .

مجانباتنا الهامشية التي تنسينا احيانا عمق المشاكل المصيرية وحتى في ادق مجالات المعرفة كان للمغرب النصيب المرموق فقد استطاع ان يسهم حتى في تكييف الفن المعماري العالمي بروائع ما زالت قائمة الى الآن حيث تجلى ابداع الموحدين منذ القرن الخامس في روعة وفخامة مرصد الخالدة او الخيرالدة (Geralda) باشبيلية ومسجدي حسان بالرباط والكتبية بمراكش كما امتاز الفن المريني في القرن الثامن برقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقرصنات والترخيمات ونقوش الخشب والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات والجدران بالزليجيات ورغم اتجاه الفن المعماري منذ القرن العاشر الى هندسة الحصون والقلاع لمواجهة الغزو الاستعماري الاوربي فقد ظل ينافس اوربا في التجديد حيث لم يكن قصر «الرياض» بمكناس يقل روعة عن قصر « فرساي » بفرنسا وهكذا تبلور في الفن المغربي طابع خاص اضفى على الحضارة في الشق الغربي للوطن العربي لونا جديدا شكل احدى لبنات انبعاث الانسانية الفكرى منذ العصور الوسطى

ومن هذه العجالة يتجلى انه اذا كان المغرب العربي قد حقق تطورا رائعا في مجالات الفكر والحضارة المختلفة فما ذلك الا بفضل تساوق النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شقي العروبة فابلغ الروابط واعمقها قد استوثق بين الشرق العربي والشمال الافريقي والاندلس على يد رسل الفكر الذين كانوا يهاجرون زرافات ووحدانا في موجات غامرة كل عام للحج او الدج وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت في وفرة الوافدين من علماء المشرق على ملوك المغرب حماة العلم والفكر امثال المنصور السعدي (51) الذي احتضن بلاطه رجالات افذاذا من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراق والهند وكان افصح جواز يقدمه المواطن المغربي او المشرقي في الحدود المطاطة هو اسلامه وعروبته فكانا يستيقضان ويستسفران في الحواضر العربية والاسلامية شرقا وغربا دون ميز يتبوآن هنا وهناك المناصب السياسية والدبلوماسية والعلمية فلم يكن للمواطنة الضيقة اى اثر في الحيلولة دون انبثاق هذا الشعور الفياض بالوحدة التلقائية النابعة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير وقد ظل اقطاب الفكر المغربي ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات العلمية ووجوه النظر في مختلف المجالات التقنية باطراد ووثوق كما عرف الشرق كيف يقدر في شخص زملائه في الغرب الاسلامي حرية الفكر ونزعة التجديد ولعل ما لاحظه المقرى وقبله ابن خلدون من فروق بين الشقين في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية يرجع الى انطباع الشرق بالعمق الكلاسيكي في ملكة العلوم واصطباغ الفكر المغربي بالوان من البحث جديدة تحت تاثير التفاعلات مع الغرب ومن بين المغاربة الذين كان لهم ضلع قوى في دعم هذا التبادل الثرى بين شقي العروبة نجتزىء بالاشارة الى بعض ممن عاشوا في العراق امثال :

1 ــ جمال الدين محمد بن ابى بكر البغدادى اصله من قصر كتامة وهو صاحب الوتريات وقد ورد على مراكش عام 655 هـ ثم للمرة الثانية عام 663 هـ (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 152) .

2 ــ محمد بن احمد بن ابراهيم البغدادى الفاسى المتوفى بفاس عام 546 هـ (تكملة الصلة لابن الابار ج 2 ص 193 الذيل والتكملة لابن عبد الملك ج 4)

3 ــ ابو الحكم عبيد الله (او عبد الله) بن المظفر المريني المغربي كان طبيب المارستان بالعراق ايام السلطان محمود السلجوقى (وفيات الاعيان ج 2 ص 307) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهانى (قسم المغرب تونس 1966 ص 289)

4 ــ عبد الله المراكشى الهنتاتى جمال الدين فوض الله عمر البغدادى المعروف بالمجرد توفى عام 795 هـ (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 102 مخطوط)

كما تتلمذ للغزالى صالح بن حرزهم الفاسى (انس الفقير لابن قنفذ ص 12) وابن حنين الكنانى المتوفى

---

51) راجع بحثنا حول رسل الفكر بين الشرق العربي والمغرب العربي في مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس 1387 ــ 1967 .

* خصصنا العراق الشقيقة بالذكر لان هذه المحاضرة اعدت للمؤتمر الدولي للمؤرخين الذى انعقد عام 1973 ببغداد .

بفاس عام 569 هـ (الجنوة ص 304 و 322) وعبد القادر الاندلسى التطوانى التبين المتوفى عام 566 هـ (تاريخ تطوان ــ لمحمد داود ج 1 ص 74)

اما العراقيون بالمغرب فقد الفت فى شانهم المصنفات منها « العراقيون الحسينيون بالمغرب » لمحمد هاشم زيان العراقى (فهرس الفهارس ج 1 ص 246) «والشيعة العراقية بالمغرب» لاحمد بن عبد الوهاب الوزير الفسانى « ومطلع الاشراف من الشرفاء الواردين من العراق » لعبد السلام القادرى .

كما شارك مغاربة فى كفاح الشرق ضد الاستعمار منهم :

1 ــ يوسف بن دوناس الفندلاوى استشهد فى حرب الصليبيين فى الشام عام 543 هـ (معجم البلدان ج 6 ص 401) .

2 ــ العباس بن احمد الفاسى استشهد فى الحروب الصليبية بالشام عام 595 هـ (الجنوة ص 278)

3 ــ يوسف بن محمد بن عبد الله البلوى المالقى المتوفى عام 602 هـ غزا مع صلاح بالشام (تكملة ابن الابار ص 737 / صلة الصلة لابن الزبير ص 217) .

4 ــ محمد الجيلانى السباعى المراكشى حارب الفرنسيين بمصر (عجائب الآثار للجبرتى ج 3 ص 44 ــ الاعلام للمراكشى ج 5 ص 144)

فهل يمكن لاية وحدة ان تقوم على غير هذه الدعامة من التكامل بين اجزاء العروبة وهل يتأتى لنهضة عربية رصينة ان تنبثق فى العصر الحديث دون الارتواء من هذا المعين الصافى الذى عكرته ولا تزال رواسب وذيول التخلف الناتج عن انفصال اجزاء الوطن العربى بعضها عن بعض ردحا طويلا من الزمن تحت سنابك الكائدين . وهنالك مظهر آخر لحضارة المغرب يتجلى فى رسالتها فى افريقيا واوربا وامريكا الجنوبية فالمغرب يحتل موقعا ممتازا فى القارة الافريقية حيث يشرف على بحرين تركزت فيهما حيوية وحضارة ولكن هذا الوضع المحظوظ فى قلب العالم الغربى لم يفت فى اعضاد روح المغرب الشرقية التى عززتها وشائج شتى وطبعها الاسلام والعروبة بميسمها النهائى .

ان المغرب الذى يتحلى منذ ازيد من الف سنة بالحضارة العربية ما زال نقطة وصل بين عالمين ومحورا جوهريا للروابط الدولية بين الشرق والغرب

ويقبض المغرب ــ بفضل طنجة التى كانت عاصمته الدبلوماسية ــ على مقاليد غربى المتوسط بينما تشرف قناة السويس على شقه الشرقى ولذلك فان هذين الطرفين العربيين الذين يشرفان على مركز يتسم بحساسية نادرة فى الوضع الدولى الراهن لا بد ان يلعبا دورا مهما فى حوض المتوسط الذى لا يمكن ان يتم فيه شىء بدون مساهمة ــ ترتكز على المساواة والسيادة ــ من طرف جميع الاقطار العربية التى تمتد حلقاتها من طنجة الى دمشق على طول ثلاثة اخماس ضفاف المتوسط تلك حقيقة ناصعة كان من المحتوم ان تفرض وجودها على الافكار الغربية قبل اليوم .

وبلغ اشعاع الفكر العربى عن طريق المغرب اقاليم افريقية شاسعة تمتد الى تخوم النيجر جنوبا وحدود مصر شرقا فكان المغرب محور ومصدر حيوية نابعة عن الاستقلال الذى كان يتمتع به فلم تعد هنالك دولة عربية مستقلة فى افريقيا غير المغرب بعد عام 1250م حيث سقطت مصر نفسها تحت سيطرة الاتراك فظل المغرب يواصل طوال الف عام حمل مشعل الحضارة العربية كولد بار للشرق العربى الرائد موقنا بأن الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو القوام الاساسى لكياننا ولهذا شكل المغرب كجزء قائم من هذا الوطن العربى نقطة وصل مع اوربا وقنطرة الى العالم الجديد وذلك ضمن التأثير الذى تركته حضارتنا فى الغرب والذى لم يكن لينصرم ــ ضمن تبادل موصول ــ لولا تلك الآفة الاستعمارية التى حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة والكيان فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبى فى نفوس

المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تمخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربيـــة فى البـــلاد .

ان النفسية العربية التى تجمع بين النبل والاريحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء مـــا يمس بكبريائهـــا الوطنى ويهددها فى حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربى ليست معناها الفردية الانانيـــة وانما هى توقان طبيعى نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها.

فلهذا تبلورت مدنيتنا فى اشعاع ثقافى ممتاز اكثر منها فى نفوذ مادى ومع ذلك فان قوة المغرب الماديـــة ما فتئت سائدة فى البحر المتوسط الذى كان رومانيـــا فاصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) كما يقول م ماكس فنتيجو — بجزره وسواحله واساطيله ونهضة تجارته واضحت لغة القرآن هى اللغة الدولية للتجـــارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسى المقتدر اندرى سيكفريد عضو اكاديمية باريس ان العرب غرسوا فى البحـــر المتوسط حضارة يانعة فطـــوروا الـــرى وادخلـــوا غراسات جديـــدة كالقطـــن والارز وقصب السكـــر والحوامض (وبسببهم فقد البحـــر المتوسط طابعـــه المسيحـــى) .

ان الاشعاع المادى للقوة المغربية فى المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابراز الرسالة التى اضطلعنا بهـــا فى هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدى الذى كان يضم اربعمائة قطعة ما لبث ان اصبح اول اسطول فى المتوسط (اندرى جوليان) على ان المغرب قـــد تزعم العالم الاسلامى والعربى فى هذا العصر مما حدا صلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجاد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين فى طريق الشام وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابى الحسن المرينى . وسيادة العرب فى البحر المتوسط ظهرت بوادرهـــا ولمـــا تمـــر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاويـــة بعض جزر المتوسط بألف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربـــى البحرية حيث صنعت فى بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس الهجرى عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المومن بن على الموحدى اهمية جبل طارق الذى هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن افريقيا والانـــدلس وحتـــى فى خصوص فكرة الجندى المجهول نلاحظ وجود مـــا سمى فى الاندلس بالشهيد الغريب Le martyr inconnu فى المخاضة التى بـــين حصـــن بالمـــا Palma del Rio وهـــى الجـــرف Al-Jarf (الادريسى — النزهـــة ص 208) .

ان رسالة الحضارة المغربية الحق فى البحر المتوسط تتجلى فى مظهريـــن اثنين هما التـــأثير الاقتصـــادى والاشعاع الثقافى على ان الدور الاقتصادى نفسه لـــم يكن فى الواقع سوى نتيجة للنفوذ الادبى فسياســـة التسامح التى نهجها المغرب فى اغلب عصوره قـــد ساهمت فى توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسى المغربية فى سواحـــل المتوسط مصدر نشاط فياض فهى التى كانت الينبـــوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومرسيليا وغيرها مـــن مـــوانـــىء .

وقد اكد مسيو ماكس فنتيجو مؤلف المعجزة العربية (Le miracle arabe) ان الحكومة الموحدية كانت من اشد الحكومات احتراما للحرية وان الاندلس عرفت فى عهدها عصرا ماجدا تالق فيه نجم المعارف والعلوم العربية التى سرى تيارها المنعش فى جنبات اوربـــا نعم ان من مظاهر تلك المعجزة العربية تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمان وانجليـــز لذلك الانقلاب الفكرى العظيم الذى تفتق عن عصر النهضة وقد سبق لكوستاف لوبون ان قال نقلا عـــن العالم الايطالى ليبرى Libri (لولا العرب لتأخـــر انبعاث الآداب فى اوربا عدة قرون) .

نعم لم يتصل الاوربيون بالعلوم العربية الا عـــن طريق اسبانيا المسلمة التى برهن فيها تنافس العناصر العربية والمسيحية عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية وما لبث هذا الاشعـــاع العربى ان غمر شعوب الغرب فبلغ كبريات العواصم ونشل مدن بيزا وبولونى ومونبيليى وسلامانك وافينيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافية كما قال فنتيجو ورغم انهـــزام

الموحدين السياسى وعـودة الانـدلس الى حظيرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظـر الغربيين حتى صارت باريس نفسهـا التـى اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودته مـن الشرق ــ تستمد من المغرب والشرق كثيرا من كشوفها

والذى يزيد هذه الظاهرة غرابة ان الفتوح العربية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تمدينية لا تهدف الى اى لون مـن الوان الادماج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحميه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتناق الاسـلام مـن طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لان اريحيته ابت عليه استغلال الضائقة السياسية التى كان الانجليز يتخبطون فيهـا لحملهم على اعتنـاق الاسلام .

اليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربـى المتوسط الا فى فتـوح اوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التى كانت الى ذلك التاريخ منحصرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبيـة بواسطـة الغـزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تأثـير المدنية الاندلسيـة فاتسعت جميـع مظاهر الحيـاة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربـى ينمـو ويضعف حسب الاصقاع فتقنعت المراة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيفت اسلوب حياتها كما فعلت المراة الصقلية المسيحية فيمـا حكاه الرحالـة ابن جبيـر تكييفا ــ يحذو حذو النعل بالنعل ما عهد فى الاندلسيات والمغربيات نعم اصبح الشىء الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقـة النساء الارستقراطيـات فى الحـواضر واتخاذهـن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبيـة الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والغراسة فى البادية فبالرغم عـن اختـلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكى اجهـزة واساليب الفلاحـة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية فىمجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوى عليه نظام الرى عندنا (السواقى والآبار الخ) وقد نقل المعمرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة فـى القسم الجنوبى من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسية تتعاطى تربية دودة القـز) على ان اللغـة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التى تركتها حضارتنا فى الميدان الثقافى والاقتصادى والاجتماعـى بامريكـا فالاصطلاح الامريكى فى المياه والسقى والرى معظمه عربى وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضف الى ذلك ما يمس (مودة) النساء من اسماء الحلى والمصوغات

والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فـى ميدان الهندسة المعماريـة حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديرة والمنازل والحمامات وقد تأثر الاصطلاح الامريكى ايضا بالمفردات العربية.

ويضيق المجال عن تعداد المناحى التى تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية فحتى اساليبالطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا ورسالتنـا الحضاريـة اصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اى وقت وابرز عنصر يجب ان تنطلق منه العناصر الحضارية الاخرى عند اخواننا فى الشرق لبناء صرح نهضتنا الحديثة .

في القياس اللغوي

الاستاذ ابراهيم انيس

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثا قيما للدكتور ابراهيم انيس تحت العنوان اعلاه نقتطف منه ما يلى :

امكن لنا فى احصاء سريع ان نجمع من معجم لسان العرب ومحيط الفيروزابادى نحو 71 مثالا رويت عن العرب القدماء هى :

صديق ، صريع ، شريب ، قليب ، (به داء وتعب) ، خريت ، بريت (دليل حاذق) بليت (عاقل لبيب) صميت، فسيق ، زميت ، عميت ، (الرقيب الظريف) سكيت ، حديث ، خبيث ، عبيث ، عنين ، خريج ، ضليل ، مريخ (احمق) ، مديخ (عظيم عزيز) مريح (كثير المرح) شرير ، غريد ، سكير ، مريد (طاغية) ، جبير ، جزير (كثير الذبح) ، ختير (غادر) سمير ، شخير ، شغير ، شنير (سيء الخلق) ، شمير (مجتهد) ، ظفير ، غدير، فكير (كثير التفكر) اريس (اكار او امير) ، دعيس (ماهر فى الطعن) رديس (ماهر الرمى بالحجارة) قسيس ، نطيس ، (طبيب ماهر) ، عقيص (بخيل) ، عريض (يتعرض للناس بالشر) فقيع (شديد البياض) ثقيف (حاذق فطن) ، خريق (سخى ظريف) عشيق ، شنيق (شديد الاعجاب بنفسه) طليق ، مسيك (بخيل)، سجين (دائم شديد) غليم ، قديم (الملك او من يتقدم الناس) ، زبين (مدافع الاخبثين) ، سخين (حار) ، طعين (حاذق فى الطعن) ، المسيح (الدجال لشؤمه)، ظليم ، فخير ، حريف ، خمير ، هزيل ، متيخ ، (وصف للعود الطويل اللين) لطيخ (احمق) ، شتير (سيء الخلق) ، رئيس (كثير الرياسة) ، طليس (اعمى) ، زريع (ما ينبت فى الارض المستحيلة) ، القريع (السيد) ، طريق (كثير الطروق) ، غسيل (كثير الضراب) .

وكلها تفيد المبالغة فى الفعل . وورد ايضا فى اللسان والمحيط نحو 20 مثلا من هذه الصيغة تعبر عن اسماء لاشياء ولعلها كانت فى وقت من الاوقات صفات فهى :

سجيل (حجارة) ، كليت (حجر يسد به) ، جريث ، قريث ، زمير ، جنيس (نوع من السمك) بطيخ ، دريج (الطنبور) ، ذريح (دويبة) ، خريع (شجر العصفور) ، عقير (عشبة يتداوى بها) ، طبيع (لب الطلع) ، عريس (مأوى الاسد) ، فطيس (مطرقة) القليد (الخزانة) القميس (البحر) ، ابيل (قطعة من الطير) ، الزبيل (القفة) ، التنين (الحية العظيمة) ، القنين (الطنبور) .

اى ان ما ورد عن العرب القدماء من هذه الصيغة ليس من القلة على الصورة التى نلحظها فى كلام علماء اللغة .

صيغة «فعلون» في غير اللغة العربية

من اللغات السامية

الأستاذ حامد عبد القادر
عضو مجمع القاهرة

ورد فى الجزء الحادى والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا البحث القيم ننشره تعميما للفائدة :

وردت هذه الصيغة فى بعض اللغات السامية الاخرى بصور مختلفة اكثرها فعلون بكسر الفاء واماله الضمة الطويلة :

وقد دل البحث على ان زيادة الواو والنون فى آخر الكلمة تكون فى الغالب للدلالة على المكان او على التعظيم او التكبير . وقد تكون لغير هذا او ذاك كما سيتضح فيما بعد .

ومن الممكن حصر الاسماء المزيدة بهذه الزيادة فى اربع مجموعات ، لانها اما ان تكون اسماء اعلام ، واما ان تكون اسماء اجناس .

والاعلام اما اعلام اشخاص ، واما اعلام امكنة . ويدخل فى الامكنة الجبال والمدن . واسماء الاجناس اما اسماء ذوات واما اسماء معان .

وفيما يلى بيان لذلك :

(1) النوع الاول : اسماء اعلام الاشخاص . ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ جدعون : البطل العظيم . وقد اطلق على احد قضاة بنى اسرائيل الذين ساسوا امورهم من بعد موسى .

2 ــ شمعون : الاستماع او ذو الصيت الحسن او السمعة الطيبة .

وقد اطلق على احد ابناء يعقوب الاثنى عشر .

3 ــ شمرون ــ حارس . علم على شخص . او على مكان

4 ــ صيدون : علم على اول ابناء كنعان بن حام بن نوح وقد قيل انه سمى باسم مدينة صيدون التى سيأتى الكلام عليها .

---

(1) قدم الاستاذ عبد الله كنون الى مؤتمر المجمع فى دورته الحادية والثلاثين بحثا له فى اسم خلدون وهل هو مكبر على الطريقة الاسبانية . فأحيل الى لجنة الاصول ، وفى اثناء دراستها له قدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا .

5 ، 6 ــ محلول وكليون علمان على ابنى اليملك المذكور فى قصـــة راعـــوث .

(ب) النوع الثانى : اعلام الامكنة . ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ جبعون : مكان الجبل ، وقد اطلق على مدينة فى منطقة جبلية فى فلسطين على اربعة اميال جنوبى بيت لحم .

2 ــ حرمون : بارز . علم على اعلى قمة فى منطقة جبلية فى الشمال الشرقى من فلسطين تعد جزءا مـــن لبنان . وتسمى هذه القمة ايضا جبل الثلج 2 لان الثلوج تكسوها فى فصل الشتاء وقد اطلق عليهـــا حديثا اسم جبل الشيخ .

3 ــ صيدون : مكان الصيد (مصيد) او مكان التحصن (حصن ــ قلعة) وهو اسم اطلق على اولى المستعمرات التى اسسها الفينيقيون على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وقد سميت باسم كبرى مدنها وهى صيدون التى تسمى الآن صيدا . وقيل ان اول ابناء كنعان بن حام قد سمى باسمها .

4 ــ صيون : اسم جبل يقع فى الجزء الجنوبى الغربى من اورشليم . وهو اقدم اجزاء المدينة واعلاها ويطلق انبياء بنى اسرائيل وشعراؤهم هذا الاسم على اورشليم نفسها او على سكانهـــا او على اسرى اليهود وسبايـــاهم . وربمـــا اطلـــق على فلسطين كلهـــا .

وهذا الاسم هو فى السريانية والعربية ، صهيون بكسر السـاد . ويرجع هذا الاختلاف فى التسمية الى الاختلاف فى اشتقاق الاسم فهو فى العبرية مشتق من فعل مهجور هو صيى بمعنى لمـــع او اضاء من بعد . اما فى السريانية والعربية فهـــو مشتق من فعل آخر مهجور ايضا هوصها . بمعنى اشتعل واحترق ، يقال صهت الارض اى شرقت وجفت من شدة الحرارة .

ومن الممكن التوفيق بين الرايين بأن يقال ان اشعة الشمس المحرقة اذا سقطت على ارض تجعلهـــا جافة ، كما تجعلها تبدو من بعد كأنها مشرقـــة لامعة لانعكاس اشعة الشمس عليها .

وفى اشتقاق هذا الاسم راى ثالث هو راى مـــن يقولون انه مشتق من فعل مهات ايضا هو صها يصهو اى ارتفع . ومنه صهوة الفرس . وصهوة كل شىء اعلاه . وحينئذ يكون معنى صهيون « قمة جبل » ولا شك ان هذا الاسم ينطبق على المسمى اشـــد الانطبـــاق .

5 ــ شمرون : مكان الحراسة ــ مراقب . وهو اسم جبل عظيم فى وسط فلسطين يسمى جبل الحراسة او المرقب . ثم اطلق على مدينة انشئت فى منطقة ذلك الجبل وهى سماريا عاصمة للدولة الشمالية (اسرائيل) التى اسسها بعد وفاة سليمان عليه السلام وانقسام اليهود على انفسهم عشرة مـــن الاسباط او هم من عدا سبطى يهوذا وبنيامين .

6 ــ حبرون : خليل ــ صديق امين . وهو اسم لمدينة تقع على بعد 22 ميلا جنوبى اورشليم (بيت المقدس) اتخذها داود عليه السلام مقرا لملكه قبل استيلائه على اورشليم . والمراد بخليل هنا ابراهيم خليل الله عليه السلام . ويسمى « ابو الفداء » هذه المدينة (بيت حبرون) .

(ج) اسماء ذوات (اجناس مادية) ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ حلبون ــ بياض البيضة .

2 ــ حلمون ــ صفار البيضة .

3 ــ ملون ــ مكان الكلمات ــ معجم لغوى .

4 ــ شاعون : ساعة يد او حائط .

5 ــ عتون ــ صحيفة . جريدة .

6 ــ فعمـــون ــ جـــرس .

(د) اسماء معان (اجناس معنوية) ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ وعيـــون ــ فكـــرة .

2 ــ غلبون ــ غلبـــة او قهـــر .

3 ــ حفازون ــ سرعـــة .

4 ــ حازون ــ رويا صادقة ــ الهام ــ وحى .